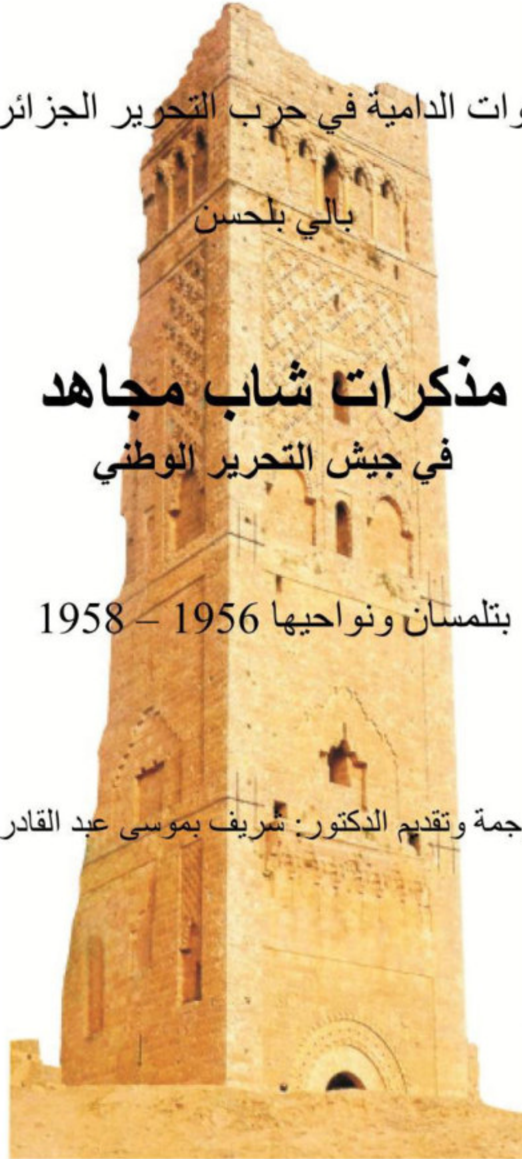


السنوات الدامية في حرب التحرير الجزائرية

بالي بلحسن

مذكرات شاب مجاهد
في جيش التحرير الوطني

بتلمسان ونواحيها 1956 – 1958

ترجمة وتقديم الدكتور: شريف بموسى عبد القادر

تلمسان 2004

Ahmed histoire

ترجم هذا الكتاب عن النسخة الأصلية:

Bellahsène BALI

Mémoires d'un jeune combattant de l'ALN
A Tlemcen et sa région : 1956 – 1958

Edition : Al Achraf
Beyrouth (1999)

إهداء

أهدي هذا الكتاب إلى كلّ رفقائي في الكفاح الذين سقطوا في ميدان الشرف.

لقد كتبوا بدمائهم الزكية تاريخ الحرب التحريرية في الجزائر.

فاللهمّ أنعم عليهم بالرحمة والمغفرة.

ب. بالي

إضاءة

أثناء قيامي بتحضير هذا الكتاب، طلبت من العائلات التلمسانية صورا لبعض الشهداء الذين سقطوا في ميدان الشرف.

معظم هؤلاء الشهداء، هم للأسف غير معروفين إلى حدّ الآن.

لقد ضحّى هذا الشباب بحياته من أجل أن يستطيع الجيل الجديد أن يعيش حرّا ومستقلا بكرامة.

ويصبح من الواجب علينا أن نذكر شهداءنا ونترحّم على أرواحهم الطاهرة أثناء الحفلات أو أعياد الميلاد.

وفيما يخصّني شخصيا، فإنّني أنوي أن أردّ لهم بعض الاعتبار الذي يستحقّونه من خلال طبع ألبوم يحوي صور كلّ هؤلاء الشهداء.

فالمجد لشهدائنا الأبرار.

تقديم بقلم الدكتور: شريف بموسى عبد القادر

بسم الله الرّحمن الرحيم والصّلاة والسّلام على أشرف المرسلين، أمّا بعد.

يشرفني أن أقدّم لهذا الكتاب المعنون بـ "مذكرات شاب مجاهد في جيش التحرير الوطني. بتلمسان ونواحيها: 1956- 1958" لصاحبه المجاهد بالي بلحسن.

لعلّ أهّم فائدة يمكن لنا أن نجنيها من قراءة هذه المذكرات وهو الاطّلاع على الجوّ العام للثورة التحريرية في سنوات 1956- 1957 - 1958 بمنطقة تلمسان وضواحيها وكذلك ببعض مناطق الجنوب الجزائري. فهذه الفترة شهدت الانطلاقة الحقيقية للثورة وتوسّعها.

كما لا ننكر الفائدة العظمى التي سيجنيها المؤرّخون للثورة وطلاب الدراسات التاريخية من هذا الكتاب، الذي يحاول صاحبه أن يرسم صورة ولو جزئية عن المقاومة الباسلة للشعب الجزائري في هذه الرّقعة الغربية من الوطن، والتي نسيَتها الكثير من كتب التاريخ.

فتلمسان مثلها مثل باقي مدن الجزائر، شاركت بالنفس والنفيس، ودفعت بأبنائها وبناتها إلى الاستشهاد من أجل حرية الجزائر وكرامة أبنائها وعزّتهم.

كما أنّ هذا الكتاب يحاول أن يعرض لحياة أبطالنا بالجبل، ومصاعب التنقّلات اليومية لهم، فيصف بدقّة متناهية معاناتهم وآلامهم وأفراحهم وأحزانهم. كلّ هذا، يتأتّى من خلال رواية شاهد عيان ومجاهد عاش هذه الحياة وذاق مرارتها بالجبل وبالحدود وأثناء الاشتباكات مع العدوّ. من هنا يكتسي هذا الكتاب أهمّية تاريخية مهمّة تضاف إلى كتب أخرى أرّخت لهذه الثورة المباركة.

ولعلّ من مزايا هذا الكتاب أنّ صاحبه أثناء سرده للأحداث التي كان يعيشها فإنّه يذكر كذلك بعض نقاط ضعفه دون أن يحاول أن يتبجّح بما قدّمه للجزائر.

أمّا الميزة الأخرى لهذا الكتاب، وهي أنّه يسلّط الضوء على بعض النقاط المظلمة في الثورة الجزائرية وذلك من موقع شاهد عيان وليس من موقع مؤرّخ بين كتبه. ولعلّ هذه النقاط تتجلّى في الاغتيالات التي مسّت بعض قادة الثورة وجنودا ثوّارا آخرين دون وجه حقّ.

من هنا يكتسي هذا الكتاب أهمّية كبرى وهو الآن لبنة أخرى تنضاف إلى صرح الدراسات التأريخية للثورة الجزائرية.

كما يجب أن ألاحظ بأنّه بعد قراءتي للنسخة الأصلية لهذا الكتاب باللغة الفرنسية والتي صدرت عن دار الأشرف ببيروت سنة 1999، أُعجبت بهذا العمل الجبّار والجريء الذي قام به هذا المجاهد المدعو بالي بلحسن، وما يحويه من معلومات وأخبار عن منطقة نسيَتها كتب التاريخ أو أسقطتها والتي تتمثّل في وهي مقاومة مدينة تلمسان للاستعمار الفرنسي والتي كان لها أهميتها العزيمة في حرب التحرير الجزائرية.

من هنا ارتأيت أن أترجم هذا العمل حتّى لا أحرم قرّاء العربية والدارسين والمؤرّخين سواء بالجزائر أو خارجها من الاستمتاع بفصوله والاستفادة من معلوماته الدقيقة.

إنّه كتاب مذكّرات قسّمه صاحبه إلى فصول صغيرة مستقلّة بعضها عن البعض حتّى تسهل قراءته. وفي الأخير إذا ما جاز لي أن أعطي رأيي في هذا الكتاب فلعلّ أكبر فائدة تحتويها صفحاته هي أنّها تقدّم لنا أسماء شهداء أسقطتهم كتب التاريخ الثوري وربّما منهم من لم يُدوّن ضمن قائمة المجاهدين والشهداء. ولهذا أتوجّه بشكري إلى هذا المجاهد على هذا العمل الجبّار الذي قام به وأتمنّى أن يستفيد منه كلّ قارئ ودارس في البلاد العربية كلّها.

الدكتور: شريف بموسى عبد القادر

TRIBUNAL DE 1re INSTANCE
DE
TLEMCEN

Chambre d'Instruction LE MESTRIC
N° 649 du Parquet
N°49/57 de l'Instruction

MANDAT D'ARRET
contre

BALI, Bellahséne

Signalement

Age
Taille
Cheveux
Sourcils
Front
Yeux
Nez
Bouche
Menton
Teint
Barbe
Visage

Signes particuliers

République Française

AU NOM DU PEUPLE FRANÇAIS

MANDAT D'ARRET

Nous, LE MESTRIC, Paul
Juge d'Instruction près le Tribunal de première Instance de Tlemcen,
Vu les pièces de la procédure ;
Oui M le Procureur de la République dans ses conclusions conformément à l'article 94 du Code d'Instruction criminelle ;
Mandons et ordonnons à tous huissiers ou agents de la force publique, sur ce requis d'arrêter, pour être immédiatement conduit dans la maison d'arrêt de Tlemcen, en se conformant à la loi.

le nommé BALI, Bellahséne, ould Abdallah et de ALLAI Zeoulika, "s"étant dit Hadj Bali" né le 17/9/1936 à Tlemcen, cordonnier, ayant demeuré route de l'abattoir

inculpé tentative d'incendie volontaire

Fait prévu et puni par l art 2,434 et suivants du C.P.
Enjoignant au surveillant-Chef de la dite maison d'arrêt de le recevoir et retenir au mandat d'arrêt jusqu'à ce qu'il en soit ordonné.
En conséquence, le Président de la République, mande et ordonne à tous huissiers sur ce requis de mettre le dit mandat à exécution ; aux Procureurs Généraux et aux Procureurs de la République près les tribunaux de Première Instance d'y tenir la main ; à tous commandants et officiers de la force publique de prêter main-forte lorsqu'ils en seront légalement requis.
Fait en notre cabinet, au Palais de Tlemcen, le 17 Novembre 1958

Le Juge d'Instruction,
signé LE MESTRIC

copie certifiée conforme à
l'original par le MDLChef
VILLA, cdt la brigade

Tlemcen le 2/12/58


BELLAHCENE BALI
DIT HADJ

BALI

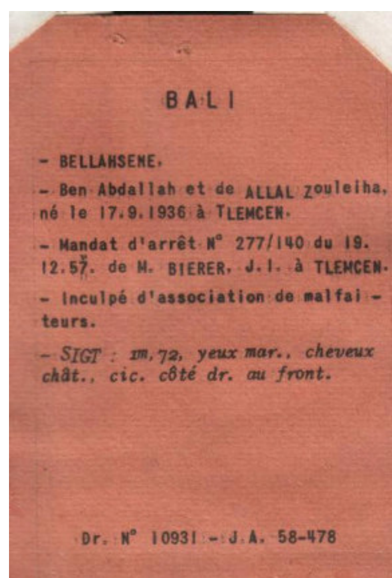
Bellahcene Ould Abdallah et de Allal Zouleiha, né le 17.9.1936 à TLEMCEN.

– Mandat d'arrêt N° 1474/743 du 5.12.56. de M. BEAUCHAMP, J.I. à TLEMCEN.

– inculpé d'atteinte à l'intégrité du Territoire Français, Chef de Cellule terroriste, collecteur de fonds

– *SIGT : 1m.72, yeux mar., chev chât.*
f

Dr. N° 10931/2 – J.A. 57-284


BALI

– BELLAHSENE.

– Ben Abdallah et de ALLAL Zouleiha, né le 17.9.1936 à TLEMCEN.

– Mandat d'arrêt N° 277/140 du 19.12.57. de M. BIERER, J.I. à TLEMCEN.

– Inculpé d'association de malfaiteurs.

– *SIGT : 1m.72, yeux mar., cheveux chât., cic. côté dr. au front.*

Dr. N° 10931 – J.A. 58-478

TRIBUNAL PERMANENT
DES FORCES ARMÉES
ZONE OUEST ORANAIS

TRIBUNAL MILITAIRE
PERMANENT
d

N° 32
DE LA SÉRIE ANNUELLE

N° 32
DE LA SÉRIE GÉNÉRALE

(Art. 113 du Code de justice militaire)

DATE DU CRIME OU DU DÉLIT
Courant 1956-1957

JUGEMENT
EXÉCUTOIRE
DE CONDAMNATION

CONDAMNATIONS
ANTÉRIEURES
II.I.1957 - T.C. TLEMCEN
Atteinte à la sûreté extérieure de l'Etat. IO ans TF, IOO.000 Francs.

J. Z. 832090. O. (2)

Extrait pour le corps, la prison, etc.

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE

N° 2982 B
(Ancien n° 982 *bis* de la Nomenclature Générale)

Formule n° 46

JUGEMENT
PAR CONTUMACE

AU NOM DU PEUPLE FRANÇAIS,

Le Tribunal ~~militaire~~ permanent des Forces Armées de la Zone Ouest Oranaise
a rendu le jugement suivant :

AUJOURD'HUI huit octobre mil neuf cent cinquante neuf

le Tribunal ~~militaire~~ permanent des F.A./Z.O.O. , ouï le Commissaire du Gouvernement dans ses réquisitions et conclusions, a déclaré :

le Civil Français B A L I Belhasène, absent et contumax, domicilié Route de l'Abattoir à TLEMCEN
COUPABLE de :

ASSOCIATION DE MALFAITEURS

En conséquence ledit Tribunal l'a CONDAMNE a la peine de
VINGT ANNEES DE TRAVAUX FORCES ET MISE SOUS SEQUESTRE DE SES BIENS.

par application des articles 19, 265, 266 du Code Pénal, I20 du Code de Justice Militaire et du décret 59.505 du 7 Avril 1959.

طفــولتي

ولدت بتلمسان سنة 1936 ولقبت بـ " لحسن " ولكنهم كانوا ينادونني " الحاج " كنت أكبر إخوتي السبع: خمسة ذكور وبنتين، وكنّا نقطن (أثناء طفولتي) بسيدي علي بلحاج وهو حي يقع في أعالي القلعة العليا، بالضاحية الجنوبية لتلمسان. وكان أبي إسكافيا يملك قطعة أرض كنت أساعده على زراعتها وكنت أذهب آنذاك إلى المدرسة ولكنني كنت مجبرا على مساعدة والدي في حرفته، زيادة على ذلك كنت أجد نفسي ملزما بمعاينة ما زرع من خضر في نهاية الأسبوع. ومع كلّ هذا كنت مضطرا للاستيقاظ يوميا على الساعة الثالثة صباحا لبيع ما تمّت حياكته من صوف بأيدي أمي ثمّ أعود إلى العودة إلى البيت على الساعة السادسة صباحا بعدما أكون قد اشتريت مادّة الصوف الخام لتتمّ معالجتها إذ تعتبر هذه الحرفة مهنة كلّ عائلات تلمسان.

ولتجسيد ذلك وجدت عائلتنا نفسها في وضع يضطرها للتضحية لأنّ صاحب الأرض التي باعها لنا كان بإمكانه وضع يده عليها في أيّ وقت شاء إذا لم نتمكّن من الدفع في الوقت المحدد، ما بقي لنا من ديون. أصبحت الحياة أكثر صعوبة وحدّة وهذا الذي اضطرني إلى مغادرة المدرسة في سن 16 من عمري لأتمكّن من تقديم المساعدة الكاملة لوالدي في عمله كإسكافي حيث استطعت أن أتحكّم بسرعة في صناعة النعال والأحذية إذ كنت أقوم بوضع الغراء والتركيب حتى الانتهاء منه. وبعد سنتين تحسّنت خلالها وضعيتنا لأنني تمكّنت من تركيب 20 زوجا من النعال في اليوم، وبعدما باع والدي قطعة الأرض المتواجدة في القلعة العليا، اشترى سنة 1949 بيتا في حي "الرباط" يقع شرق المدينة غير بعيد من باب سيدي بومدين.

كنت أهوى الموسيقى ففي المساء، بعد نهاية العمل، يصبح محلّ والدي قاعة للتدرّب على الآلات الموسيقية مع الفرقة التي يترأّسها الفنان المشهور بوبكر بن زرقة التي كنت أنتمي إليها كعازف على الناي، وكنا نُستدعى لإحياء حفلات الزواج في بعض الليالي. وأذكر أنّ حفلا تحوّل إلى مأتم فكان ذلك نقطة تحوّل في حياتي؛ لقد كان من المفروض أن يتمّ الحفل في فدان السبع بالضاحية الجنوبية للمدينة في زمن كثرت فيه الاشتباكات والعمليات الفدائية التي تضاعف عددها عبر مختلف مناطق الوطن وكان المكان المخصص لتلك السهرة الموسيقية في ساحة كبيرة.

صعدت فرقتنا إلى المنصّة وانطلق الحفل؛ كان ضيوفنا يستمعون باهتمام إلى ما نقدمه بينما تُوزّع عليهم كؤوس الشاي والحلويات، كان الجميع فرحين بهذه المناسبة.

وعلى الساعة الثانية صباحا رمى رجل مجهول (غريب) بشيء نحو العمود الكهربائي القريب منا، أحدث بعدها انفجارا مهولا حيث سرى الرعب والخوف بين المدعوين كما تعددت أصوات الفزع وصيحات الذعر، وجدت بعدها صهري العازف على آلة الكمان « محمد ملوك » مرميا على الأرض يكابد جراحه وقد أُجبرت على حمله فوق كتفي. كنت أسير بصعوبة وقد أجهدت نفسي جهدا كبيرا لإيقاف سيارة الإسعاف التي كانت تنقل الجرحى إلى المستشفى، حيث كان جل العاملين في السلك الطبي آنذاك من الأوروبيين وكانوا لا يبدون أيّ اهتمام لهذا النوع من المرضى في الوقت الذي زادت فيه جراح محمد سوءا وتدهورًا مما أجبرني على إخراجه من المستشفى في اليوم التالي لفحصه من طرف طبيب خاص الذي عالجه.

فهمت في ذلك اليوم بأنّ العربي أو المسلم مثلما كانوا يسموننا في ذلك الوقت، ليس له الحق في العلاج وأنّ الأطباء الفرنسيين لا يترددون، لأسباب عرقية وسياسية، في الدّوس على قسم أبوقراط؛ كان ذلك صدمة كبيرة بالنسبة لي. منذ ذلك اليوم غيرت من سيرتي وتوجهي فقد نشأت في داخلي رغبة في الانضمام للكفاح من أجل استقلال بلادي وكنت آنذاك في 19 من عمري، تمّ استخدامي بعد ذلك كعون للتنظيف في مؤسسة الجسور والطرقات بتلمسان ويالسخرية القدر إذ بينما كنت فعلا مكلّفا بتحرير التقارير وملء جداول

الإرسال مستعملا آلة راقنة إلاّ أنّني في نظرهم لست سوى عونا للتنظيف وكنت عبارة عن لا شيء محاطا بالإهانة فثارت ثائرتي أمام مظاهر اللامبالاة، عندها قررت القيام بصفة فردية بعملية ضد النظام الاستعماري.

وحين رأيت يوما شمسية موضوعة فوق رف محل تجاري اشتريتها لصناعة رماح من أسلاكها، وقد أعلمت آنذاك صديقي محمد بن ناصر الذي وافقني على مبادرتي، ولم أكن أعلم إن وافقني عن شعور بالوطنية أو كانت موافقته لإشباع حب المغامرة، لأنّه بعد ذلك لم يلتحق بصفوف النضال. وكنّا آنذاك تربان في العمر نفسه أي في سن 19، قررنا الهجوم على شرطي كان يقف دائما أمام مقر بنك الجزائر المتواجد في مكانه حتى اليوم بشارع العقيد لطفي وكنّا عزمنا على قتله والاستيلاء على سلاحه. حينما كانت الساعة تشير إلى 12 و45 دقيقة والمكان شبه خالي وبينما كان الشرطي واقفا يواجهنا بظهره رميناه بعدد كبير من الرماح، حيث كان مرمى واحدة منها في عنقه، وبينما كان يتألم من جراحه لم يتردد في مسك سلاحه وإطلاق الرصاص علينا لكنّه لم يتمكّن منا، كان يصيح قائلا «سأتمكنّ منكم أيهّا القتلة»

وقد هربنا ونحن نسابق الرّيح، وقررنا آنذاك عدم العودة لهذه المغامرات الخطرة التي لا تتحقق نتائجها. عندها نشأت بداخلي فكرة الالتحاق بصفوف الثوار وكانت هذه الفكرة تراودني، وتقض مضجعي، كان أهل البيت يلقبونني بالمجنون كلّما سمعوني أتكلم عن الثورة والكفاح والفداء، وكان عليّ أن أتّصل بمنظمة جبهة التحرير الوطني، ولكن كيف السبيل لأنّ هذه المنظمة كانت تعمل في السرية والكتمان وكان عليّ إذن أن أصبر.



مؤلّف الكتــاب

" نظرة تريــد قول الكثير "

طفولتي



الالتحاق بصفوف الثوار

المكان شباك مقابل للمدخل الرئيسي، نوافذ واقعة على الطريق، رجال واقفون، وآخرون جالسون في مكان تمتد فيه الطوابير لشراء التذاكر، هكذا كانت محطة القطار بتلمسان. تقدّمت ببطء نحو عامل الشباك حيث اشتريت تذكرة للسفر بواسطة القطار من تلمسان إلى وجدة، وفي القطار أخذت مكاني في الدرجة الثالثة بالقرب من النافذة. كنت أتأمل المناظر التي تمرّ أمام ناظري، وطيلة سفري كنت أفكر في جموع الفلاحين الذين يعيشون وضعية مزرية ازدادت خطورتها نتيجة العمليات الموجهة ضدهم من طرف العسكر الفرنسي انتقاما لِما يقدمه هؤلاء الفلاحون من دعم للمجاهدين، وعدت إلى الواقع لأدخل في حوار مع مسافرين مغاربة. دام السفر حوالي 3 ساعات توقف القطار بعدها على الساعة الرّابعة والنصف زوالا بمحطة وجدة المغربية.

وفور وصولي قمت بالبحث عن نزل، وفوجئت بلقاء ابن خالتي غوتي الذي ألحّ عليّ لضيافتي عنده وكانت خالتي تسألني عن أحوال عائلتنا وأحوال تلمسان، كل هذا أثناء قيامها بتحضير القهوة، عندها أشار ابن خالتي إلى أهمية التواجد الكبير لمسؤولي جبهة التحرير الوطني بوجدة، حيث تُنشر جريدة نصف شهرية باسم المنظمة تحت عنوان « المقاومة الجزائرية LA RESISTANCE ALGERIENNE". انتهزت الفرصة وطلبت من الغوتي أن يصلني بعضو من جبهة التحرير الوطني وفي الغد كنت على موعد مع رجل يدعى "زراق" بمقهى يقع بشارع مراكش بقلب مدينة وجدة. وقد دام اللقاء مدة من الزمن، كان فيها عون للاتصال بجبهة التحرير الوطني راغبا في الحصول على أدق التفاصيل حول شخصي وعائلتي. وفي نهاية اللقاء تركت له عنواني ليتمكن من الاتصال بي بتلمسان، وقبل فراقنا أذكر أنّ السيد « زراق » أمدني بنسخة من جريدة المقاومة الجزائرية. وعند عودتي إلى

خالتي بقيت مدة معها ثمّ استأذنت منها وقررت العودة راجلا إلى تلمسان. كان عليّ أن أعود سرّيا عبر المناطق الحدودية وكنت أودّ أن أُتعب جسدي لتعويده على ظروف السير الصعب وحياة الكفاح التي كنت أتمنى الالتحاق بها في أقرب الآجال. دام عبور المناطق الحدودية عدة ساعات وحين وصلت إلى مدينة مغنية البعيدة عن وجدة بـ 30 كلم شعرت بارتياح لأنني استطعت أن أفلت من أيادي الشرطة والجمارك الفرنسية وهذا يعدّ في حدّ ذاته من قبيل المستحيل، أما الطريق نحو تلمسان فكان سهلا لأنّني استعملت فيه توقيف طريقة السيارات على قارعة الطريق (Auto Stop).

بقيت شهرا كاملا دون معلومات أو مستجدات عن المنظمة، وفي يوم كنت فيه منهمكا في تصليح حذاء في محل والدي تقدّم رجل نحوي وطلب محادثتي، إنّه "منصور" عضو في جبهة التحرير الوطني الذي قدّم لي طردا مملوءا بذخيرة وطلب مني إخفاءه له، وضعت الطرد داخل الدرج، بعد يومين من ذلك عاد السيد « منصور » فأعدت له الطرد، قدّم لي إثره رسالة تحمل التعليمات الأولية التي يجب تتبُّعها، علمت من قراءة الرسالة بأنّ لي موعدا في بيت ابن عمي سيد أحمد بن شقرة.

وفي الغد وأنا في بيت عمي بن شقرة الواقع في حي باب الجياد، التقينا جميعا، حسان الموفد من وجدة من طرف جبهة التحرير الوطني ومنصور، طبعا بوجود ابن عمي سيد أحمد حيث تمحور الحديث حول إعداد استراتيجية تسمح باستقطاب الشباب المناضل في تلمسان من أجل تكوين فرق الفدائيين يكون هدفها التكفّل بمضايقة فرق الشرطة الفرنسية وذلك من خلال القيام بعمليات تدمير وعمليات فدائية داخل المدينة. من أجل ذلك تمّ الاتفاق على موعد آخر، ولكن هذه المرّة يكون الموعد في مكان آخر وتحديدا بمدرسة سيدي بومدين في مكان بعيد عن الفضوليين، وقريبا من المكان الذي سيكون لنا مأوى بعد العمليات الفدائية وقريبا من الجبل.

عند عودتي للعمل في محل الإسكافي كان يجب عليّ أن أواجه أبي الذي طاردني بنظرة قاسية وثاقبة معاتبا إيّاي على طول غيابي. في المساء، وبعد تحسّسها لأشياء غير

عادية، طلبت منّي أمّي اتخاذ الحيطة والحذر إزاء علاقاتي بالآخرين إذ إنّ كثيرا من المشاكل التي قد تحدث ناتجة عن أشياء مشابهة لهاته الصداقات.

لم أكن أعرف ذلك الحين ما الذي كان يدور بخاطرها ولكنّني كنت أشعر يقينا بأنّها تملك موهبة معرفة الأوضاع قبل حدوثها، إذ كلّ ما تقوله لنا أو توحي به إلينا يتأكد فعلا بعد حين، فبالرغم من مشاركة الشعب وحماسه للمساهمة في الثورة ضد المستعمر فإنّ قلب الأم يبقى دائما متخوفا وحساسا لما قد يقع في حياة فلذة كبدها.

أيـــامي الأولى في الفداء

وأذكر هنا بعض الأحاسيس التي كانت تخالج أمي حيث في يوم كنت في الجبل وقررت زيارة أمي ويا لمفاجأتي عندما علمتُ بأنّها أمرت أختي بفتح الباب من أجل استقبالي، كيف عرفَت بأنّي سأقدم في تلك الآونة ؟ الله وحده يعلم.

وفي الغد رافقني "ميمي" صديق الكفاح (اسمه الحقيقي محمد بن بختي) إلى ميدان الكفاح بأعالي سيدي بومدين حيث التقينا جميعا مع حسان الذي علّمنا الدروس الأوّلية للرمي بالرصاص حيث ابتدأنا الرمي على الساعة الثالثة والنصف بتدريبات حول رمي قارورات زجاجية دامت لحد الساعة الثامنة ليلا. وفي أواخر الليل عدت إلى البيت وكنت أعرف مسبقا بأنني سأواجه مرّة أخرى النظرات الصاعقة لأبي والشكاوي الصامتة لأمي.

وأخيرا هذا ما يمكن أن نستخلصه من تحملنا للمساهمة بجدية ونشاط في تحرير الوطن. فالآباء يمكنهم دائما وأبدا أن يصيحوا في أبنائهم، المهم بالنسبة لي أن أكون مجنّدا كفدائي وكان هذا في نظري أعلى درجات التقديس.



مؤلّف الكتاب: ب. بـالي :

هيئة كلها إصرار والتزام كامل بمتابعة الكفاح.

نــشاطاتي المبكّرة

بدت علامات بزوغ الفجر تظهر في الأفق، وكانت السماء موشحة ببعض السحب، تخالجنا نسمات عابقة بروائح عطر زهور المشمش المترامية من الجانب الآخر المحاذي للمذبح على منحدر سيدي لحسن على بعد كيلومتر واحد من الآثار التاريخية لتلمسان بالقرب من خط السكة الحديدية. كانت فرقة مكونة من 10 أشخاص متخفية هناك، إنّها مجموعة من المجاهدين، وكنت وللمرة الأولى من بين هؤلاء. علّموني فن رمي القنابل وكذلك طريقة استعمال السلاح، ولكني لم أقتنع بما أخذت من معلومات نظرية، وكنت ألتهب شوقا للدخول في صميم المعارك وقد توسّلت إليهم ليمكنوني من أداء عملية أو نشاط من هذا النوع كان عليّ أن أصبر (الأوامر هي الأوامر) وأنتظر الموعد المحدد الذي لم يتأخر كثيرا، فقد طلب حسان (مدربنا) متطوعين لرمي بعض القنابل في قلب مدينة تلمسان، وقد رفعت أصبعي؛ تمّ أخيرا اختياري كي أقوم بما كنت فعلا قادرا على أدائه. كان لزاما عليّ أن أتّخذ أساليب الحيطة والحذر لأنّ أيّ خطأ لا يمكن التسامح فيه في هذه العملية، وكان يساعدني رفيقي « ميمي » حيث دخلت معه في مناقشة حادة لوضع خطة الهجوم. بعد ذلك منحني منصور سلاحا من نوع مسدس (7.65) وقنبلة يدوية إنجليزية وقد تمّ تسليح الفرق الأخرى بالطريقة نفسها. وفي انتظار الذهاب، قدّم حسان مدربنا النصائح للجميع، إذ يجب في كل عملية وجود مخطط بديل في حالة تلقي الصعوبات.

على الساعة السادسة صباحا، وقبل طلوع الشمس، توجهت أنا وميمي نحو المدينة ثُم افترقنا لأذهب إلى بيتي ومسدسي بين يديّ مفكرا في المكان الذي يجب أن أخفيه فيه. وفي لحظة عدم انتباه كانت ستكلفني ثمنا باهظا انفلتت القنبلة من يديّ لتقع أرضا ولكن لحسن الحظ لم تنفجر.

بعد أن عملت مع والدي في محل الإسكافي ذهبت لآخذ قيلولتي، استيقظت على الساعة الرابعة والنصف عندها غادرت بيتي العائلي مع ما كان معي من أسلحة مخفاة في طرد متّجها إلى شارع بلعباس أين وجدت في مدخله « ميمي » ينتظرني وبالتحديد بالقرب من نافورة ماء؛ عندها كانت الساعة تشير إلى 5 مساءا، اقتربنا من حانة أخرجت من جيبي تلك القنبلة ونزعت صمامها ورميتها تجاه المحتسين لقنينات الخمر حيث تبعها انفجار قوي تطايرت من جرائه شظايا النوافذ المجاورة ورأيت المارة يجرون في كلّ حدب وصوب والنساء يصرخن ممّا سمح لنا أنا و"ميمي" بالفرار بسهولة. كنّا نتخوف من أن يُقبض علينا في عملية الحشد للمارة لأنه سيتم تطويق الحي بدون شك كما هو معلوم بعد كل عملية فدائية وهو أمر لن يتأخر كثيرا في الحدوث. وفي هذه الآونة بالضبط سمعنا انفجارا ثانيا في الجانب الآخر من المدينة، لقد نجح الفريق الآخر في أداء مهمته وقد أفرحنا ذلك. كنّا شديدي الغبطة لهذا النجاح الأول الذي نُحققه حيث بدت لتوها شوارع تلمسان فارغة من المارة كما أنّ أصحاب المحلات لجؤوا إلى إنزال الستائر الحديدية لمحلاتهم؛ وهنا اتجهت أنا وصديقي ميمي نحو حقل بالقرب من سيدي لحسن أين كان فريقنا من الفدائيين ينتظرنا. أقنع عرض الحال الذي قدمناه جميع الحاضرين في مجموعتنا، بعدها بقليل التحق بنا أفراد المجموعة الثانية الذي تعرض أحد أفرادها المدعو "شايب" لإصابة وجراح لأنّه لم يحتسب فعلا الوقت المحدد للانفجار حيث نالت منه بعض شظايا القنبلة التي رماها، ولحسن حظه كان من بين الفريق ممرض قام بعلاجه بطريقة مركّزة. وقدعلمنا بعد ذلك ومن خلال بيان فرنسي أنّ العملية التي قمت بها قد نتج عنها قتيلان و9 مصابين أما بالنسبة للثاني فقد خلّف 30 مصابا. انتظرنا حلول الليل حتى وصول عون الاتصال الذي أمّننا على الطريق، لم يظهر أيّ اهتمام على أحد منّا؛ كان بإمكاننا أن نتناول في هدوء طعام « كسكسي » لذيذ تم تحضيره من طرف السكان المحاذين للمنطقة ثم تفرقنا ليعود كلّ منا إلى بيته.

مرت 10 أيام على ذلك الحدث، قدِم حسان إلى المحلّ الذي كنت أشتغل فيه مع أبي ليقول لي بأنّ مهمّة هامّة تنتظرني وعليّ أن أكون متأهبا لليوم المعلوم، ومن أجل

الحصول على معلومات أفضل وأدق طلبت من والدي الترخيص لي بالتغيب من المحل. ذهبت إذن مع حسان لنصل بعدها إلى مقبرة سيدي سنوسي. في مكان أبعد بقليل التقينا مع رجال الجبل أحدهم كان يحمل على كتفه زيّا عسكريا بينما يتأرجح على كتفه رشاش من نوع 49 قدم لي نفسه قائلا:

. " أنا مصطفى نائب سي صالح قائدنا »

ثمّ مضيفا « نحن نقود جميع النشاطات والعمليات في تلمسان وضواحيها »

بعد ذلك حضر حمادوش الملقب بسي صالح مرتديا لباسا بلون كاكي قدّم لي نفسه واقترح عليّ أن أكون الوسيط بين الفدائيين والسكان، أوليت اهتماما بالغا لهذا الاقتراح عندها أجابني سي صالح:

. « دعني أقول لك يا حاج بأنّ هذه المهمة ليست بالسهلة وأنّه ما زال لديك كلّ الوقت للتراجع إذا كنت غير مستعد أو غير قادر على أداء هذه المهمة »

قاطعته عندئذ بصوت فاصل " لا..لا.. أنا دائما متطوع "

. " حسنا نحن بحاجة إلى خدمتك مرتين في الأسبوع "

أردف سي صالح قائلا وكلّه ثقة، طلب مني تكوين مجموعة من 5 مقاتلين وأعطاني مسدسا وقنبلة، وعند عودتي إلى المحلّ استأنفت بطريقة طبيعية عملي كأنّ شيئا لم يحدث. وفي المدينة وبعد ساعات العمل التقيت صديقا قدّم لي جريدة « صدى وهران ECHO D'ORAN » أين قرأت نصا يتكلم عن القنابل التي كنّا قد رميناها الشيء الذي أثار اعتزازي؛ وأخيرا أحسست بأنني أصبحت ذا فائدة، حينئذ وبعد قراءتي النص أصبت بالوجوم لأنّ أحدا من رفاقنا فقد حياته إثر جراحه البليغة وكان رفيقنا "حسان" ذلك الفقيد الذي علّمني أصول القتال واستعمال القنابل، وقد كنت فعلا تعيسا من أجله. وفي الغد استطعت أن أجمع 4 مناضلين وشرحت لهم الهدف من مهمتنا وكانوا جميعهم يحملون نشاطا وعزيمة قوية وكانوا ينتظرون بفارغ الصبر الفرصة المؤاتية لوضع قدراتهم حيز التنفيذ.

وبعد 20 يوما وبمناسبة اجتماع قمنا به في بيت، قدّم لي مناضل قائمة 20 شخصا تم توظيفهم وعند قراءة القائمة بقيت مذهولا لأنني وجدت من بين الأسماء المسجلة اسم أخي محمد الذي لم يكن ليبلغ 16 سنة من عمره، وقلت في قرارة نفسي: "أخيرا يجب أن أنساق مع الواقع وأنّ القدر قرّر حتما أن تكون الأحوال هكذا، إنها مصادفات حرب شعبية ساهم فيها الجميع رجال وشباب وأطفال وبنات ونساء".

و في الغد تركت رسالة إلى والدي قائلا له فيها بكلّ ثقة وإقناع :

. " أبي قدّم هذه الرسالة إلى محمد في حالة ما إذا حصل له شيء "

عندها نظر إلي والدي بنظرة ثاقبة متعمدا عدم فهمه لأي شيء مما أقول

فأردفت قائلا له : " أرجوك يا والدي إنّ الوقت غير ملائم لأن تطرح عليّ أسئلة وإنّك ستعرف كلّ شيء في الوقت المناسب "

أجابني والدي قائلا :" حسنا " وأخذ الرسالة ليضعها في الدرج وقد طلبت فيها من أخي الالتحاق بي في الجبل وبالتحديد في سيدي الطاهر في الجنوب الشرقي لتلمسان، هذا إذا تعرض يوما إلى قلق أو مشاكل مع الشرطة وكان هذا فعلا ما فعله أخي شهرا واحدا من بعد.

وفي يوم أحد جميل مشمس كنت في المحل وعلى الساعة 11 صباحا تقدم إليّ عون اتصال اسمه عبد السلام وكان قادما آنذاك من وجدة. قدم نفسه ثم غادرنا المكان لأن بانتظارنا مهمة كان علينا واجب أدائها. وقد انتظرنا قرب ثانوية سلان SLANE (إكمالية ابن خلدون حاليا) فتاة اسمها ربيعة التي لم تتأخر كثيرا في الوصول وكانت تلبس لحافا تقليديا وعند وصولها بالقرب منا أعطتنا في خفية وتحفظ مسدسا وخنجرا عندها بحثنا عن هدف؛ كان هناك عسكري فرنسي شاب مجند "عسكري بسيط" مثلما هو متداول في اللغة العسكرية "JARGON" وكان يقوم آنذاك بشراء حاجياته من السوق وبحركة سريعة استطعت أن أحاصره، طلبت منه قائلا:

. " ارفع يداك "

عندها سقط العسكري أرضا وبدأ يصيح بشكل مفزع، استطعت في تلك اللحظة أن أقصّ الحزام الحامل للرشاش ثم فررت مع "عبد السلام" آخذا معي السلاح.

وبغرض الابتعاد عن الأسلاك الشائكة اضطررنا إلى القفز من علوّ 4 أمتار للخروج من المدينة متّجهين نحو مركز القيادة لنُبلّغ النبأ السعيد إلى سي صالح، لكن لم يكن الوقت يسمح لأنّ موعد اللقاء لم يكن قد حلّ بعد، عندها أنبني سي صالح قائلا :

. " إنّه لا يمكن السماح مستقبلا بعدم احترام الأوقات المحددة من طرفي لملاقاتنا "

فهمت أنّه من الواجب عليّ الحذر والاحتياط للمرات القادمة وأنّه كان عليّ اتباع النصائح واحترام الأوامر بالحرف الواحد، هنا تيقّنت بأنّي بدأت أتعرّف على أصول الانضباط والدقة.

و عند عودتي إلى المحل وجدت أبي غاضبا جدا، كان يصرخ ويصيح قائلا :

. « لا يمكنني السكوت على غياباتك وإهمالك لواجباتك، أين كنت ؟ »

عندها أجبته : ." أبي أعتذر ولكنني لن أستطيع مستقبلا احترام أوقاتك لأنّ الواجب يدعوني، ولا أستطيع حياله شيئا" وفي هدوء كامل أردفت قائلا "إنّ الجهاد عمل مقدس وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى به ».

ولأول مرّة أرى دموعا تنهمر من عينيه عندها أحسست أنّ حنجرتي تضيق وخرجت من المحل فتبعني والدي قائلا :

. " ولدي خذ حذرك، واهتمّ لنفسك أتمنّى أن أراك صحيحا معافى ».

لم يبق لي أيّ سر أخفيه عن عائلتي، لقد تحرّرت من هذا الجانب وأيقنت عندئذ بحقيقة التزامي وأصبح لزاما علي أن لا أتراجع، ولسوء الحظ بالنسبة لعائلتي كنت منبع جميع مآسيها لأنّه بعد الحريق الذي أتى على مطحنة ليفي "LEVY" وحريق المزرعة فورنو " FOURNEAUX" مثلما تحدثت عنه في السابق كنت محل بحث من طرف الشرطة. حيث قامت الشرطة بتدمير كل ممتلكاتنا ممّا حمل والديّ على الفرار أمّا إخوتي فأحدهم التحق

بصفوف المجاهدين بينما أخواي الآخران عبد الحق البالغ من العمر 10 سنوات وعبد المجيد 13 سنة فكانا بعيدين عن أمّهما. لقد استطعت أن أفرق أفراد عائلتي أما بالنسبة لي فحالتي هذه لم تكن حالة معزولة فخلال الأحداث التي عايشتها فإن عائلات كثيرة ضحت بأبنائها مثل عائلة بن شقرة وعائلة بن دي جلول وكذلك عائلة مدني وعائلة بختي وبن عصمان وأكتفي بهذا القدر الذي أتحدث فيه عن هذه العائلات فقط التي ضحت كلّ واحدة منها بأكثر من ابن على الأقل في المرة الواحدة فهذه الحرب لم تبقي ولم تذر ولم ترحم أحدا.

خلال شهر رمضان 1958 دق طارق على باب منزل عائلة أبوبكر[1] الواقعة في درب القاضي بحي باب الجياد، إنه ضابط فرنسي يدعى " فرانسوا" يرافقه ضابط ثاني من أصل جزائري أتيا للبحث عن الحاج محمد محداد الذي أُخذ عنوة إلى محافظة الشرطة ليكون محل استجوابات جد حادة.

. " لماذا تقدم الطعام إلى بوجلطية ؟ "

. " إنّه هو الذي يتكفل بممتلكاتي بمغنية " يجيب الحاج محداد

وبعد برهة قليلة للتروي وإجراء تحريات لاحظ ضابط المناوبة المسمى "بيك Pick" صحة أقوال السيد محداد عندها طلب من الضابط "فرانسوا" إيصال الوجيه محداد إلى داره لأنّ حظر التجوّل يمنع فيه الخروج ليلا. في الغد تلقّى الضابط فرانسوا رصاصتين في القلب، لقد قُتل من طرف بطل مكافح اسمه هواري. الحاج محداد –الذي هو في الحقيقة محافظ سياسي لجبهة التحرير الوطني– أمر بإعدام المفتش فرانسوا الذي أصبح يشكل خطورة من خلال تحرياته.

وعند مرورنا وعبورنا عدة مرات في اليوم مركز المراقبة الواقع بباب سيدي بومدين[2]، لاحظت بأنّ المناوبة في الحراسة لكتيبة " CRS الكتيبة الجمهورية للأمن " تتم يوميا على

---

[1] عائلة من وجهاء تلمسان معروفة بالقاضي شعيب أبو بكر المشهور والمتوفى سنة 1928 مؤلّف للعديد من الكتب، ابنه عبد السلام المدرس بدار الحديث، توفي سنة 1941.

[2] أحد الأبواب العديدة لمدينة تلمسان.

الساعة الواحدة زوالا، تأتي خلال هاته الساعة بالضبط شاحنة من نوع GMC لإتمام عمليات المناوبة ليغادرها بعضٌ من الشرطة بينما تنقل الآخرين.

وبعد أسبوع من الترصد لاحظت بأنّ شرطيين من كتيبة CRS يصعدون على متن الشاحنة بصفة منتظمة ليتم نقلهم إلى عدة أحياء عبر المدينة: 4 من شرطة CRS إلى باب الجياد و4 آخرون إلى باب سيدي بومدين و4 آخرون إلى باب وهران وأخيرا 4 إلى باب الحديد، هذه الحركة تسمح للفريق الأوّل بالذهاب لتناول الغذاء.

لقد اهتممت كثيرا بهذه الحركة الثابتة كلّ الاهتمام وعليها ذهبت يوما على الساعة 08 صباحا لأدقّ باب أحد أقاربي من عائلة بن شقرة القاطنين بباب الجياد ففتحت خالتي الباب مندهشة قائلة:

. " ماذا بك يا بني ؟ أتمنى أن يكون كل شيء على ما يرام "

أجبتها بكل هدوء واطمئنان :

. لا يا خالتي ليس هناك أي شيء أبدا، أردت فقط التكلم مع محمد "

ودلّتني على غرفته قائلة :

. " إنّه في الأعلى في غرفته، اصعد "

و عند وصولي إلى آخر السلم رأيت محمدا متمدّدا فوق سريره يطالع صفحات الجريدة مندهشا لزيارتي الصباحية وهمّ بالوقوف قائلا :

." أتمنى أن لا يكون قد حدث أي خطر يا ابن عمي "

بقيت محافظا دائما على اطمئناني وأجبت :

. " لا لا يوجد أبدا أيّ شيء يذكر.

جلست إلى جانبه وأفدته بمحتوى العملية التي ارتأيتها ونويت القيام بها والمتمثلة في رمي قنبلة على الشاحنة GMC ثم بعد ذلك أطلعته على التفاصيل التي كنت قد لاحظتها طيلة أسبوع كامل.

عندها طلبت منه النصيحة وبعد ساعة كاملة من النقاش خرجت من بيت بن شقرة متيقنا ومليئا بالحيوية نتيجة التشجيعات التي قدّمها لي قريبي محمد.

وفي الغد الذي كان موعدا لي مع سي صالح حمادوش سلكت طريق سيدي الطاهر لكي أحيطه علما بما كنت أنوي القيام به والحصول -إذا نلت موافقته- على قنبلة متعددة المربعات من صنع إنجليزي. وعند وصولي إلى المكان وضعت مخطط الهجوم بين أيدي سي صالح الذي وافق بعد إطلاعي له على التفاصيل والشروحات المتعلقة بالعملية. وبعد يومين من ذلك كلّفت المناضلة مفيدة بن منصور المدعوة لطيفة بأن تودع هذه القنبلة عند خياط الجلد المسمى "عبد الغني شيعلي" وبالضبط في محلّه الواقع وراء السوق العتيق (المدرس) المسمى في أيامنا هذه بساحة الشهداء، غير بعيد بكثير عن المكان المعين للهجوم المرتقب.وكنت قد كلّفت صديقي الحميم "ميمي" بالقيام بدور المترصد في السويقة وهو مكان يقع على بعد 200 متر تقريبا من مركز المراقبة الواقع بباب سيدي بومدين. كان ذلك في يوم شديد الحرارة من شهر أوت 1956 على الساعة 12 و55 دقيقة، رأيت ميمي يفرك رأسه وهي الإشارة المتفق عليها بيننا. بعد ثوان، تراءت لي من بعيد شاحنة GMC وعلى متنها الشرطة متهجة نحوي وبسرعة فائقة نزعت من القنبلة صمام الأمان بكل تعقل ورزانة وحضور بصيرة، رميت بصمامها داخل حوض صرف المياه ورميت القنبلة على الشاحنة المقلة للشرطة.

وقبل أن أصل إلى طريق السويقة سمعت انفجارا قويا. وبالرجوع إلى النصائح التي قدمها لي قريبي محمد ولجت الطرق المؤدية إلى الحي الأوروبي لأنّ الحي العربي يتمّ حصاره بعد كل عملية يتبعه اعتقال عشوائي أعمى. كنت أسير بهدوء إلى غاية باب الجياد وعند وصولي إلى مسكن عائلة بن شقرة أين كان محمد ينتظرني قلقا جدّا إلاّ أنّه عند رؤيتي بدت عليه علامات الاطمئنان عندها أجبرت على البقاء في باب الجياد لأنّه كما هي العادة بعد كلّ عملية يتم غلق مراكز المراقبة المتواجدة في وسط تلمسان ويخضع جميع المارّة المسلمون إلى مراقبة صارمة وتفتيش دقيق ولا يتم فتحها إلى في حدود الساعة الرابعة مساءا.

بعد رفع الحواجز، انتهزت فرصة التجمهر وذبت داخل المارة لأتجه بعدها مباشرة نحو الطريق المؤدي إلى مركز القيادة فرحا ومبتهجا بنجاح العملية.

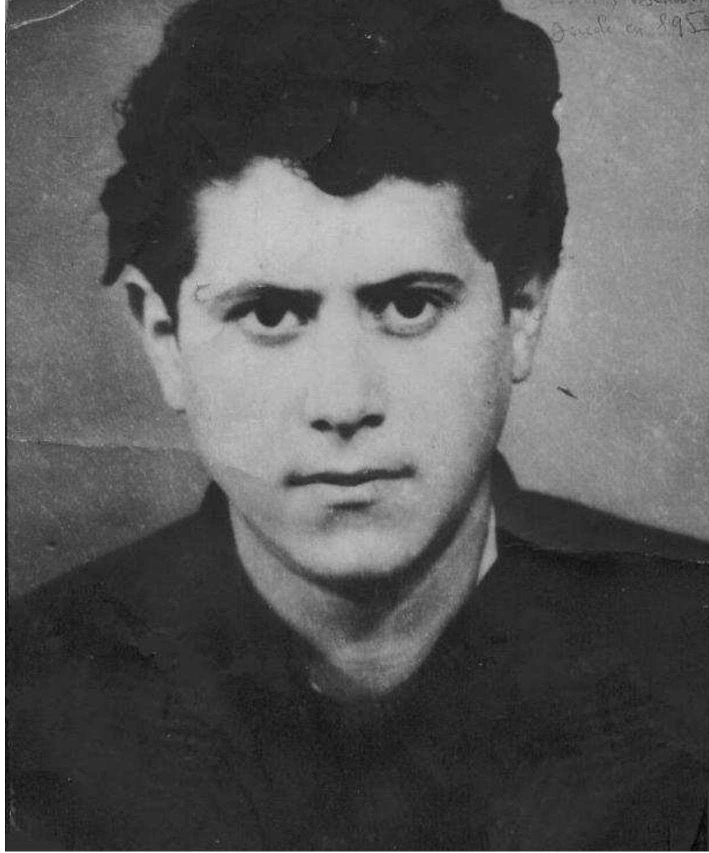
هنأني سي صالح بنجاح العملية ووجّه لي عبارات مشرِّفة ومميّزة، وعلى الساعة السادسة مساءا وصلتنا أنباء بأنّ القنبلة تسببت في قتل 4 شرطة CRS كما تسببت في جروح بليغة لـ 9 منهم، ولكن مثلما يقول المثل "لكلّ قطعة نقود وجهها الآخر" إذ عندما رميت القنبلة على الشرطة تواجدت فتاة اسمها عمارية، كانت جارتي لمحتني أثناء رمي القنبلة وبعد العملية نزل سائق الشاحنة GMC معافى وتمكن من القبض على الفتاة وأجبرها بأن تعترف بأنّها رأت الإرهابي حيث وصفت له شكله وهيئته ومن شدّة الخوف والهلع بدل أن تقول إنّه جاري قالت إنّه " ابن عمي ".

وبطبيعة الحال تمت محاصرة منزلي من طرف مفتش الشرطة ساليناس "SALINAS" وأعوانه، أما أخي محمد فقد تم توقيفه في محافظة الشرطة ولم يتم إطلاق سراحه إلا على الساعة السابعة مساءا بعدما سُحبت منه بطاقة تعريفه لإتمام وجوب حضوره في الغد على الساعة الثامنة صباحا بالضبط، وبدل أن يحضر في مقر الشرطة التحق بي كما كان متفق عليه (حسب التعليمات التي تركتها لدى والدي) إلى معسكر سيدي الطاهر في الصباح ليبقى بجانبي.

وبعد 3 أيام تمّ إحضار الفتاة عمارية التي عرّفت بهويتي أمام الشرطة وقد اتفقنا على أن لا نتّخذ أيّ قرار بشأنها لأنّها لم تكن تبلغ من العمر إلاّ السادسة عشر، وفي هذه الآونة التي كنّا نعقد فيها اجتماعنا رأينا عددا من الجنود الفرنسيين على متن سيارات. انسحبنا على الفور وبعد استتاب الوضع اصطُحبت عمارية إلى مدينة الحناية التي تبعد بحوالي 10 كلم شمالا عن تلمسان. ماذا حدث لهذه الفتاة بعد ذلك؟ لم أعرف ذلك أبدا.

دخلت تلمسان كلّها في نشاط متواصل ودائب للنضال والكفاح ضد الاستعمار والمساهمة في تحرير الوطن. إنّ حالة الوعي التي وصل إليها المواطنون تعدت بكثير

واخترقت الذهنية المتغطرسة للسلطة الاستعمارية وحطت من معنوياتها، حيث لم تعرف أين تدير وجهتها.



" سلكــة "

شاب في 19 من العمر سقط شهيدا على يد الجنود الفرنسيين عندما كان يحاول الهجوم بواسطة القنبلة على فرقة من الجنود المستعمرين.

اغتيـــال الشهيــد

الدكتــور بن زرجب: الرجل الذي حرّض تلمسان على الثّورة

إنّ الموت المأساوي لهذا الشاب الذي ينحدر من عائلة عريقة من عائلات تلمسان المعروفة، قد لعب دورا مهما في ثورة مواطني مدينة تلمسان، وتلاحم المنطقة كلها. ولم يكن ينقصه شيء (بن عودة): عائلة لها بعض الممتلكات، وحرفة شريفة وعيادة طبية واقعة بوسط المدينة، بيت جميل وزيادة على ذلك تملك مزرعة خلابة بـ "صفصاف".

ولكن كل هذا لم يكن ليمثل شيئا بالنسبة له، كان متعطّشا للحرية ولكرامة شعبه، كان لهذا الرجل منذ نعومة أظافره هدف واحد مثالي: المشاركة في تحرير بلاده من نير المستعمر، ومن أجل هذا الهدف لم يتردد في التجنّد وتعريض حياته فيما بعد للخطر.

بن عودة بن زرجب، ولد بتلمسان في 09 فيفري 1921، ذو طبيعة انعزالية انطوائية هذا ما يؤكده أخوه، حيث كان دائما منضبطا في الدراسة بين وكراريسه وكتبه، لم نكن نحس بوجوده بالبيت، الذي هو ملك تركه أبوهم كان بائع تبغ.

لما قارب العشرين من عمره، تحصل على البكالوريا، بعد دراسته بثانوية سلان "SLANE" بتلمسان المسمى حاليا بإكمالية ابن خلدون، كما تحصل على شهادة الدراسات العليا في الفيزياء والكيمياء والبيولوجيا سنة 1941.

ذهب خفية إلى فرنسا التي كان جزء منها محتل من طرف ألمانيا وفي باريس ناضل إلى جانب جلول خطيب وبن سماعين في حزب الشعب الجزائري "**P**arti du **P**euple **A**lgérien"، الذي أُسّس من طرف مصالي الحاج أول سياسي جزائري معاصر في ذلك العهد، كان أول من طالب باستقلال الجزائر. أسس مصالي الحاج ثلاثة أحزاب سياسية متتالية :

. نجم شمال إفريقيا سنة 1926 **E**toile du **N**ord **A**fricain

. حزب الشعب الجزائري سنة 1927 **P**arti du **P**euple **A**lgérien

. الحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية سنة 1946

Mouvement pour le **T**riomphe des **L**ibertés **D**émocratiques

و بعدها المنظمة الخاصة " اليد المسلحة " لحزب الشعب الجزائري، طالبت هذه الأحزاب على الدوام بالاستقلال الشامل للبلاد، في حين أنّ الحركات السياسية الأخرى، أو السياسية الدينية، كانت تكتفي بالمطالبة بالإصلاح أو دمج الجزائريين بفرنسا.

علاوة على ذلك فإنّ المجاهدين الذين أعلنوا أول نوفمبر 1954 بداية حرب التحرير، قد كُوِّنوا جميعهم من طرف مصالي الحاج وكانوا أعضاءا في حزب الشعب الجزائري والمنظمة الخاصة. لقد كان بن زرجب ما بين 1942 و1943 الأمين العام لجمعية الطلاب المسلمين لشمال إفريقيا **A**ssociation des **E**tudiants **M**usulmans " AEMNA **N**ord **A**fricains" التي كان مقرها بباريس "115 Boulevard Saint Michel" 115 شارع سان ميشال. وفي سنة 1945 بعد زيارة قصيرة للجزائر عاد ثانية إلى فرنسا. وكان بالإضافة إلى دراسة الطب يواصل بدون كلل أو ملل نشاطاته السياسية.

وفي سنة 1948 وبالضبط في 5 من جويلية تحصل على الدكتوراه في الطب بأطروحة تحت عنوان " مشكل فقر الدم والسرطان".

وفي السنة نفسها، فتح عيادة طبية بتلمسان وبسرعة فائقة استطاع أن يصل إلى نجاح باهر وبقي بالرغم من كل ذلك وطنيا Compatriote، حيث كان سكان المدينة يفضلون العلاج عند ابن المدينة لأنّه من البداية فتح أبواب عيادته لمعوزي المدينة الذين كان يعالجهم بدون مقابل، كما أنّ كفاءته وشهرته دفعت بالكثير من الأوروبيين إلى العلاج عنده.

ومع انطلاق الثورة سنة 1954، بدأ بن زرجب يرى أحلامه تتحقق لأنّ تكوينه السياسي وماضيه النضالي جعلاه من الرجال الأوائل في المدينة الذين التحقوا بحركة التحرير الوطنية، حيث بدأ بإنشاء خلايا المقاومين في المدينة واهتم أيضا بالجانب الطبي، وبالتكفل

بالجرحى المحتاجين إلى العلاج والرعاية بعد الاشتباكات مع الجيش الاستعماري. أخذ على عاتقه نقل كميات الأدوية والكمادات وإيصالها إلى مراكز المقاومة المتواجدة في الناحية بالرغم من المراقبة الصارمة والشديدة المفروضة على جميع الصيدليات من طرف الشرطة. كل ليلة كان ينتقل شخصيا من أجل معالجة الجرحى في مراكز المقاومة القريبة من المدينة، بينما في النهار ودون تعطيل الفحوصات التي يقوم بها في العيادة، كان يستقبل أعوان الاتصال القادمين لأخذ التعليمات والأدوية. وقد كان الدكتور بن زرجب يقوم بزيارات منتظمة للمرضى القاطنين في الأرياف والضواحي المجاورة للمدينة، وكانت عائلات بن قدور وبن ساحة من مرضاه المعتادين، فابنهم بومدين (رجل الأتعاب والمشقات) الذي يعمل لدى يهودي من تلمسان إسمه أمسلم (Amsellem) (الذي كان على رأس مؤسسة هامة تقوم بشراء مادة الحلفاء وتحويلها) عقد هذا الابن علاقة صداقة مع الطبيب، وفي حقيقة الأمر كان بومدين هو أيضا مناضلا نشطا من مناضلي جبهة التحرير الوطني، وبعد زمن قليل تم تكليفهما من طرف ج.ت.و لشراء آلة نسخ لطبع المنشورات. وهذه مهمة تعتبر صعبة للغاية لأنّ هذا النوع من الأجهزة كان تحت المراقبة الصارمة. وعليه انتقل الرجلان إلى وهران بسيارة الطبيب من نوع فولكس فاقن قوليات "VolksWagen Goliat" وهي سيارة فريدة من نوعها بناحية وهران القديمة. ونظرا لكون هذا الجهاز الناسخ لا يمكن شراؤه إلا بترخيص مكتوب من طرف الشرطة مصحوبا بوصل طلبية من طرف زبون مقيم، تقدم الدكتور لبائع فرنسي في شارع أرزيو بوهران (حاليا شارع العربي بن مهيدي) بوصل طلبية مزور من طرف مكتبة معروفة بتلمسان لصاحبها بجاوي وللتاريخ نسجل بأنّ ثمن الجهاز الناسخ كان 160 ألف فرنك في ذلك العهد. تمت العودة إلى تلمسان بدون أية مشاكل تذكر، حيث افترق الرفيقان الطبيب وصاحبه في بداية ظهيرة يوم الخميس 13 جانفي بالرمشي، كانت مدينة صغيرة بعيدة بـ 25 كلم شمال تلمسان وهو المكان الذي وضعت فيه الآلة الناسخة، واتفق الدكتور بن زرجب على لقاء رفيقه في الغد.

وعند حلول الظلام قام بومدين بشحن الجهاز الناسخ (Roneo) في شاحنة أمسالم اليهودي حيث موّهها بالحلفاء لينقلها إلى مدينة سبدو (مدينة صغيرة في الجنوب الغربي لتلمسان).

وفي الغد الذي كان يوم الجمعة لم يظهر الطبيب، وفي المساء جازف بومدين وهتف مساءا إلى الطبيب لأنّه كان شديد القلق عليه.

في الحقيقة لقد تم توقيف الدكتور، لأنّ البائع الفرنسي للجهاز الناسخ قد بلّغ الشرطة عن عملية البيع وقد أعطاهم ملامح المشتري ووصفه لهم بالتفصيل وأعطى الوصف الدقيق لسيارته نظرا لندرة هذا النوع من السيارات في المنطقة، وقد تم التعرف عليه بسرعة، لكن الشرطة احتجزت الطبيب كوسيط لعملية الشراء ولم تتعرف على هوية الطالب ومكان وجود الجهاز الناسخ، نحن نجهل ما الذي قاله الدكتور بن زرجب للشرطة، لكن ما نعرفه هو أنّه ذكر لهم بأنّ له مواعيد مع المرضى.

وأملا في الوصول إلى الشاري الحقيقي، تمّ الإفراج عنه لكن تمت مراقبته من طرف مفتشين من شرطة الاستخبارات العامة (Police des Renseignements Généraux) اللذين رافقاه إلى عيادته وأقاما بها.

استقبل الطبيب يوم الاثنين 17 جانفي زبونا مميّزا، لقد كان عون اتصال باسم قويدر دالي يوسف، مبعوث من طرف قيادة ناحية سبدو، نعرف أنّ الطبيب قد أعطاه رسالة لكن نجهل محتواها ؟ وإلى من بعثت ؟

بعد أن شرح الدكتور الوضعية لعون الاتصال، طلب منه العون الهروب عبر الباب الخلفي لعيادته، وهذا أيضا نقطة مظلمة لماذا رفض ؟ هل كان يعلم أنّ الأبواب كلّها مراقبة؟ هل كان يظن بطيبة قلبه بأنّ الشرطة سوف تضع اعتبارا لوضعيته كطبيب وأحد الوجهاء بالمدينة ولن تسبب له المتاعب أو حتى تقتله؟

واصلت الشرطة الاستجوابات مع الطبيب، ونحن نجهل تحت أي نوع وبأية وسيلة تمّت بها هذه الاستجوابات إلى أيّ حدّ ضغطوا عليه، حيث انتهى به الأمر بالقول بأنّ الجهاز بمنطقة سبدو.

وبسرعة حملته الشرطة تحت حراسة مشددة إلى المدينة الصغيرة كي يدلّهم على المكان بالضبط. وعند وصولهم إلى دوار "ولد حليمة" المتواجد على بعد 4 كيلومترات من مدينة سبدو، قفز الدكتور من سيارة جيب (Jeep) التي كان متواجدا بها، لكن أصابه وابل الرشاشات في الحال وكان هذا اليوم الإثنين 17 جانفي 1956: استشهد الدكتور بن زرجب رحمة الله عليه.



الدكتور الشهيد بنعودة بن زرجب



ميصالي الحاج (1998 – 1974)
مؤسّس الحركة الاستقلالية في المغرب العربي

عملية معمل الزرابي الشرقية أو سي الطيّب المشحّم (Graisseur)

كانت أوّل عملية عسكرية على نطاق واسع داخل تلمسان في نهاية سنة 1955. فقد وضعها وخطّط لها، مجموعة من الرجال متكوّنون من العقيد لطفي، عبد الله نهرو، بومدين وجدي، حاج بن ديبون، العربي بن عمار وعبد الرزاق بختي. لقد استخدموا في هذه العملية بائع موز "سي الطيّب" المعروف باسم "المشحّم Le Graisseur " والذي كان بمقدوره الدخّول بسهولة داخل معمل الزرابي الشرقية الذي يقع في المكان المعروف بـ "المشتل Pépinière". لقد حوّل هذا المعمل القديم للأقمشة والزرابي إلى ثكنة عسكرية من طرف جيش المستعمر. تظاهر سي الطّيب بأنّه تاجر وديع، استطاع أن يتّصل بالجنود الجزائريين المجندين في الجيش الفرنسي ليحثّهم على الفرار من الجيش الاستعماري. لقد كانوا ثمانية عشر، كان من بينهم الملقب وشيمن Wachimine، وهو في الحقيقة تحريف لاسم "هو شي منه" محرّر فيتنام، ثمّ العريف عبد الله وتاج، كان هؤلاء الثلاثة يتحركون كي يدفعوا برفاقهم إلى الفرار من الجيش الفرنسي والالتحاق بجيش التحرير الوطني.

ثلاثة أشهر بعد الاتصالات الأولى، وفي ليلة على الساعة ثانية صباحا لحظة تغيير الحراسة، قام اثنا عشرة عسكريا جزائريا بتكسير باب الغرفة التي كانت تحتوي على الأسلحة وأخذوا أكبر قدر ممكن منها ثمّ فرّوا وانضمّوا إلى مركز جيش التحرير الوطني الذي كان يقوده العقيد لطفي. سمحت هذه الكمية من الأسلحة المسروقة بتسليح الفدائيين برشاشات (MAT49) وبالمسدّسات بينما من قبل في مركز المقاومة سيدي الطاهر لم يكن يملك المقاومون من السلاح سوى بندقية قصيرة وحيدة وثلاث قنابل يدوية ورشاش واحد. كانت المجموعة جدّ سعيدة بهذا النجاح وقد شُجّعَت من طرف المسؤولين العربي بن مهيدي ومختار بوزيدي. وتتمثّل الفائدة الثانية من هذه العملية في أنّ الإثني عشر جنديا الذين فروا قد تحصّلوا على تدريبات مكثّفة من طرف الجيش الفرنسي، ممّا جعلهم بعد ذلك يصبحون

مكوّنين لجنودنا المستقبليين. لقد دفعت نتيجة هذه العملية المجموعة التي يقودها عبد الله نهرو إلى محاولة الشيء نفسه، في ثكنة سيدي العبدلي، قرية استعمارية تقع على بعد 20كلم شرق تلمسان. وقد نجح الهجوم حيث بالإضافة إلى فرار الجنود الجزائريين من الثكنة، تمّ أسر أربعة وستين (64) جنديا فرنسيا، والإستحواد على كمية ضخمة من الأسلحة. كان الهدف بعد ذلك هو توصيل الأسرى الفرنسيين إلى وجدة لتقديمهم إلى الصحافة الأجنبية.

كان يمكن لهذه العملية أن تعود بالفائدة الكبيرة في الدعاية لحزب جبهة التحرير. لكنّ الطريق الذي سلكه المقاومون كان طويلا. فمن سيدي العبدلي مرّ الموكب الطويل بعين فزّة، سبدو ثمّ فلاوسن.وقد سمح هذا التأخر للجيش الفرنسي بالعثور على أثر المجموعة، واستمرّت المطاردة خمسة عشر يوما. هنا اضطر نهرو إلى الأمر بإعدام الجنود الفرنسيين بالسلاح الأبيض حيث أصبح هؤلاء يشكلون عبئا ثقيلا على المجموعة، ممّا سمح لها باجتياز الحدود دون خسائر كبيرة.

لِنعد إلى سي الطيب "المشحّم Le Graisseur". أليس من العدل كتابة بعض السطور عن أحد رواد الحركة التمرّدية بالجزائرية؟ أصبح محمد بن صغير يدعى سي الطيب في صفوف جيش التحرير الوطني. لقد ولد سنة 1930 بالمغرب قرب مدينة الناظور ثمّ نشأ بتلمسان في ضاحية فدان السبع بالطرف الشمالي من تلمسان. كان فلاحا منذ صغره، وكان محترما احتراما كبيرا من طرف البستانيين الذين كانوا يثقون به نظرا لاستقامته وجديته في العمل. لقد لقبه وكلاء سنوات الخمسينات بـ "المشحّم Le Graisseur" لأنّه كان يواكب شاحنات الخضر من تلمسان إلى وهران. لقد التحق بجيش التحرير الوطني منذ 1955 وقد شدّ الانتباه بشجاعته وبقبوله بكلّ المهمّات الصعبة الخاصّة بتخريب الإنشاءات الاستراتيجية الفرنسية أو الهجوم على جنود الاستعمار للاستيلاء على أسلحتهم. لقد جعلته أفعاله هذه – في سنة 1957– يرتقي إلى رتبة محافظ سياسي للمنطقة الأولى.

كان يقود مجموعة اصطدام والتي زرعت الرّعب في صفوف القوّات المحمولة جوّا « Para »للجنرال "برتران Betrand" وشرطة المفتش "سليناس Salinas "وشريكه "لاسكار

Lascar" الذي انتهج نشاطا خطيرا ضدّ وطنيي المدينة جميعهم. لقد ضلّلت تحرّكات سي الطيّب وهجماته المفاجئة، الجيش الفرنسي الذي نظّم عدّة عمليات تمشيط من أجل القبض عليه، هو ورفاقه في السلاح: سي بغداد، شلدة بولنوار، سي عمران، عبد السلام قرموش، سي مفتاح وعبد الغني زناسني أصغر المجموعة حيث كان عمره 17عاما في سنة 1958.

لقد أصبح سي الطيب ذا شعبية بناحية صفصاف وبني بوبلان[1]. في عام 1956، حاول الفقيد سي حوافي المحافظ السياسي، أن يختبره يوما فطلب منه أن يتحصّل على سلاح ناري بطرقه الشخصية، وفي الليلة نفسها عاد سي الطيّب إلى المركز يحمل رشّاشا آليا.

– من أين حصلت على هذا السلاح؟ سأله مسؤول جيش التحرير الوطني.

– لقد تسلّلت إلى ثكنة "حقل الرماية"، وبدون إحداث ضجيج، هاجمت حارس المراقبة ثمّ استوليت على سلاحه.

وفي عام 1958، بينما كان العسكريون يوما يقومون بعرض فليم دعائي عن الجنرال "ديغول DeGaulle- في ضاحية أغادير شرق تلمسان، قام سي الطيّب برمي قنبلة يدوية ثمّ أطلق طلقات متتالية من رشاشه ممّا جعل قوات Bertrant في وضعية جدّ حرجة. فقد قاموا بالاحتماء بالسكان ظنّا منهم بأنّه هجوم كبير من جيش التحرير الوطني، لقد جعلت هذه الحادثة. القوّات الفرنسية المحمولة جوّا « Les parachutistes »، أضحوكة، هي التي كانت تزرع الرعب في السكان. وبمناسبة الحساب الشهري لجمع التبرعات الخاصّة بالناحية، لم ينس سي الطيّب أبدا أن يقتطع بعضا من المال المجتمع كي يوزّعه على عائلات الشهداء والعائلات التي أبناءها موجودون في السجن.

إنّ تحرّكه الدّائم بين غابة زريفلات بغرب المدينة وصفصاف بشرقها، سي الطيّب رفاقه سي بغداد وسي يزيد قد غُدِر بهم في ليلة 28 جانفي 1959. بينما هم ذاهبون إلى باب العقبة، نصب الجيش الفرنسي لهم كمينا قرب مزرعة بلحاج عمارة. لقد دافع سي الطيّب ورفيقيه إلى غاية أن سقطوا في ميدان الشرف- لقد أصرّ الجنرال «برتران Bertrand»

([1]) ضيعة تقع على بعد حوالي ثلاثة كيلومترات في الجنوب الغربي لتلمسان

شخصيا على رؤية جثة البطل التي عرضت بسوق المواشي كي يرعب السكان وكذلك يمحي آثار هجوم 1958 الذي كان مذلاّ له ولجنوده.

كما أنّ منزل سي الطيّب نسف بالديناميت بينما لم يبق لزوجته وأبنائه الثلاثة من ملجأ سوى الجيران.

هكذا كانت حكاية هذا الأخ المغربي، بطل عظيم في الثورة الجزائرية.

الـدورية المزيّفة

في شهر فيفري من سنة 1956 عاشت فيه تلمسان فصلا شتويا قاسيا، وفي سيدي الداودي (حي في الشمال الشرقي للمدينة)، كان محمد فلاحا يجمع صناديق الخضر لنقلها إلى سوق الجملة في شاحنة مغطاة، وبينما كان يعمل على وضع الصناديق الواحد فوق الآخر من أجل تسويتهم في الشاحنة، تقدّم إليه رجلان لم يكن يجهلهما، وبعد التحية المتعارف عليها راقبا جيدا إن كان هناك بعض المارة في تلك الناحية، وكانا فعلا عونا اتصال جاءا لمقابلة محمد (الذي كان عضوا بالمنظمة) للقيام بعملية ذات أهمية بالغة يتطلب تحقيقها استعارة شاحنة زميلنا الفلاح. قرّر وضعها تحت تصرف الإخوة في الغد على الساعة السادسة مساءا، ثمّ يتقدّم على الساعة السابعة مساءا بإيداع شكوى بسرقة شاحنته بغرض التمويه والتشويش.

وفي الساعة المحددة وداخل السيارة المغطاة التي يقودها مصطفى بونوار، وهورجل خارج عن القانون أعلن توبته وقرر التضحية من أجل القضية الوطنية عارضا أداء البلاء الحسن مثل ذلك الذي قدمه الشهيد « علي لابوانت » في الجزائر. وكان يوجد داخلها ستة رجال من بينهم طبيب يدعى عبد الرزاق بختي. كانوا متنكرين في الزيّ العسكري الفرنسي، توقفت السيارة في أدنى السلم المطل والمواجه لساحة الانتصارات المسماة اليوم بساحة الشيخ البشير الإبراهيمي.

لقد قام هؤلاء "الجنود" بادئ ذي بدء بدورة على قاعة السينما "الكوليزي" للالتحاق بعدها بساحة الانتصارات وعند وصولهم بمحاذاة نزل المغرب، كانت فتاة فرنسية تراقبهم من الشرفة ملاحظة بأنّهم عسكريون مزيّفون، لأنّ واحدا منهم كان يرتدي نعلا كتانيا وشعرت بأنّ شيئا ما غير عادي سيحدث، عندها صرخت بأعلى صوتها معلنة الإنذار؛ لم تكن تعلم بأنّ هذه الصرخة ستكلفها الحياة من طرف أحد أعضاء الفرقة، حيث توجه هذا الأخير بسرعة

نحو بيت الإستقبال « نورمنديا" المواجه لساحة الانتصارات فتمكن أيضا من إطلاق وابل من رصاص رشاشه على الضباط الفرنسيين، قتل منهم أربعة وجرح أكثر من عشرة. وقد نسيت أن أشير بأنّ جزائريا مجنّدا في صفوف الجيش الفرنسي هوأيضا مناضل من أجل القضية الوطنية كان ضمن دورية حقيقية تمّ الاتصال بها في الوقت المناسب، حيث تعمّد إبعاد الدورية عن ميدان العملية سامحا بذلك لأبطالنا الأشاوس المكافحين من أداء مهمتهم دون أيّة صعوبات. وعند انتهاء المهمة لاذت الجماعة بالفرار دون تضييع أية ثانية سالكين الأدراج المتواجدة في آخر الساحة ممتطين السيارة التي تخلوا عنها، بعد حين، بحي "القيصرية" في الجهة الشمالية من المدينة وكان العقيد (المرتقب) لطفي يراقب العملية وينتظر عودة المجموعة داخل ملكية عائلة « بن دي جلول ».

لطفي[1] ولد بتلمسان في 07 ماي 1934 واسمه الحقيقي بن علي بودغن الملقب دغين، هذا هو في الحقيقة اسمه الحقيقي. إنّه ينحدر من عائلة بسيطة حيث تميز منذ صغر سنه بمثل أخلاقية فاضلة وبإحساس وطني رفيع وكان أكثر حساسية للضرر والظلم المفروض على الشعب من طرف الاستعمار. وبعد مرحلة التعليم الابتدائي تم قبوله سنة 1950 في مدرسة تلمسان أين قضى 05 سنوات إلى حين ذهابه للالتحاق بالجبل. إنّ المدارس الثلاثة التي تم بناؤها بالجزائر وقسنطينة وتلمسان من طرف الفرنسيين في القرن 19 كانت لتكوين إطارات القضاء الإسلامي والمترجمين ومعلّمي اللغة العربية. وضمن هذه المدارس أظهر لطفي اهتماما خاصا لدراسة اللغة العربية وقراءة نصوصها القديمة وكان يهوى كثيرا القصائد الشعرية وتاريخ الحضارات وأثناء فترة تعليمه بالمدرسة، أقام عدة علاقات مع عدد من الشباب القادمين من مدن مختلفة للغرب الجزائري، كانوا يزاولون دراستهم بهذه المدرسة وكان يقاسمهم إحساسهم الوطني حيث التحق بعد ذلك جلّهم بصفوف جيش التحرير الوطني. وما يجب قوله أنّ الضمير الوطني الذي نمى لدى هذا الشاب الطالب الثوري الذي كان اسمه لطفي والذي ارتوى من ينبوع الوطنية أحاسيس قاسمه إياها جميع أفراد عائلته

[1] إنّ حياة هذا المناضل الكبير قد وصلت إلينا عن طريق صديقنا بن علي الحصّار الصحفي

بتلمسان، حيث ابتدأ بالانخراط في أولى الخلايا السرية "لجبهة التحرير الوطني" وبعدها وفي السابع والعشرين (27) أكتوبر 1955 أين بلغ سن الواحدة والعشرين من عمره، هجر فيها مقاعد الدراسة ليسلك طريق الجبل، وفي ما يلي العبارات التي خطها في رسالة وجهها إلى والده بيوم قبل ذهابه إلى الجبل:

" . أبي العزيز،

هذا ابنك بن علي الذي يكاتبك، يُودِعُك العائلة كي يلتحق بالإخوان بالجبل لتحرير الجزائر".

وكان على "بن علي دغين" أن يقوم أوّلا بمهمة كاتب لدى الشهيد الملازم جابر قبل أن يتمّ تعيينه رئيس فرع، عندها، ركّز كلّ جهوده في مهام حيوية تتمثّل في إعداد خلايا بتلمسان ونواحيها، وهنا ظهرت جوانب ممتازة في شخصيته كمنظم.

تميّزت المرحلة العملية لإعادة هيكلة الناحية بحادثة اغتيال الدكتور بن عودة بن زرجب. كما ذكرنا سابقا في البند المخصص لهذا الطبيب الشهيد الأول في الوطن. فقد أحدثت جريمة قتله تحوّلا عظيما في حرب التحرير خاصة في تلمسان وفي الناحية بأكملها، وذلك بالتحاق عدد كبير من شباب الثانويات والمعاهد وحتى المدارس الحرة بمعاقل المقاومة نتيجة فظاعة العملية الإجرامية (مقتل الطبيب الدكتور بن زرجب) وكردّ فعل عليها.

إنّ الحزم الذي كان يتمتّع به لطفي وذكاءه الحاد وقوة مراسه كلّ ذلك كان يوحي ضمنيا في كونه سيتحمل في المستقبل المسؤوليات العظام، ولهذا السبب تمّ تعيينه تحت اسم "سي إبراهيم" على رأس فصيلة من المجاهدين، بعدها كانت له مسؤولية تنظيم مجمل معاقل القتال وهيكلة شبكات عمليات الفداء داخل المراكز الحضرية المتواجدة بالناحية. وكان لعمله هذا الشأن الكبير في إعطاء نفس جديد للمقاومة المسلحة في المنطقة (البقعة) التي ستتحول مع الأيام إلى مسرح لمعارك حقيقية بين جيش التحرير الوطني والجيش الاستعماري، وكذلك لعمليات فدائية ثورية. ونظرا للامتيازات التي يشهد له الجميع كرجل نظام ومنظم أصبح لطفي حسب رفاق السلاح الذين عايشهم، رجل الاستراتيجية بدون منازع، فقد اقترح في سنة 1955 (من أجل تنظيم الثورة وميدان المقاومة في جنوب البلاد) أن يتكفّل بوضع

هياكل استطاعت تحقيق اشتباكات دامية قضّت مضجع العدو الذي أُجبر على طلب تدعيمات معتبرة لأنّ لطفي كان قائدا للناحية. "سي ابراهيم" كان فعلا يُسيّر ويُدير شخصيا كلّ المعارك.

ومن بين المعارك الضارية التي ساهم فيها، نذكر تلك التي نشبت يوم 02 أكتوبر 1956 والتي عرفت باسم "معركة جبل عمور" ساهم فيها لطفي على رأس فيلق مكوّن من 500 جندي وخلالها (حسب بيان لجيش التحرير الوطني) عرف 1357 عسكريا فرنسيا الموت من بينهم 92 ضابطا فرنسيا.

وهناك انتصارات عسكرية حُقّقت تحت قيادته، قبل أن يتم تعيينه في جانفي 1957 قائدا للناحية الثامنة بالولاية الخامسة (5) برتبة نقيب ثم بعد ذلك برتبة رائد بناحية "أفلو"، وفي شهر ماي 1957 كان على "سي ابراهيم" الالتحاق بمركز قيادته تحت إسم "لطفي" وبعد سنة عُيّن قائدا للناحية الخامسة برتبة عقيد، وكان عليه بعد ذلك المساهمة في أشغال المجلس الوطني للثورة الجزائرية (CNRA) الذي انعقد في طرابلس بين 1959 - 1960، وخلال جلسات هذا المؤتمر قدّم لأعضاء المجلس الوطني للثورة الجزائرية علم مخضّب بدماء شهداء الثورة.

إنّ آخر مهمة قام بها لطفي داخل الوطن كانت تلك التي لقي فيها الشهادة في جبل بشار، حيث تمت معاينة تواجده مع رفاقه ليلقى الشهادة يفوز بلقاء الله، بعد معركة حامية الوطيس وذلك في يوم 27 ماي 1960 صباحا. دامت المعركة قرابة يوم كامل في مواجهة القوات الاستعمارية، مات العقيد لطفي الشهيد وبيده سلاحه بمنطقة بشار، كما لقي معه الشهادة رفاقه في الكفاح الشهداء: الرائد محمد ، بن أحمد لواج، الملقب بفراج، بطل آخر من أبطال الثورة الجزائرية، كما نذكر الجنود الذين استشهدوا في هاته المعركة كالشيخ الزاوي وأحمد بريك، حيث ستبقى أسماؤهم مدوّنة إلى الأبد ومنقوشة في ذاكرة الشعب الجزائري، الذي دفع ثمنا غاليا من أجل استرجاع انعتاقه وشرفه وكرامته.

سيبقى أبدا العقيد لطفي في ذاكرة الرجال الذين عرفوه مثلا أعلى في الشجاعة ونكران الذات والذكاء والحنكة وأخيرا سيبقى رجلا عظيما في الميادين الإستراتيجية.

و على سبيل الذكر نعيد ما قاله يوما لجنوده:

. " إنّ ثورتنا تفرض علينا التضحية السامية، وكي لا تكون شهادتنا عبثا يجب أن ترمي فعلا إلى الانتصار ولكنها يجب حتما أن تكون مثلا في الفداء. عليكم أنتم أيها الشباب تحقيق العهد الذي آلينا على أنفسنا تحقيقه معا، لقد أدّينا اليمين بأن نموت من أجل أن يحيا الوطن.



العقيد لطفي

أحد الأبطال العظام للثورة الجزائرية



من اليمين إلى اليسار
إسماعيل كرزابي – عبد العزيز بوتفليقة الرائد فراج .

المتــفوق
LE MAJOR

اسمه الحقيقي علي خديم الملقب بالمتفوق (LE MAJOR) ولد سنة 1931؛ كان أبوه متعاطفا مع العلماء، كثير اللقاء مع زملاء الشيخ البشير الإبراهيمي وكان يعلمه دوريا عن الوضعية السياسية في البلاد. وكان لهذا الرجل عدة أبناء، وكان المتجر الذي يديره عاجزا عن أداء طلبات عائلته، مما اضطر بعض الأبناء إلى التخلي عن الدراسة مبكرا لمساعدة والدهم في توفير طعام اليوم لعائلته.

علي الملقب بالمتفوق (MAJOR) أثناء الثورة لأسباب لم أعرفها؛ لم يعف نفسه، وإنّما ألزمها هو أيضا على التخلي عن الدراسة بعد نجاحه في شهادة التعليم الإبتدائي. بدأ بعدها مباشرة ممارسة العمل ولكن كانت له فكرة ثاقبة لمتابعة دراسته عن طريق المراسلة في مهنة صنع أجهزة الراديو وإصلاحها، ولم يكتف بالدروس بل عمد إلى تطبيق ما تعلّمه من معلومات مستعملا جهاز الراديو الوحيد الذي استطاع والده أن يشتريه بعدما اقتصد من نفقاته مدّة عشر سنوات كاملة. وكان سيكون رد فعله عنيفا لو علِم أنّ ابنه قد استعمل جهازه الثمين إذ يعتبر الوالد مجرد المساس بالراديو تدنيسا ولكن لحسن حظه كان "علي" قادرا على إعادة إصلاحه بعد أن يقوم بتفكيكه كلية.

وكان يتمرّن على كل شيء، وكذلك يمارس النشاط مع فرقة الكشافة الإسلامية الجزائرية (SMA) التي كانت في ذلك الحين مدرسة حقيقية للوطنية. وكان دائم الغياب عن منزله مصاحبا أشخاصا أكبر منه سنا حيث تعلّم منهم صعوبات الحياة، همومها وانشغالاتها، وكان يعمل بكد لربح قوت يومه. فتح بعدها محلا لإصلاح أجهزة الراديو بمدينة عين تموشنت سماه (RADIO LUX) في فترة كان فيها الراديو ذا أثر بالغ على جمهور

المستمعين. ولكن عمله المربح لم يثنه عن أفكاره التي تلقاها لدى الكشافة، وهكذا لبى بحضوره يوم الزلزال الذي ألمّ بمدينة الأصنام (أولبان سابقا) آنذاك الذي وقع سنة 1954، حيث ذهب إلى المدينة المنكوبة وعندها لاحظ في عين المكان البؤس الماحق الذي يعيشه الشعب، أكثر مما لاحظه في تلمسان، وتحقق بأنّ المؤونة والأدوية كانت تُعطى أوّلا إلى الأوروبيين، أما الفقراء والبؤساء مثلما كانوا يسمونهم آنذاك فيُمدُّونهم بهذه المواد في الدرجة الثانية، هذا إذا لم يتركوهم وشأنهم أمام قدرهم البائس. وفي عين تموشنت، وموازاة مع مواصلة عمله، كان عليّ ينعزل في تفكيره العميق، فكلّ شيء حوله يدعوه للتساؤل عن عائلته وبؤس إخوانه وعشيرته والآلام التي سببها لهم الاستعمار. وعند عودته من الأصنام (الشلف)، توقف في غليزان ماكثا في ضيافة صديق له لمدة 10 أيام وهناك تعرف على صيدلي جزائري، وبعدها بفترة اتصل بطلنا بالصيدلي وبعد طول نقاش قَبِل بيعه مادة "الكلورات البوتاسيوم » مادة أساسية لصناعة المتفجرات وبرفقة سيد أحمد بن شقرة[1] ذهبا إلى عين فزة المتواجدة على بعد 10 كلم شرق مدينة تلمسان، للقيام بتجارب على قارورات (المولوتوف) وقنابل من صنعه. وبعد اتصال من رفقائه، قرّر في شهر سبتمبر 1955 الالتحاق بالمقاومة حيث تعرّف على العربي بن مهيدي وسي المختار بوزيدي. كُلّف من طرف القائدين بمهمة جمع التبرعات ووضع قيد التنفيذ شبكة إعلام حول تنقلات الجنود الفرنسيين في مدينة تلمسان وضواحيها كما تمّ تعيينه كمحافظ سياسي مع تكليفه بمهمة تنظيم عمليات عسكرية. وقد ساهم شخصيا في الهجوم على دورية عسكرية في قلب المدينة ذاتها، وكان ينظم في الوقت نفسه خلايا جبهة التحرير الوطني المكوَّنة من مناضلين شباب تمّ جلبهم من شباب الثانويات وغيرها من شرائح المجتمع المدني. كان « الماجور » ماكرا وشديد الاستقامة فهو القائد المسؤول بتلمسان وضاحيتها الكبيرة، يتخفّى دائما تحت وشاحات مختلفة حتى على شكل امرأة، متعمدا دائما تحويل مقر سكناه كلّما حذره أصحابه من ذلك، لقد كان لعليّ اليد العليا على منظمة جبهة التحرير الوطني لمدينة تلمسان وناحيتها، حيث

[1] أنظر ما ذكرناه في بند الإخوة بن شقرة

قام بإعادة تنظيم الخلايا، مباشرة بعد التفكك والانحلال الذي حلّ بها، وكان بيده مجموع شبكة الخلايا التي كان يسيرها بيد حديدية، وكل الأموال والتبرعات التي جمعت من طرف الخلايا السنوية تأتي إليه، بعدها وبفضل أعوان الاتصال التابعين له، تُوصَل هاته التبرعات إلى أماكن قارة وآمنة.

وكمنظم لخلايا الفدائيين، كان يموّنهم ويسلحهم بالأسلحة النارية والقنابل وكان له مسؤولية تحديد وتعيين الضبّاط والجنود الفرنسيين الذين يجب قتلهم. لقد كان سي علي جريئا يساهم كثيرا في هاته العمليات الخطيرة. إنّ الجرأة وحب الخطر والجسارة هي السبب في موته المبكر، يوم 19 جويلية 1957 على الساعة الثالثة والنصف زوالا عندما كان يتهيأ لإطلاق النار على أفراد دورية عسكرية كانوا مارين بسيدي شاكر وهو حي من أحياء تلمسان، حيث تفطّن للكمين جنود الدورية وبادروا بإطلاق الرصاص ممّا ألزمهم إلى الالتجاء إلى بيت الذي تم تطويقه من طرف القوات الاستعمارية الذين أخبرتهم بذلك ابنة الدكتور "رواق Rouague" وعيّنت لهم الموقع الحقيقي لتواجد الماجور ورفاقه. إنّ هذه الفتاة شديدة الترصد تقضي جل وقتها في مراقبة الحي لتتمكن من الإعلام الفوري لقوات الشرطة بواسطة الهاتف. لم يتمكنوا من مواجهة الحصار والهجومات المتتالية للجيش الفرنسي، التي طوّقت المكان بعد قدومهم بتدعيمات كبرى، وسقط هؤلاء الشهداء الأشاوس تحت طلقات النار. سقط "الماجور" ورفاقه وضيعت تلمسان بضياعه رجلا أيقظ همة الرجال وقائدا كبيرا كانت له اليد الطولى في جميع النشاطات المدنية والعسكرية لمدينة تلمسان وضواحيها القريبة وهذا لمدة سنتين كاملتين.

بنـاء الباجيروس (المخابئ الأرضية)

خلال سنوات التحرير كانت وسائل الكفاح ضد قوات الاستعمار الغاشمة بسيطة ومحتشمة بالمقارنة مع الوسائل والإمكانات الحربية الجرّارة المسخرة من طرف القوات الاستعمارية. ومن أجل محاولة تلافي سوء التوازن اضطرّ جنودنا الأشاوس إلى استعمال الحيلة واستراتيجيات أخرى كي يقاوموا بنجاح القوات الفرنسية.

"الباجيروس – PEJEROS" كلمة متداولة على أنّها من أصل إسباني، وتعني مخابئ تحت الأرض لعبت دورا مهمّا طوال حرب التحرير، وهذا عبر جميع مناطق البلاد، حيث كانت ملجأ ومخبأ للأسلحة وآوت، لكثير من الوقت، جموع المجاهدين (المكافحين) خاصّة في النهار. ومن أجل بنائها كان يجب أن نحتاط لبعض القواعد بحيث يجب اختيار مكان بالقرب من شجرة كبيرة والتي تُمكّن من ضمان تهوئة المكان، ويتمّ الحفر غير بعيد عن منبع ماء أو ساقية أو بالقرب من واد تسيل فيه المياه، وكذلك بالقرب من مصرف للمياه حتى تستطيع المياه السائلة حمل الأتربة المستخرجة من عملية الحفر لأنّ ببقائها ، يكتشف العدو بسهولة مواقعنا. وكنّا نحفر مربعا يبلغ طول ضلعه مترا واحدا وعشرين سنتيمترا على عمق مترين ونصف والتي يتم توسيعه دائما نحو العمق وفي الأخير نخفي المكان ونموّهه بأغطية كثيفة من الأعشاب والأتربة الجافة وتُرمَى التوابل بعد ذلك على جميع أطراف الخندق حتى لا تتمكن كلاب الشرطة أو الجيش الفرنسي من اكتشاف المخابئ.

"الباجيروس" أو الخنادق بإمكانها إيواء (30) شخصا ولكن للحدّ من الخطر نكتفي بإخفاء مجموعات من 5 أفراد فقط. ليس بالإمكان الخروج من هذه المخابئ إلا ليلا بحيث رجل من المدنيين بفتح الصحيفة الإسمنتية المسلحة المموّهة بالأتربة والأعشاب الجافة الموضوعة عليها.

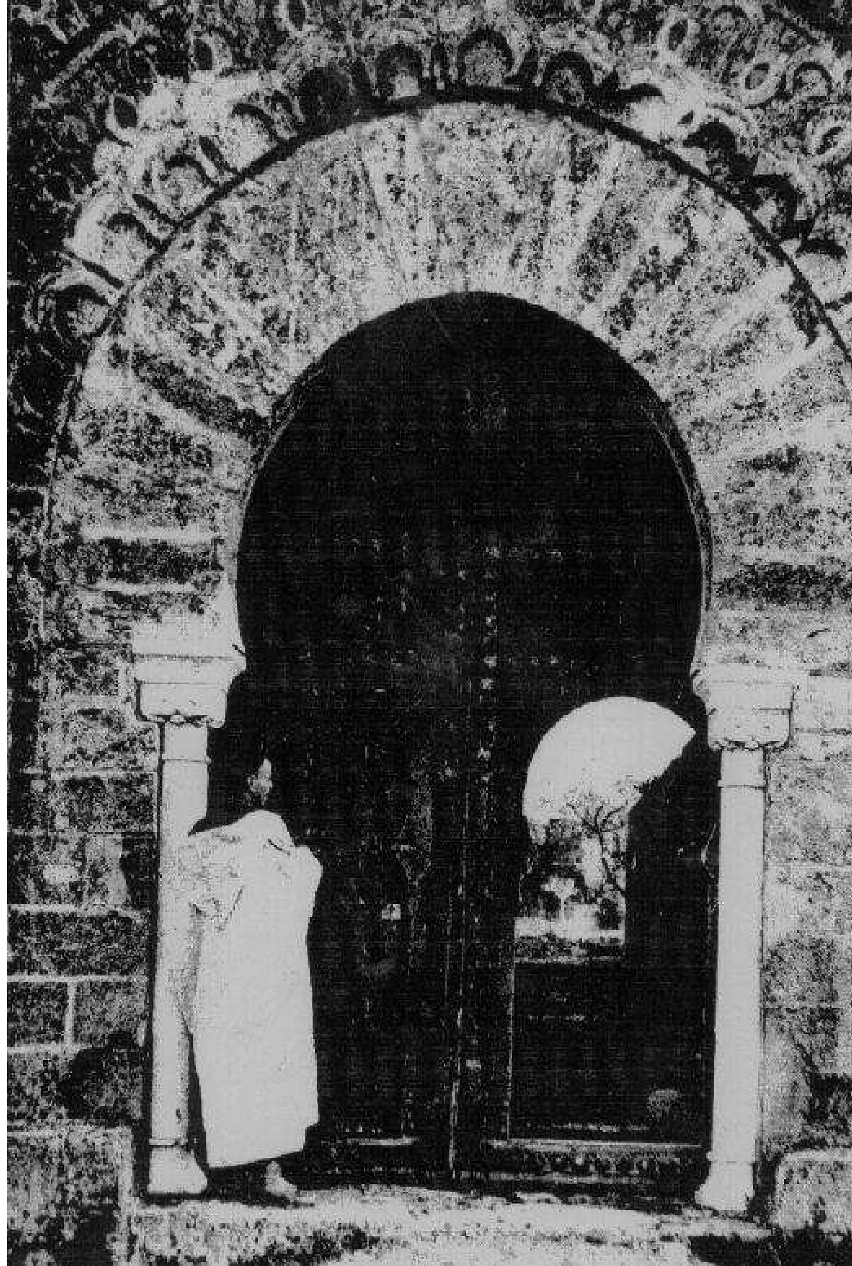
بناء الباجيروس

أنقذتنا هذه المخابئ عدّة مرات من خطر محقق خاصة عند المحاصرة والمسح والتمشيط التي تقوم بها الجيوش الفرنسية وعند حصار معقل المقاومة بسيدي الطاهر بالعبّاد في شرق مدينة تلمسان من طرف الجيش الفرنسي في 14 أوت 1957 والذي توفّي فيه حمادوش الملقب بسي صالح، كما أنّ كثيرا من المجاهدين مثل صالح مسيفي والعديد من رفقائه أنقذتهم هاته الملاجئ.

وفي الأوقات كلّها كان سي صالح يرفض دائما الإختفاء في هاته المخابئ، قائلا دائما بأنّه لا يريد الموت مختنقا داخلها. إنّ توقيف فتح الله بوحصيرة الملقّب بـ "التونسي" سمحت للجيش الفرنسي (مثلما ما سنراه في الفصل المخصّص لعائلة بندي جلول المحترمة والبطلة) باكتشاف العديد من هذه المخابئ الأرضية.

بعد رفع الجنود الفرنسيين الصحائف الإسمنتية، يقومون برمي قنابل داخل المخابئ وكذلك "قارورات المولوتوف" فيقتل العديد من المجاهدين الذين يتواجدون داخل هاته المخابئ وكان كذلك الحال لدى عائلة بن جلول وغيرها، وكان الرائد جابر هو نفسه ضحية مثل هذه العملية.

إنّه لا يمكن نكران بأنّ هذه المخابئ (الباجيروس) التي كانت موجودة في جميع الأماكن كالحدائق المحيطة بمدينة تلمسان قد سمحت لجنودنا الأشاوس بالاختفاء في بعض الأحيان لعدة أيام للتمكن بعد ذلك للتحضير من جديد لعمليات وتنفيذها، كما كانت هذه المخابئ أماكن للعلاج والتمريض، سمحت بالتكفل بمعالجة الجرحى في النهار، الشيء الذي يُعتبر مستحيلا في أماكن أخرى. ونُشير بأنّ بعض ملاك هذه الحدائق، أبقوا إلى يومنا هذا (في ضواحي تلمسان) على بعض المخابئ (باجيروس) في وضعها الأصلي من أجل تعريف شباب اليوم حقيقة الظروف التي كان يعيشها الأبطال المجاهدون.



باب المنصورة

"عقــب" الليـــل
أو نسر (عقاب) الليل
الرجـل الذي واجه جماعة وجدة

إنّ هذه الذكريات المثيرة الخاصّة بالأحداث الدموية التي عرفتها منطقة تلمسان ما بين سنوات 1956–1958 لم تكن ذات معنى أو كانت قيمتها التاريخية ستفقد عمقها، لو تجاهلتُ أو تناسيتُ ذكر رجل عظيم يُعتبر أول وجه عسكري في الناحية، نظم الكفاح المسلح بالجبل. بقيت هذه الشخصية الفذة للأسف الشديد مجهولة بالرغم من ظهورها في كتيب سمي "إرهابيون خطرون"[1] مع عبّان رمضان، بوضياف، بوصوف، بن بلة والعربي بن مهيدي إلخ... ونعني بالرجل هنا محمد بوزيدي المعروف باسم سي المختار أو "عقب الليل" ومعناها "عُقاب الليل" ولد سنة 1918 بقرية تاموكسالت بلدية بوحلو بالقرب من مدينة صبرة بولاية تلمسان.

لقد انخرط سي المختار منذ شبابه في حزب الشعب الجزائري (P.P.A) الذي تم تأسيسه من طرف الحاج مصالي سنة 1937. لقد قام محمد بوزيدي بنشاط معتبر، وعُيّن مسؤولا على خلية، التحق بعدها بالمنظمة الخاصة (l'O.S) اليد الحديدية لحزب الشعب الجزائري وحزب جبهة التحرير الوطني أثناء إعلان الثورة سنة 1954 التي قسمت البلاد مبدئيا إلى ثلاثة قطاعات كبرى، وكل قطاع إلى نواحي، حيث مُنحت قيادة الناحية العسكرية الخامسة إلى سي المختار وكان المسؤول المباشر عليه في ذلك الحين (أي قائد القطاع الغربي) العربي بن مهيدي وبذا كانت تلمسان عاصمة ومقرا للناحية الخامسة.

[1] كتيب صغير تم إعداده من طرف السلطات الفرنسية، ووُزِّع على محافظات الشرطة عبر كامل الوطن الجزائري، سنعيد نشره ثانية في ملحق هذا الكتاب.

بعد تعيين سي المختار على رأس هذه الناحية في نهاية 1955، قام باتخاذ إجراءات في زمن قصير جدا لتنظيم الهياكل العسكرية في هذه الرقعة من أرض الوطن. لقد قام بإنشاء خمس كتائب تعداد كل واحدة منها 110 مجاهد، وكذلك خلايا من المدنيين ذات أهمية وفائدة كبرى، خاصة في مجال الاستعلامات وجمع المساعدات والتبرعات المالية المقدّمة من طرف المواطنين. هؤلاء الملحقون الذين كنا نلقبهم بالمسبّلين، كانوا أيضا عبارة عن أعوان اتصال، ذوي أهمية معتبرة مكلفين بمهمة ترصد الوحدات العسكرية والقيام باستطلاع للفدائيين داخل المدينة، كما كان يتمّ استعمالهم في مهام الدليل في مواقع المقاومة في بالجبال وفي الأدغال وعرة المسالك.

تتكوّن الخليّة من أربعة أشخاص لا يتعارفون فيما بينهم لتجنب الإدلاء بهوية الآخرين تحت التعذيب، ويكون على رأس هذه الخلية قائد يختار أفرادها. إنّ مجموعة هؤلاء المسبلين تمّ إدماجهم بعد ذلك في المنظمة المدنية لجبهة التحرير الوطني "O.C.F.L.N" "م.م.ج.ت.و"، حيث قام "عقب الليل" بتنظيم عمليات "فدائية" مركزة في مدينة تلمسان واهتمّ أيضا بوضع نظام المساهمات على مستوى أرض الوطن وكذلك على الحدود الجزائرية المغربية مركزا على بعض القرى المتواجدة هناك على تراب المغربي، والتي زيادة على المساهمات المالية، كانت تمثل هذه القرى مراكز عبور هامة للمجاهدين.

سي المختار، نظم خلايا تتكفل بجمع التبرعات في هذه المدن وفي مدينة وجدة. وقبل وضع اليد من طرف جماعة وجدة[1] على مجموع النضال المسلح بالغرب الجزائري، كان عقب الليل بفضل جرأته ويقظته قد توصّل إلى فرض المساهمة على عدد من المعمرين الفرنسيين لفائدة جبهة التحرير الوطني، مثلما نجح في وضع أول نواة للإدارة وللعدالة الجزائرية. إذ لم يكن للجزائريين الحق في التوجه إلى المصالح العمومية الفرنسية أو المحاكم

[1] مجموعة ضباط ومسيرين من بينهم محمد بوخروبة (هواري بومدين) . عبد الحفيظ بوصوف (سي مبروك) . بن علي (لطفي) . سي الصادق، هاته الجماعة تمكنت من الحصول على تسيير ذاتي في مواجهة جبهة التحرير الوطني وانتهت في جوان 1962 إلى الثورة ضد الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية . GPRA.

الفرنسية. ومن بين المعارك التي خاضها نذكر تلك التي وقعت "بصاد النمر" وهو اسم جبل بـ"موطاس" على بعد 40 كلم من تلمسان. إنّ هذه المواجهة التي وقعت في شهر أفريل 1956 انتهت بموت 15 جنديا من العدو. ومواجهة أخرى في السنة نفسها 1956 وقعت في بني بهدل (بني سنوس) حيث استعمل الجيش الفرنسي فيها الأسلحة الثقيلة والطائرات ، جُرح فيها سي المختار فالتجأ إلى وجدة للعلاج.

سي بوزيدي الذي عرف بانضباطه وسيرته الشديدة التي لا تسمح بالتساهل مع أيٍّ كان. بالنسبة إليه القول المتفرد والوحيد يتلخص في ما تقوم بفعله في الميدان والميدان وحده، ومنه نشأت الاختلافات بينه وبين جماعة وجدة حيث رفض بشدة الامتثال لأوامرها وقرّر جمع تبرعات رفض دفعها إلى المسؤولين في جماعة وجدة بما أنّه كان يحضّر (بهذا المال) لشراء أسلحة وعتاد مباشرة من إسبانيا، ومنها مات في ظروف غامضة جدا في 20 سبتمبر 1956. ودفن جثمانه الطاهر في مقبرة العالية بالجزائر سنة 1985.

وبغرض توضيح الظروف التي واكبت النهاية المأساوية لهذا البطل الهمام والمجاهد الذي كان يتحلى بشخصية نادرة ومتميّزة، قمنا بتحقيق دقيق وبفضل شهادات شخصيات مازالت على قيد الحياة استطعنا أن نتعرّف ونكشف عن الزوايا الخفية التي أدّت إلى إعدام "سي المختار". لقد تحدثنا عن رفض الانصياع والطاعة التي أبداهما سي المختار من خلال تنظيمه جمع التبرعات والتمُّون بالأسلحة والذخيرة دون الرجوع إلى هواري بومدين وبوصوف من "جماعة وجدة"، الشيء الذي "أشعل النار في الذخيرة" كما يقال. من أجل هذا، تم استدعاء سي المختار عدة مرات إلى وجدة حيث كان يعارض أيّة تبعية لأنّه كان دائما يطالب المسؤولين بالقدوم للكفاح داخل الوطن، بدل العيش في المخابئ بعيدا وراء الحدود، وإعطاء الأوامر عن بعد، إنّ الميدان مغاير عن الإستراتيجيات المخططة نظريا، هكذا كان يجيبهم.

إنّ هذا الاختلاف أدّى بـ "سي المختار" إلى كتابة رسالة إلى(CCE) لجنة التنسيق والتنفيذ لجبهة التحرير الوطني، هيئة كانت منصّبة آنذاك بالقاهرة. لم تصل هاته الرسالة أبدا إلى أصحابها حيث تم الاستيلاء عليها من طرف معارضيه في وجدة لكن وصلته رسالة تدعوه للذهاب إلى اجتماع في "وجدة". وضانّا منه أنّها إجابة من الهيئة المنصبة في القاهرة توجه الرائد سي المختار نحو وجدة حيث قام بزيارة عائلته المقيمة عند خياط اسمه خليل وكان مرفوقا بكاتبه المكلف بالقضايا العسكرية عبد الرزاق بختي وكذلك مدني المكلف بالقضايا المدنية. ويوم الاجتماع كان بختي وحده المرافق لسي المختار ولكن مدني بقي هو أيضا في "وجدة". وفي الغد أُعلم مدني بموت سي المختار من طرف سي لخضر واستخلافه بالرائد ناصر. أما بالنسبة لعائلة سي المختار فتمّ إعلامها بأنّه تمّ تحويله إلى الجنوب.

وعليه فإنّ الوجهة الحقيقية للقضية التي استطعنا استنتاجها بعد تحقيق دقيق أنّ عبد الرزاق بختي الذي رافق سي المختار إلى المركز الموجود "بأنقاد"[1] اشتم رائحة الشك فسحب مسدسه عند رؤية الحرس، لكنه قُتل لتوّه. أمّا سي المختار "فقُيّد" وقدّم تقديمه أمام محكمة تمّ تكوينها للحدث.[2]

و في الليلة نفسها، نفّذ فيه حكم الإعدام. وهكذا كان هذا الرجل العظيم ضحية (مثل الكثير من أمثاله من المكافحين) لشرعية افترضها البعض لأنفسهم من "العُصَب" التي لا تقبل النقد الذي أثاره سي المختار عدة مرات في جميع مراسلاته، ولنا الحظ أن نملك واحدة من هاته الرسائل التي سنقدمها كاملة في ملحق هذا الكتاب.

ونستطيع من خلال قراءتها أن نتأكد من العلاقات المتوترة التي كانت سائدة بين سي المختار والقيادة المتواجدة بمدينة وجدة، حيث تبيّن بوضوح انعزال سي المختار ورفاقه وبداية الصراع والنزاع الذي ستكون نهايته دموية.

---

[1] سهل متواجد بين مغنية ووجدة

[2] على حسب كتاب (A.HASSANI) حساني عبد الكريم "حرب عصابات من غير وجه" « Guérilla sans visage » نشر ديوان المطبوعات الجامعية –الجزائر- 1988 صفحة 72: المحكمة تحت رئاسة محمد بوضياف والتي حاكمته. انتهت بالعمل التفريقي والمماس بوحدة القيادة.

كما يجب أن نذكر هنا بأنّه قبل شهرين من إعدام سي المختار اتّجه إلى وجدة أحد نبلاء مدينة تلمسان المسمى بـ بومدين أبو بكر ابن مقدم ضريح سيدي بومدين [1] مرفوقا بمصطفى الحصار وشريف بن موسى،هذان الشابان كانا دائما وأبدا عضوين في حزب الشعب الجزائري ومناضلين في الحركة الوطنية الجزائرية، وبعد اندلاع الثورة الجزائرية كانا نشيطين في قطاع تلمسان. بعد توقيف أخيه محمد من طرف الشرطة الفرنسية، قرّر أبو بكر بومدين الذهاب إلى وجدة مع رفيقيه، وبدل الاستقبال الحار الذي حقّ عليهم أداءه لقدومهم تم إعدامهم تحت شكوك انتمائهم لمصالي الحاج ورميت جثثهم في شوارع وجدة.

تأثّر سي المختار تأثرا بالغا من جراء العمل الإجرامي الذي قامت به عصبة وجدة إزاء رجاله الذين كان يعتزم إدخالهم في جبهة التحرير الوطني. إنّ اللوم والعتاب الكبير الذي كان يبديه ويظهره سي المختار المدعو "عقب الليل " لأعضاء "جماعة وجدة" بأنّهم كانوا من "الخاملين المختبئين" لأنّ أكثرهم قضوا مدة قليلة ومحدودة في الجبال ليلتجئوا بعدها إلى المغرب للعيش في حياة دون خطر وكان هذا الاعتقاد الراسخ السبب الحقيقي لإعدامه.

"عقب الليل" شخصية غير مرغوب لدى البعض، لكنّه في الحقيقة بطل عظيم وكان بدون أدنى شك أحد الوجوه اللامعة والمرموقة للثورة الجزائرية.

وتحضّرنا جملة مأثورة في إحدى مراسلاته الموجهة لعائلته تلخص ما كان يحتوي عليه عقله ومداركه التي كانت في كليتها مكرّسة للقضية الوطنية.

كان يقول في جملته –متوجّها إلى أبنائه– : "لم أقسم لكم ولكني أقسمت أمام الله من أجل تحرير الشعب الجزائري".

[1] المقدّم هو الشخص الذي يحرس ويعتني بضريح ولي من أولياء الله



بعض أعضاء جماعة وجدة: هواري بومدين– العقيد صالح
– الرائد صادق





أ: بوزيدي محمد المعروف بـ "سي المختار"



ب: بختي عبد الرزاق: يكون القدر فضيعا في بعض الأحيان

- BOUZIDI Mohamed Ould Lahcène-
dit « Mohand » dit « Hamoudi »



Né vers 1915 au Douar Tamersalet, Remchi (Oran) de Lahcène Ould Mohamed et de Bouzidi Zohra Bent Mohamed.

- Sigt. 1m 78, cheveux foncés. yeux chât. Corpulence mince.

Très dangereux

- Objet : du 147 55, fiche JA 55 1912

أمر بالقبض أصدره الجيش الفرنسي

الأوراق البيـــضاء
المطبــوعة

في سيدي عبد الله، بقعة تبعد عن تلمسان بخمس كيلومترات، أين توجد مزرعة بويعقوب يأوي صاحبها وهو فلاح كريم، جموع المجاهدين الذين يلتجئون إليه، ويموّنهم بالأغذية.

وفي يوم كنت داخل إسطبل المزرعة أحرس مسجونين، منهم إمرأة ذات أخلاق مشبوهة، كانت تتعامل مع شرطة الاستعلامات العامة، وجندي مرتزق فاجأناه يتجول بالناحية. وكنت أقوم بالحراسة في انتظار حلول الليل لإعدام المسجونين طبقا للحكم المعلن من طرف قيادة قطاع تلمسان. وعلى الساعة الخامسة زوالا أتى بلحاج عون الاتصال ليلقاني وبعد التحية قدم لي طردا على شكل دائري آت من وجدة، وطلب مني أن أقدّمه إلى "علي خديم" الملقب "بالماجور" في مركز القيادة الموجود بفدان السبع. وبعد ساعة وصل سي صالح حمادوش وجلس بالقرب منّي وحدق بإمعان ناظرا إلى الطرد وطرح عليّ أسئلة بشأنه، حيث أعلمته بالتعليمات التي وصلتني، تجاوز إجابتي وفتح الطرد واكتشف وجود 60 ورقة بيضاء، وأردف بتعجب شديد أوراق مطبوعة، إنه لشيء مهمّ، وأخذ حوالي 10 أوراق دون أن أفعل شيئا مع انزعاجي الشديد، سي صالح الذي كنت معجبا به كان قائدي ورئيسي.

هاته الأوراق البيضاء التي لا تحتوي إلا على الطابع الحامل لشعار جبهة التحرير الوطني كانت لها سلطة قوية وجد هامة وخاصة في هذا الزمن، زمن الحرب، كانت تسمح بالحصول على مبالغ باهضة من الأموال الممنوحة من طرف جامعي التبرعات وأكثر من ذلك كانت تحمل حق الموت أو الحياة لأيّ مجاهد أو أي مدني؛ يكفي أن تضع عليها الحكم واسم المحكوم عليه. وبعد ذهاب سي صالح حمادوش، ظهر بونوار هذا الرجل النحيف ذو

الشاربين الكثيفين كان نائبا لحمادوش وبعد اقترابه مني للتحية لاحظ هو أيضا وجود الطرد المكوّن لمجموع الأوراق المطبوعة ودون انزعاج، أخذ بدوره عددا منها؛ عندها كان ردّ فعلي عنيفا ولم أتمكن من كبح جماح غضبي معلنا عدم موافقتي قائلا :

. " منذ حين أخذ منّي هذه الأوراق سي صالح وها أنت الآن بدورك تأخذ منها البعض" ودائما دون أي تأثر واضح متجاهلا اعتراضي عن هذا الفعل، أخذ عددا منها وذهب.

وأعترف بأنّ هذا الشقي لم يكُفَّ عن عادته السيئة فأثناء إعدامه من طرف الجيش الفرنسي سنة 1957 اكتشفوا مخبأ في مكان تواجده يحتوي على عدد كبير من المجوهرات ومقدار مالي معتبر.

وبعد ذهاب بونوار أعدت ربط الطرد وإحكام غلقه وأعطيته لأحد أعوان الإتصال ليحمله إلى "الماجور" بفدان السبع الذي أعلمه القادة بوجدة حول محتوى الطرد، وعدد الأوراق التي يحتويها وعند إعادة حسابها لوحظ ضياع (24) أربع وعشرين ورقة من جملة العدد الكامل للطرد، حيث بادر إلى إعلام عنتر والرائد جابر عن طريق تحرير تقرير مكتوب.

وبعد شهرين، كان عليَّ أنا وحمادوش الاستجابة إلى الاستدعاء، وعند وصولنا إلى مركز القيادة الموجود بفدان السبع، أين كان ينتظرنا الرائد جابر، وعنتر ومجموعة من الجنود وصلت إلى المكان نفسه. وقد أُعلمت مع حمادوش عن الوضعية المتعلقة بضياع 24 ورقة مطبوعة بختم "ج.ت.و"، حيث بدأ الاستجواب، وقد لجأت إلى الكذب، موضّحا بأنّ الطرد سُلّم لي مفتوحا ولم يتم إغلاقه بالشريط اللاصق (Scotch)، كان فقط محاطا بخيط ملفوف حوله، تمّ إحضار بلحاج بأمر من عنتر واتهمه عون الاتصال بسرقة الأوراق، فهذه الأشياء بالنسبة لعنتر لا يمكن لها أن تمر في الظل، وكان سيحكم عليه بالإعدام لولا تدخل حمادوش لفائدته قائلا :

. " إذا أردتم إعدام بلحاج يجب قتلي أنا قبله، إنّه بريء إنّه غير قادر على مثل هذا العمل، أنا متيقن من ذلك "

أجبر تدخّل حمادوش عنتر على رفع الجلسة وانتهت بالنسبة لنا جميعا مراحل هذه الفقرة.

وبعد وقت غير يسير، أتى إضراب الثمانية أيام، وعملية خروج القطار [1] عن خطه الحديدي والتي تعرضت فيها إلى جراح خطيرة أقعدتني لمدة شهر كامل، وقد أعاقتني إصابتي مما فرض علي إسناد المهمّة إلى سيد أحمد الذي ناب عنّي حتّى يوم معافاتي وشفائي، وقام بأداء جميع المهام التي كانت مخولة لي، حيث كانت محفظتي دائما معه، وكان يُدوّن دائما كل التعليمات التي يقدمها له سي صالح ويجيب على البرقيات والرسائل التي كانت تصل إلى القائد. وفي يوم من الأيام بينما كان يبحث في المحفظة، اكتشف سيد أحمد الأوراق المطبوعة البيضاء التي أخذها سي صالح، وكان فرحا ومبتهجا بما اكتشف، فسارع لإعلام عنتر.

وبعد وقت قليل، استدعيت أنا وسي صالح حيث تلقّينا أمرا بالذهاب إلى مركز القيادة (P.C.) بفدان السبع، وعند حضور موعد الذهاب طلب مني حمادوش أن أتقدم أمامه قائلا :

. " سألتحق بك "

وفي الحقيقة علمت بعد ذلك، أنّه سحب الأوراق البيضاء المطبوعة من المحفظة ثمّ لحق بي ثم قال لي :

." أتعرف يا حاج، لقد بقيت بعدك بغرض إخفاء خاتمي الفاخر لأنّ عنتر لو رآها، لأخذها مني، إنّه قانون الأقوى "

ونظرا لكوني غير خبير بهاته الدسائس، فقد ترعرعت في وسط معترف له بالتربية والأخلاق الفاضلة والأمانة والإخلاص؛ قبلت ما قيل لي دون البحث في خلفياته.

وعند وصولنا إلى الموعد المحدد، قدمت لنا وجبة وطعام كثير، وبعد انتهائنا من الغذاء أخذني عنتر على حدة وروى لي قصة الأوراق المطبوعة؛ ومرة أخرى نفيت وجود

[1] انظر إلى الفصل: إضراب الثمانية أيام

أوراق مفقودة، عندها أقدم على إحضار سيد أحمد الذي أقرّ بأنّه رأى تلك الأوراق بمحفظتي ومرة أخرى لجأت إلى الكذب والمراوغة لأتملّص من هذه الورطة.

أجبته قائلا :

. " حضرات الرائد توجد فعلا أوراقا مطبوعة في محفظتي، ولكن ليست أوراق بيضاء وإنما مكتوبة بواسطة الآلة الكاتبة، عندها أظهر سيد أحمد نوعا من عدم التأكد والارتباك تجاه إجابتي الصريحة، واكتفى بإشارات بالنفي وبينما كنت أتكلم قرر عنتر إرسال أحد رجالنا مولاي أحمد للإتيان بالمحفظة وبعد ساعة أحضر موضوع الجنحة والشك وبعد تفتيش وبحث في المحفظة من طرف عنتر، تأكد فعلا ما أجبته به، حيث نال سيد أحمد نتيجة ذلك عدة صفعات على الوجه.

و يا للأسف، لم يعرف مسلسل الأوراق البيضاء المطبوعة النهاية، ولكن بالعكس تواصل ليعرف في كلّ مرّة تقلبات جديدة، حيث نزلنا يوما ضيوفا على بومدين المسؤول المدني "للعباد" المعين من طرف جبهة التحرير الوطني، حيث أتانا بغذاء مكون من 10 موزات وآنية مملوءة " بالشربة "، ولم نكن سوى ثلاثة . حمادوش . مولاي أحمد وأنا. لم يتم اقتسام كمية الطعام بإنصاف، حيث أعطانا حمادوش أنا ومولاي أحمد موزة واحدة لكل واحد منا واستأثر لنفسه بباقي الكمية، وبعدها بقليل بينما كنا وحيدين، أنا ومولاي، أعلن لي هذا الأخير عن شكّه وريبته في هذا التعارف الذي أبداه حمادوش "سي صالح" وكذلك أنانيته المفرطة فوافقته على رأيه هذا، واستجبت لوجهة نظره مما جعلني دون إكتراث بما سيحدث أروي له بالتفصيل قضية الأوراق البيضاء المطبوعة وفي خاتمة كلامي، قلت له بالحرف الواحد:

. "لقد أنقذت بكذبي وعدم قول الحقيقة سي صالح من الموت المحتوم، أرأيت ذلك يا مولاي؟"

ومن خلال أقوالي هاته، لم أكن أعلم أني أرتكب خطأ فادحا سأدفع ثمنه باهظا، لا لشيء سوى أني لم أكبح جماح لساني، وقد كنت شارفت على الوقوع في مغبة الموت الحقيقي، لكوني لم أستطع الاحتفاظ بالسر الذي كنت أحمله في حنايا فؤادي، لقد فات أوان التراجع.

فأمام هذا الوضع وتحت هاجس الانتقام من سي صالح لم يتمالك مولاي أحمد نفسه من الجري مباشرة لإبلاغ عنتر بما تحصل عليه من معلومات، وهكذا عادت قضية الأوراق البيضاء المطبوعة الى الواجهة، استدعينا جميعا من جديد أمام القيادة (أنا.. بونوار وسي صالح) وحضرنا في الموعد الى مركز القيادة، ومرة أخرى يشتد الخناق حولي لأجد نفسي مرة أخرى أمام عنتر واثنين من رجاله اللذين أخداني في الظلمة داخل خندق "PAJEROS" حيث لم أستطع تحمل الجو داخله بحت بالحقيقة كاملة، ولم أكن لأبوح بها بل إلى حدّ تلك الساعة حاولت إخفاء الجوانب المحيطة بها والمتعلّقة بسي صالح وبونوار لسببين أولهما قضية شرف ومبدأ وثانيهما رفضي أن أُنعت بصفة "مبلغ الأخبار" حيث رويت لهم بالتفصيل كيف ومتى حدث سرقة الأوراق من طرف كل منهما.

وبدورهما سي صالح وحمادوش مرّا بالاستجواب نفسه ولم أعرف لحد اليوم نوعية الإجابات التي تقدم بهما كل واحد منهما على حدة، حيث قرر عنتر سحب السلاح من سي صالح وغادرنا فدان السبع باتجاه عين الحوت، أين كان عنتر يريد الالتقاء بالرائد سي جابر لإعلامه، وعرض الاستجوابات التي استطاع الحصول عليها، حول هذه القضية، ولكن سي جابر كان قد غادر القرية ساعات قليلة قبل ذلك. وفي عين الحوت التقيت بابن عم لي اسمه عبد الحميد كان يعمل "كحارس قرية" "شمبيط"، ولكن عمله في الإدارة الفرنسية لم يكن يمنعه من النضال بنشاط في جبهة التحرير الوطني، قام بدعوتنا جميعا، إلى مأدبة غذاء في بيته بعدها استودعنا وتركنا مع أعوان اتصال، ليرافقوننا إلى قرية بن سكران أين كان من المفروض لقاءنا مع سي جابر. وبعد مدّة غير يسيرة من انطلاقنا سمعنا أزيز سيارة عسكرية، ولكون هدفنا الالتحاق بالرائد سي جابر لجأنا إلى عدم ملاقاة العدو، حيث كان سي جابر قد واصل طريقه نحو سيدي العبدلي، واصلنا طريقنا متتبعين أثره للالتحاق به، وعلى الساعة الخامسة صباحا عندما وصلنا إلى سيدي العبدلي أردت أن أخلد قليلا إلى الراحة وبينما استلقيت على الفراش، سمعت أمرا بالمثول أمام سي جابر، ولم أكن البتّة قلقا، حيث بدأ الاستجواب أكثر حدّة، وصممت أن أدعم أقوالي بأنّي لست المذنب وأكدت مصمما إلى حد

اليوم بأنّ سي صالح وبونوار اللذين نفيا تماما أخذهما للأوراق البيضاء المطبوعة الأربعة والعشرين (24) وقام سي جابر دون سابق إنذار بوضع مسدسه في "ناظري" قائلا:
. " حاج لقد كذبت، لقد اتهمت حمادوش ليتم إعدامه، لكي تأخذ مكانه؟"
و عارضت اتهاماته ولم أرى بوسعي الهروب، دنت نهايتي المحتومة وبينما المسدس يتهددني بالقرب من ناظري، تجمد وجهي في الوقت الذي تصبّب على جبهتي عرق بارد.
و بعد قليل طلب مني جابر قائلا :
. " حاج هل لك شيء تريد قوله إلى والديك " أجبته وأنا أرتعد
. " يا قائدي، قل لهم بأني مت شهيدا، وإني لم أرتكب أي خطأ "
و انتظرت الطلقة النهائية القاتلة، لأنّ الثواني كانت تُعد في خاطري بالقرون، وأيقنت بأني أعيش آخر لحظات حياتي ولكن الرصاصة لم تنطلق.

إنّ هذا الرائد الطيب الطبع والهمام، بقي واجما يلاحظني بتفحص ثم بعد ذلك أسدل مسدسه قائلا لي :
. "حسنا، عد إلى عملك " وكأنّ شيئا لم يكن، عندها انفجرت باكيا وصارخا، صائحا بكل ما أوتيت من قوة قائلا :
. "لو كنت أردت الخيانة، لما كنت لأرمي بقنبلة على الجنود الفرنسيين وألتحق بمعاقل الثورة في الجبال، وكنت جنّبت إلحاق الأذى بعائلتي التي تفرق أفرادها"

عندها أخرجني جنديان وحاولا تهدئتي والتخفيف من لوعتي، لقد كنت على يقين كامل ومقتنعا بأنّ سي جابر لم يتجرأ على تنفيذ حكمه الذي قطعه لعقابي، لا لسبب سوى أنّه كان لا يملك الأدلة القاطعة لإدانتي أو إدانة سي صالح وسي بونوار، وفي المساء سلكت طريق العودة، إلى الكتيبة برفقة حمادوش حيث بقيت علاقتي به أكثر نفورا وحدّة لمدة طويلة من الزمن، ولقد مرّ الآن زمن طويل على هذه الحادثة ولكني لم أستطع محو آثارها من ذاكرتي ولا تناسي المظاهر المنحطّة بهذا المسلسل المزعج الذي طرأ على فصل مهم من حياتي.



الرائد جابر

بومدين حمادوش المعروف بـ "سي صالح"

إنّ هذا المحارب الذي مازالت صورته عالقة بمخيلتي وستبقى الى آخر أيام حياتي. هذا الرجل الذي أذكره كان قائدي وكنت كاتبه، وهذا يعني أني كنت أقرب المقربين إليه أثناء الحرب. ما يلاحظ لديه هو صراحته الفائقة المتدفقة صدقا أمام الملأ، الذي كان يكتسي في جميع سكناته وحركاته بالانضباط والالتزام، حيث كان يعطي المثل بمشاركته شخصيا في المعارك والمواجهات مع العدو. وقد ركب في كثير من المرات عددا كبيرا من المخاطر وكان يقابل بشكل مباشر وبصدر رحب جميع مسالك الموت، باحثا وراغبا في الحصول على الشهادة وهو الذي جرح في الهجوم الذي قمنا به "في ليلة القدر". الحادثة التي سنذكر تفاصيلها لاحقا. ونظرا لكونه لم يتمكن من المشاركة في تلك المعركة قضى ليلة يعض على أنامله وأمام عظمة الضرر ترجاني قائلا :

." حاج... أرجوك ابق معي"

فأجبته قائلا :

. "سي صالح، أنا الوحيد الذي أعرف المسالك المختلفة لمدينة تلمسان، وسأكون حتما ذا فائدة كبرى لزملائي أثناء عملهم "

بالطبع ليس الخوف الذي كان يدعوه إلى الكلام هكذا ولكن الرغبة الملحة الكامنة في أحاسيسه التي تقضه نتيجة عدم تمكنه من المشاركة في المعركة وخاصة في هاته الليلة المباركة. وهنا وجهت إليه نظرات كلّها رأفة ورحمة حيث تجمدت فيها كل أوصال روحي وتقدمتُ طليعة إخواني لمصاحبتهم من أجل أداء الواجب .

لم أنسى أبدا الحزن الذي ألمّ به عندما علم بوفاة "الماجور خديم" حينها رفع يديه إلى الله داعيا:

. " يا إلهي اجعل بعظمتك وقدرتك موتتي كهذه وأكسب بذلك الشهادة في سبيلك".

عندما نلعب بالنار سنحترق يوما حتما، هكذا يقول المثل حيث توالت النشاطات العسكرية تلو النشاطات مثلما رأينا في الأحداث التي ذكرناها سابقا. وفي إحدى هاته المعارك جُرح سي صالح بينما كان يرمي قنبلة خلفت كثيرا من القتلى والجرحى في صفوف العدو، وخوفا من خطورة وضعه حملناه الى الصفصاف في غرب مدينة تلمسان لدى السيد بارودي بالقرب من مزرعة " قريبو GREPEAUX" حيث تم التكفل به، من طرف عائلة بارودي. عولج أثناءها من طرف " بالغ " الذي كان راقيا مشهورا في ناحية تلمسان بينما كانت برفقته في تلك الفترة الأخت المجاهدة " حورية مجاجي" التي تعهدت برعايته ومساعدته في جميع حركاته.

وبالرغم من جراحه كان حمادوش المعروف بـ "سي صالح" يرغب دائما في المشاركة في جميع المعارك والنشاطات الحربية. وكنت في كل مرة أجد صعوبة عظمى في تهدئته. وكنت أثناء تلك الفترة أراه يوميا لأني كنت دائما أحمل له المؤونة. كما أنّ البيت الذي توجد وتعيش به عائلة بارودي هو المكان الذي يتواجد به أيضا المجاهد محمد بوكلي، الذي وافته المنية أثناء ذهابنا إلى المغرب.[1]

لقد أحكمت فرنسا خطتها وخناقها علينا ولم تترك لنا مجالا للهرب حيث حاصر الجنود الفرنسيين يوما بيت بارودي. مفيدة بن منصور تلك المجاهدة التي أبلت وأثبتت وطنيتها منذ الساعات الأولى (حيث تزوجتها بعد ذلك وكانت أوّل إمرأة في حياتي). وقد كانت خارج البيت ولم تلاحظ في الوقت المناسب وجود الحصار فلم تتمكّن من إنذار سي صالح الذي كان داخل البيت ولكن لحسن الحظ كانت حورية مجاجي الوسيمة الجميلة داخل البيت تمكنت من تلهية الجنود الفرنسيين بالحديث معهم أثناء تحضير القهوة لهم سامحة بذلك من رفع سي صالح فوق شرفة المنزل من طرف أصحاب البيت. في ذلك الحين شرب الجنود الفرنسيون القهوة التي أعدتها لهم حورية وذهبوا في حال سبيلهم ولكن حمادوش لم يبق في

[1] انظر الفصل "المسيرة الجنائزية إلى وجدة"

مكانه حيث قفز من أعلى الشرفة مما تسبّب له في جراح ثانية. كلّفنا العثور عليه بالقرب من الوادي وقتا طويلا، واضطررنا أيضا لطلب الراقي "بالغ"، الذي قدّم له العلاج الضّروري ثمّ رافقناه بعد ذلك بمدّة طويلة إلى " المقرّ العامّ بالعباد " الذي لم يكن المكان المريح للجريح ممّا اضطرنا إلى تضييع وقت أطول ممّا كنّا نستغرقه في العادة لنلتحق بالمخيّم الذي كنّا نعيش به في العبّاد، المكان الذي وصل إليه سي صالح وهو يتحامل برجله. لقد تكلّمنا سابقا عن "الباجيروس" "المخابئ" التي كانت تسمح لنا بالاختفاء والتخفي داخلها عبر خنادقها لبعض الوقت ولكن ذكرنا كذلك بأنّ سي صالح لم يكن يحبّذ هذه الأمكنة، فقد كان يفضّل أن يعرّض حياته للخطر من أن يبقى داخل هذه الحفر. وفي يوم ذهابنا إلى وجدة (بالمغرب) كان لحمادوش تصرّفا غريبا معي، كان في الحقيقة يتسلّى ويمازحني، كان في هذا اليوم ليّنا لأنّ الإحساس بالفراق أثّر فيه وأحدث لديه قلقا، وهنا شعرت أنّ الرجال المتسمين بالصّرامة وعدم الإحساس تتجلّى لديهم عند الضّرورة أحاسيس رهيفة وشعورا بالضّعف.

وفي ليلة 13 أوت 1957 حاصر الجيش الفرنسي كل الناحية المتواجدة بين الصفصاف في غرب تلمسان و" تيرني" في الجنوب الغربي، مجندا جيشا جرارا مكوّنا من 25000 عسكريا فرنسيا تمركز كل واحد في مكانه، ومدعما بطائرة تجسّس حلّقت أوّلا حول تلك الناحية كلها بغرض استطلاع المكان.

أذكر سي مسيفي الذي كانت عائلته كلها بجميع أفرادها من رجال الثورة فقد كانت تأوي رجال الصاعقة، وكذلك الفدائيين، لاحظ هذا الرجل الجولات الجوية التي تقوم بها طائرة الاستطلاع، أيقن بأنّ الغد لن يكون يوما مبهجا، لقد حذر ونبه سي صالح والآخرين من الذين معه للخطر المنتظر ولم ينل إلاّ ابتسامة من سي صالح، أما "مسيفي" بصفته كبير القرية "Village" فقد اتصل بجميع أعوان الاتصال لإخبارهم بأنّ العدو يحضر لعملية كبرى، بعد ذلك ذهب ليلتجأ إلى الخندق بـ " الباجيرو" الموجود داخل بيت بالعبّاد. "سي صالح حمادوش وبريكسي" الذي خلفني ككاتب وعكاشة عرّضوا أنفسهم للخطر، وذلك بمواجهتهم للعدو. كان لدى سي صالح رشاش من نوع MAT69 بينما كان لدى عكاشة مسدسا

رشاشا (P.M) ولما نزلوا إلى خط السكة الحديدية لاحظتهم أعين العدو، أبدوا مقاومة عنيفة وباسلة بل توصّل سي صالح إلى ذبح نقيب فرنسي ليستشهد بعدها مع عكاشة لعريبي ومحمد بريكسي، كما استشهد شهيد رابع كان سجينا أثناء محاولته الاستيلاء على رشاش للرد الفوري على جموع الجيش الفرنسي، حيث تلقفته رصاصات الأعداء متمكنة من جسده. ونذكر أنّ المجاهدين والمكافحين في صفوف جيش التحرير الوطني كانوا يستعملون المساجين غير المحكوم عليهم بالإعدام لحمل الأسلحة والذخيرة أثناء تنقلاتهم.

لقد مات سي صالح حمادوش يوم 14 أوت 1957، وقد تأثّر لموته الجميع لأنّنا ضيعنا بفقدانه رجلا عظيما كان يملك القدرة على تنظيم الحركة والنشاط المسلح؛ وكذلك كان يتحلى بملكة توجيه الرجال وبعث الثقة والاطمئنان في كلّ الذين عملوا تحت قيادته. لقد كانت جرأته وركوبه لكل أنواع الخطر ورغبته الدائبة في الموت والسلاح بيده، هي التي قرّبت نهايته في هاته الحياة، وكان فعلا أمله الذي أعلن عنه في أكثر من مناسبة. حيث كان يكرر دائما وأبدا بأنّه يريد الموت مثل الموتة المشرفة التي لقيها "الماجور خديم"، ويمكن للكثير من الجزائريين تعويضه وهكذا كان قضاء الله وقدره.

وللذكر، يمكن الإفادة بأنّ جثته النقية الطاهرة تم حفظها والإتيان بها من طرف مواطنين شرفاء من سكان القرية، وتمت مواراتها في طيب مثوى في رحاب الولي الصالح سيدي السنوسي بتلمسان.

ومع قصة حمادوش نكتشف ذلك العزم النبيل الذي اكتسبته الثورة الجزائرية من خلال المبادئ القوية التي سنتها ووضعتها، والتي سمحت لها بإنجاب رجال مثل بومدين حمادوش المعروف بـ "سي صالح" أولائك الذين كانوا على شاكلة عمار علي المدعو " علي لبوانت " الذين ترعرعوا في الأحياء الأكثر فقرا وعوزا. حمادوش كان أسوأ مثال فوجهته وطريقته كمدعم وسند حقيقي كانت معروفة ومؤكدة لدى الجميع، كان يتجول ومعه كلب يستعمله لإفزاع وتهريب الناس هذه سيرته التي تسببت له في النفي لمدة سنة، من طر ف السلطات الاستعمارية بعين تموشنت وقد كان دائم التردد على تلمسان للتصدي ومجابهة الشرطة

والحكام والقضاة. ومع اندلاع الثورة غيّر من سيرته ونتيجة لقاءاته المتكررة مع العربي بن مهيدي وبوزيدي وسي عنتر والرائد جابر تغيرت أفكار سي صالح جذريا وتجلت فيه مظاهر الانضباط والاحترام والانصياغ للقواعد المعدّة له خصيصا من لدن الثورة حيث أصبح بدون منازع واحدا من الرجال العظماء الذين وضعوا حياتهم في خدمة وطن وشعب وقضية.

بومدين حمادوش المعروف بـ "سي صالح"



لقد كان سي صالح قائدي، لم يكن هناك ندّ لشجاعته وجرأته

بومدين حمادوش المعروف بـ "سي صالح"



عكاشة

عنتـــر

محمد سحنون المعروف والملقب بعنتر ولد سنة 1928 بالمرازقة (البعيدة عن الحناية بحوالي 5 كيلومتر) الواقعة بولاية تلمسان، ويعتبر من الرجال الأوائل الذين التحقوا منذ البداية (أي سنة 1956) بميادين الكفاح والنضال. لقد تعرّض عنتر منذ صغر سنه للعذاب والآلام، بداية بفقدانه لوالدته وهو في سن الحادية عشر ثمّ عند بلوغه السادسة عشر من عمره توفي والده وأصبح يتيم الأبوين، الشيء الذي دفعه للبحث عن عمل من أجل ضمان عيشه، حيث عمل لمدة كعامل فلاحي عند أحد معمري الناحية. عرف عنتر منذ شبابه مساوئ استغلال العمال من طرف المعمرين الفرنسيين، وكان عليه أن يكد ويكابد الأتعاب للحصول على دريهمات زهيدة لا تقيه غائلة الفقر، ولكونه لم يتحمل هذه الحياة البائسة طلب التجنّد تحت الراية الفرنسية في صفوف الجيش الفرنسي سنة 1945 تلك السنة التي واكبت العام الذي رفعت الحرب العالمية الثانية أوزارها عن العالم حيث تم إرساله بداية إلى مغنية بالقرب من الحدود المغربية لمتابعة مرحلة تكوينه، ليتم بعد ذلك تحويله الى شمال فرنسا ليجد نفسه حارسا في سجن دواي " DOUAI " الذي كان يأوي مسجوني الحرب وكان مع الجنود الآخرين يؤمِّن حراسة الجنود الألمان المسجونين ونقلهم. في ماتز "METZ" بشرق فرنسا، كان يعدُّ فردا من الكتيبة الرابعة لعصبة العمال الجزائريين ليصل بعدها سنة 1949 إلى تيارت بالجزائر محولا إلى الفيلق الثاني وبعد سنة كاملة حُوِّل إلى مدغشقر ليتم تحويله بمدة باتجاه جزيرة "L'ILE DE LA REUNION".

وفي سنة 1951، أرسل لأول مرة إلى الهند الصينية لتتم إعادته إلى الجزائر بين جنود الفيلق الثاني بوهران، ثم يعود إلى الفيتنام مرة ثانية ليبقى هناك حتى سنة 1954، تاريخ معركة "ديان بيان فو" التي حطم فيها الجنرال "جياب" وجنوده الفيتناميين الأبطال الجيوش الفرنسية فيلحق الحملة الفرنسية.

وفي نهاية هذه المرحلة من حرب تحرير الهند الصينية، وأثناء الاحتفالات بالاستقلال تمت دعوة عنتر إلى "سايغون" "SAIGON" من طرف ملازم في الجيش الفيتنامي الذي أعلمه بخبر بداية حرب الاستقلال بالجزائر. وقد أخذ عنتر في هذا اليوم بالذات درسا في الوطنية، وعرف مُقرا بأنّ الحرب هي المخرج الوحيد لوضع حدّ نهائي وجذري للإحتلال الفرنسي للجزائر، وأنّ الاستعمار يمكن هزمه بما أنّ الفيتناميين استطاعوا هزم الجيش الفرنسي، وهنا نشأت فكرة ثابتة في ذهنه لا تغادره وهي "الفرار من الجيش الفرنسي".

سمحت له العودة للجزائر بزيارة عائلته، التقى أثناءها بابن عمه سي البشير الذي كان عون اتصال لجبهة التحرير الوطني، وفي نهاية عطلته، عاد إلى الفوج الواحد والعشرين للقناصة الجزائريين، دون أن تغادره فكرة الفرار. كان هروب 13 جنديا جزائريا بجميع أسلحة الحرب، وسرقة جهاز راديو للإرسال والاستقبال، أحدث لدى الجيش الفرنسي تحقيقا من طرف الضباط الفرنسيين وتحت وازع الشك والتواطؤ، حكم على عنتر بالتوقيف الملزم ليتم تحويله بعد ذلك مع أربعين رجلا آخر إلى فيلق تأديبي. وفي وهران بالمقر العسكري لشاتوناف "QUARTIER DE CHATEAUNEUF" أين كان يوجد الفيلق المحضر للتحويل إلى كورسيكا "CORSE" مكان وجود المقر التأديبي، وكانت شاتوناف "CHATEAUNEUF" عبارة عن قلعة ذات جدران عالية ومنيعة، ويعد من المستحيل الفرار نحو الحقول، ولكنها لم تكن ذات أهمية ولم يحسب لها أي حساب أمام الذكاء الخارق لعنتر. وكان شهر ماي 1956 الذي صادف شهر رمضان المعظم، فأل خير، حمل معه المسرات والطالع الحسن، لاحظ عنتر قدوم جندي فرنسي يقود سيارة من نوع جيب "JEEP"، وفي مقهى الحصن، اقترح على العسكري شرب كوب ثم تلاه بآخرين حتى ثمل، لقد أتى هذا العسكري ليسلم البريد، وكان عليه أن يعود لتوه، إلاّ أنّ فكرة عنتر كانت الاستفادة والانتفاع من هذه الفرصة غير المتوقعة للخروج من هذا الحصن، كان الكأس الذي قدمه للعسكري قد أتى بفائدته وأكله، لأنّه فعلا سمح له بالخروج مع ذلك الفرنسي الذي مكّنه من النزول في قلب مدينة وهران.

وعند وصوله إلى حي "إكمحل" رأى عنتر شاحنة عسكرية، وبقي ملتزما ببرودة أعصابه، متظاهرا أمامهم بصورة عادية، صاعدا في الشاحنة التي حملته إلى قرية بوتليليس، وبفضل أعوان اتصال هناك، استطاع عنتر ارتياد سيارة أجرة موصلة إياه إلى مدينة عين تموشنت الذي وصلها بعدما تلافى حاجزين، عندها فضل الذهاب إلى تلمسان فاستقلّ الحافلة، بعدما سرّح سائق سيارة الأجرة، وفي تلمسان قام بالاتصالات التي مكّنته من الالتحاق بصفوف المجاهدين. وفي الجبل التقى برجلين عظيمين عظمة الثورة الجزائرية العربي بن مهيدي الذي كان في تلك الفترة (ماي 1956) على رأس القيادة لمنطقة وهران التي أصبحت فيما بعد الولاية الخامسة وكان آنذاك مع العربي بن مهيدي مختار بوزيدي الملقب بـ "عقب الليل" (عقاب الليل) الذي تكلمنا عنه بإسهاب في ما سبق. كان يقود بأمانة الثورة ضد المحتل الغاضب، حيث توسعت قيادته الحكيمة من مناطق الحدود مع المغرب إلى منطقة تيارت (بالغرب الجزائري)[1] .

وبقي عليه الآن أن يضع حيز التطبيق ما تعلمه وما تدرب عليه في صفوف الجيش الفرنسي وكذلك الخبرة الطويلة التي اكتسبها أثناء حرب الهند الصينية، لقد حمل عنتر إلى المكافحين والمجاهدين فكرا جديدا. حمل لهم الانضباط وروح المبادرة، لقد استغنى عن النظام المتعامل به، تلك الرتابة التي كانت سائدة في مراكز المقاومة، لقد كان يقول لعقب الليل "بدل البقاء في الجبال دون حراك يجب أن نبادر بالحركة والقيام بالكثير من العمليات دون توقف". جمع عنتر عددا من الرجال وقرر الهجوم على مزرعة المعمر المتواجد بسيدي العبدلي على بعد 20 كلم بالجنوب الشرقي لتلمسان، يجب إدخال الخوف والهلع والفزع في قلوب المعمرين والجنود الفرنسيين الذين يريدون فرض هيمنتهم ووضع أيديهم على كل شيء بتوسيع أطماعهم الزائفة التي لا حد لها. لقد تم إشعال النار في كل منتوج المزرعة بمادة الوقود الموجودة في الخزانات، كما تم الاستيلاء على بعض الأسلحة التي كانت موجودة هناك،

[1] إن هذا التقسيم كان موجودا قبل مؤتمر الصومام والذي قرر سنة 1954 تقسيما جديدا لمناطق الوطن ككل، وليس من السهل تعدادها، لأنها كثيرة جدا وكلها مهمة.

وختمت الصحافة الاستعمارية بإعطاء الصدى غير المنتظر للعملية، وكان كل ذلك كافيا للتعريف بالمميزات الشخصية للرجل كقائد ومسير حقيقي للرجال.

لقد وجدنا هذا البطل في طلائع جميع العمليات التي قمنا بها في تلك الفترة ضد المحتل الغاشم متمنيين أن نكرس كتابا كاملا لهذه العمليات العسكرية.

ويبقى دائما من المفيد وللعبرة أن نذكر بأنّ محمد سحنون المشهور بـ "عنتر" لقّن العدو وعاقبه عقوبة وخيمة، عرف خلالها مرارة الهزيمة خاصة في معركة " كرين " بالقرب من مدينة صبرة، المكان الذي عرف فيه أكثر من 300 عسكري فرنسي الموت، وإسقاط 3 طائرات مروحية، كما فقد من صفوفنا في ساحة الشرف والفداء 13 مجاهدا سُجّل استشهادهم، ولقد تمت هذه المعركة تحت رعاية ومساهمة بطلين من أبطال الثورة: سي صالح حمادوش والبطل محمد زيتوني، حيث تعرضا الاثنان إلى إصابة بجراح أثناء عمليات المواجهة.

وبقي عنتر على قيد الحياة وفي حوزته جزء هام من تاريخ الثورة وحرب التحرير، مقتنعا بحتمية تسجيل ومعرفة التاريخ المتعلق بحرب الاستقلال، وإيصاله خالصا غير مشوب إلى أيدي الأجيال الجديدة والقادمة، وباعتبار أنّ جزءا هاما من هذا التاريخ تعرض للتزوير، والتدنيس قرّر سي عنتر مؤخرا تحرير ما حملته ذاكرته من حوادث التي نتمنى أن تجد طريقا إلى النشر.


2 mai 04 Environs de Tlemcen
Cascades El Ourit
Pont du Chemin de fer.

الوريط

مزرعـــة "فـورنو"
- FERME FOURNEAUX -

عند إثارة هذه القضية أجدنى مجبرا على ذكر بداياتي الأولى في النضال. لقد كان شأني شأن أيّ مبتدئ مهما كان الميدان الذي يسلكه، لم تكن في الحقيقة خطواتي بالسهولة التي كنت أنتظرها نظرا لفقداني الكامل لعوامل التجربة ولا أخفيكم سرا أنّي مررت بفترة تهيُّب وتخوُّف وتملُّص ولكن لحسن حظي أنّي كنت تحت إشراف قادة كانوا دائما معي لمساعدتي ودفعي إلى الأمام وتحفيزي، وهذا نتيجة ما لاحظته عليهم وما لمسته من سيرتهم في ركوب الأخطار الذي ملأني قوة وشجاعة واطمئنان، ثم بعد ذلك أصبحت الأشياء بالنسبة لي تأخذ طابعها ونسقها العادي.

وحين استدعاني سي صالح، حضر المسؤول المدني سي بومدين قائلا :

. " أريد 50 شخصا متطوعا لهذا المساء "

أجابه سي بومدين معترضا :

. " كيف يمكن جمع هذا العدد من الأشخاص في وقت قليل كهذا ؟ "

. " لا يهمني، أعطيك موعدا في طريق الخروج من سيدي بومدين على الساعة التاسعة ليلا" هكذا أجاب سي صالح بنبرة حادة لا تسمح بالاعتراض.

وفي الموعد المحدد، حاضر أكثر من 100 متطوّع من "العبّاد" بالقرب من سيدي بومدين. وكنّا 5 محاربين فقط للتكفل بتأطيرهم وهذا برفقة قائدنا. ذهبنا لتوّنا مكلفين بمهمة إحراق مزرعة المعمر الأكثر حدة في عداوته للجزائريين المدعو "فورنو" "FOURNEAUX" قد حملت المزرعة اسمه لأنه بعد إضرام النار فيها أصبحت تلقّب بالسعير (Fournaise).

لقد سرنا على شاكلة الخط الهندي الواحد تلوى الآخر، وعند وصولنا إلى منطقة الصفصاف على بعد 5 كلم شرق تلمسان وبعد معاينتنا للموقع، بدأنا في قص أشجار العنب وتحطيم كل الزراعات. وكان من المفروض التقدم نحو المزرعة عندها أمدني سي صالح بزجاجة " مولوتوف" وبعد خلع الباب صاحَبَنا مصطفى بونوار داخل مزرعة المعمر حيث كانت خالية تماما تسلقنا للوصول إلى الشرفة الموجودة في الأعلى الذي كان يحتوي على أثاث جيد ووسائل وأدوات ذات طراز عال تبين الذوق التبذيري لعائلة هذا المعمر في الوقت الذي كان فيه جل الجزائريين يعانون من الحاجة والفقر المذقع الذي نغّص حياتهم وزاد من ذلّهم ومهانتهم.

وبعد ما نزلنا من الشرفة العليا تلقينا الأمر بإضرام النار في المزرعة؛ مررت في هذه الفترة بلحظة ضعف وتردّد متهيبا رمي قارورة " المولوتوف".

. « حاج... حاج... عد بسرعة ما الذي دهاك ؟ ارم بالقارورة »

كانت هذه الأوامر آتية من طرف سي صالح، لقد تملكني الحياء من تصرفي، عندها استرجعت ملكات عقلي ورميت بالقارورة وبسرعة أصبحت المزرعة لقمة سائغة تلتهمها النيران من كلّ الجوانب، عندها بدأت الأحصنة في إرسال أصوات الأنين الحاد من جراء النيران التي أتت على كل شيء وهي أصوات الأحصنة الهلعة المتألمة التي تصدر صيحات الفزع، ولعدم قدرتي على تحمل هذه الصيحات، خرجت من المزرعة بعدما أتت النار على كل شيء. تسلّلنا قافلين عبر طريق العودة تاركين وراءنا ضيعة « بني وعزان »، وفي طريق العودة استرحنا عند فلاح لكن ليس طويلا لأنّ رسالة مستعجلة أفادتنا بضرورة الالتحاق بمركز سيدي الطاهر.

إنّ هذه التجربة الأولى كانت بالنسبة لي ذات فائدة على أكثر من صعيد، لأنّها سجّلت بحديد ناري بداياتي في الكفاح. من الآن لن يكون هناك مكان للخوف والامتناع في حياتي أو في تصرفاتي. وكنت قد جبلت إلى الأبد على تحمل كل الأوضاع مهما كانت حدتها وصعوبتها.

إضـــراب الثمانية أيـــام

الهجوم على القطار يوم 29 جانفي 1957

مثلما اطلعنا عليه ورأيناه فيما يخصّ جريمة اغتيال الدكتور بن عودة بن زرجب الذي أثار استنكار المواطنين جميعا في مدينة تلمسان، فموت ابنها البار نسل عائلة معروفة، دفع بالمواطنين إلى النضمام الصريح مع الفدائيين ومع جبهة التحرير الوطني بالرغم من وسائل القمع التي استغلها العدو المحتل الفرنسي بملاحقته للعائلات التي لها فرد منها في الجبال، وذلك بأخذه للأولياء والآباء أو أحد الأقرباء وقتلهم. وعندما التحق عبد الرزاق بختي وغماري وعبد الله بن بلاب بالمقاومة فإن والدَي البطلين الأولين تم قتلهما بوحشية من طرف اليد الحمراء، منظمة سرية مخالفة للقانون، مكونة من شرطة ومدنيين فرنسيين قاموا بعدة عمليات إجرامية وكانوا السبب في اختفاء عدد من المفقودين من المدنيين الجزائريين، أما بشأن بن بلال الأب فلم تكتب له الحياة إلاّ بفضل إعلامه المسبق من طرف أصدقاء له نصحوه بالهجرة إلى المغرب. وأمام كل هذه التحديات قام أبطالنا الأشاوس بردّ فعل وأمروا بإضراب شامل وكامل لمدة 8 أيام ابتداء من 28 جانفي 1957، قُدّم هذا الأمر من طرف جبهة التحرير الوطني لكل الجزائريين للقيام بإضراب يتخذ صفة احتجاج ضد العنف الوحشي الذي كان ضحيته المواطنون، وليظهروا للعالم مشاركتهم وانخراطهم والتزامهم بالخط الذي رسمته جبهة التحرير الوطني وجيش التحرير الوطني، زيادة على ذلك، تمّ رسم عمليات إضافية لإعطاء الحدث الصدى الكبير المنتظر منه.

ويمكن القول بأنّ الأمر بالإضراب لقي صداه كاملا لدى جميع المواطنين إلا بعض الشواذ، مثل رفض مدير مدرسة محطة القطار بتلمسان السيد "فار الذهب" الذي رفض الانصياغ لأوامر الإضراب حيث تم إعدامه من طرف جبهة التحرير الوطني ليكون عبرة لمن لا يُصغي.

ومن بين النشاطات التي كان يجب أن تصاحب هذا الإضراب العام لمدة 8 أيام، الهجوم على القطار وقد كنت عضوا مشاركا نشيطا، حيث كان الإضراب في يومه الثاني حين استعمل الجنود الفرنسيين القوة من أجل إجبار الجزائريين على الالتحاق بمناصب عملهم. كانوا يخرجونهم دون تحفظ من بيوتهم تحت ضربات مؤخرات البنادق، كما استعملوا وسيلة خلع الأبواب الحديدية المقامة في واجهات المحلات ورمي البضائع على قارعة الطريق من طرف جنود المرتزقة ومن طرف مدنيين فرنسيين.

أما بالنسبة لنا وتحت القيادة الحكيمة لـ سي صالح فقد غيرنا ملجأنا لأسباب أمنية، حيث توجهنا بالقرب من شلالات الوريط على بعد 7 كلم من مدينة تلمسان وكان الملجأ بيتا كبيرا ملك بومدين المسؤول المدني لحي العبّاد[1] ومن على هذا البيت الواسع يمكننا رؤية روائع انسياب الشلالات كما يمكننا رؤية ما بين الجبال المنسابة منها الشلالات وكان ذلك يوم من أيام شهر جانفي 1957 حيث ساد صمت كبير خيّم داخل هذا المبنى الذي كان يأوينا.

و بينما كان سي صالح ينظف سلاحه سمعت صيحة مزعجة، إنّه قطار الرابعة مساءا عندها وجّه سي صالح نظره إلينا بنظرة متفحصة قائلا :

. " أنظروا.. أنظروا.. إنّه القطار الذي لا يحترم أوامرنا ويرفض الانصياغ لأوامر الإضراب ».

أجابه مصطفى بونوار قائلا :

. "هذا صحيح، لدينا 8 كلغ من متفجرات البلاستيك لماذا لا نحاول القيام بعملية تحطيم القطار غدا في الوقت نفسه؟ "

رد سي صالح آمرا سي بومدين بإحضار كمية المتفجرات وكذلك الوسائل الكفيلة للقيام بهذه العملية.

[1] هذا المقاوم الشجاع جعل منزله في خدمة المقاومين، كان ضحية وشاية، لقد وجدنا جثّته داخل بئر حيث رُمي به بعد قتله من طرف الفرنسيين. للإعلام كان سي بومدين رئيس قرية عُيّن من طرف جبهة التحرير الوطني.

في الغد، يوم 29 جانفي، تهيأ رجالنا الأبطال للقيام بالمهمة حيث كُلّفت بنزع الحجارة، لتمرير خيط المفجر مع التأكّد من إعادة كل حجر إلى مكانه لتفادي لفت انتباه الدورية التي تقوم يوميا بالمراقبة كلّ ساعة، بينما كلّف مصطفى بضمان الحراسة وكنت حينها أدس المتفجرات تحت قاعدة السكة الحديدية المكونة من الخشب، وبونوار يقوم بوضع المفجر في مكانه ليليه عملية المعاينة والمراقبة من طرف سي "أحمد إينال" المختص في المتفجرات، وانتهى العمل وعدنا إلى ملجئنا. وفي الغد ذهب سي بومدين إلى عين المكان لتفقد العمل إن كان قد تعرض لنقص أو شابته عيوب، حيث تكفل بتنظيف السكة بواسطة كاشطة حديدية لمحو الآثار التي بقيت عالقة بها بعد مرورنا، وكان سي صالح قد لاحظ وجود العبوة الناسفة في وسط ممر القطار، وفي مكان يسهل فيه اكتشافنا في حالة رد فعل العدو، وسنكون حينها في موقع خطر حقيقي، ولكن فات الأوان لتغيير الموقع.

وفي الوقت الموعود تأخر القطار عن موعده، ولكن بعد ربع ساعة بدأت تظهر طلائعه، وبعد مرور الخمس عربات الأولى التي تنقل في العادة المدنيين، ضغطت على زر المفجر، للتمكن من العربتين الأخيرتين المليئتين دائما بالعسكريين. خرجت العربات عن السكة الحديدية الواحدة تلو الأخرى، ولكن ليس بالاتجاه المرجو والمخطط له من طرفنا لأنّها لم تسقط في الوادي مثلما تمنيناه، وبدل الهروب، تأخرت في استرجاع المفجر (Dynamo). وبينما الجنود الفرنسيون يطلقون علينا الرصاص استقرت رصاصة في كتفي الأيمن، شعرت حينها بانقطاع في أنفاسي، هرع بونوار نحوي لإسعافي وبشجاعة كبيرة حملني على كتفه، بعدها بقليل أصبت بإغماء، ولم أعد إلى وعيي إلاّ وأنا داخل خندق تمت تغطيته بإتقان من طرف رفاقي بالقصب والأعشاب. في تلك اللحظة، سمعت صوت الجنود الفرنسيين يهرولون في جميع الاتجاهات بحثا عنّا، علهّم يلقون القبض علينا، لقد أعطيت حالة التعبئة العامة، وقدمت التعزيزات لتدعيم عملية الحصار التي أقيمت في مكان الحادث، كنت لا أستطيع حراكا، ولم تكن بحوزتي سوى قنبلة يدوية واحدة للدفاع عن نفسي. وفي اليوم الموالي على الساعة الرابعة صباحا سمعت صوت خطوات متوجهة نحوي، تملكني إثرها خوف رهيب،

وبعدها تنفست الصعداء لأنهم إخواني أتوا لنجدتي، حيث وضعوني على حمالة لنقلي إلى المخيم أين تمّ حقني بمادة البنسلين (وكان جرحي قد أعاقني لمدة شهر كامل) وبعد سير طويل وصلنا إلى منطقة الصفصاف لاحظنا أثناءها هيئة رجل يرتدي "جلابة سوداء" تقدم نحونا إنّه الأخ عبد السلام بندي جلول وبعد التحية لاحظ أنني جريح، واهتم بالتعرف على حالتي، طالبا منا تتبعه.

وعندما توقفنا فتحت لوحة إسمنتية وتم إيلاجي داخل "الباجيروس"، حيث قام شاب بتقديم الإسعافات الأولية، لقد عرفته، إنه "خوجا باش" إنه ممرض الدكتور بابا أحمد بتلمسان وهو الذي ساعدني كثيرا وآزرني في هاته الفترة العسيرة من حياتي، لقد قام بعلاجي وإطعامي وتشجيعي. بعدها لاحظت هيئة رجل غير غريبة عليّ وعند دنوّه مني اكتشفت أنّه "سيد أحمد بن شقرة" قريبي الذي وافاني بمعلومات عن عائلتي، وهو الذي أعلمني عن هجرة والدي أما أنا فلا يمكنني أبدا العودة إلى بيتي، لأنّي منعت من دخول المدينة فمناشير البحث المتعلقة بي تمّ إلصاقها على جدران مختلف أماكن تلمسان.

ومهما كنت قلقا على مصير عائلتي، ومتألما من جراء الجرح الذي أعاني منه، لن أنسى أبدا لطافة ونبل "السعيد بندي" وزوجته اللذين كانا السند القوي لي أثناء تلك الظروف الصعبة، لقد قاما بكل ما في وسعهما لتهوين مصابي، وتغذيتي تغذية جيدة لأصح جسميا ومعنويا. لقد وجدت لدى هذه العائلة الطيبة الخير العميم والكلمة الشافية التي واستني وشجعتني وآزرتني على تحمل الظروف القاسية التي كنت أمرّ بها.



من اليمين إلى اليسار:

عبد السلام بن دي جلول – بونوار– سيدي بومدين – بالي بلحسن



ليلة القدر " أفريل 1957 "

بعد شتاء شديد البرودة بدأت طلائع الربيع تظهر جلية على الطبيعة وكنا في مقرنا العام بجبل العباد نتأمل بكثير من الإمعان تلك الحدائق الغناء التي كانت تحيط من كل جانب بمخبئنا "الباجروس" الذي يقع في مناطق تمثل رونقا وبهجة للزائر لأنها تمنحه جوا شاعريا وطبيعة خلابة مترامية عبر بساط مزركش بالألوان الزاهية أخضر جميل محيط بتلمسان إحاطة السوار بالمعصم

وفي صبيحة يوم من أيام أفريل عندما كنت أتأمل الطبيعة وأستجلي أسرارها في جو شاعري عميق تحت نفحات الجنان، أيقظني سي صالح من نومي بصوته طالبا مني أن أطلعه على فحوى البرقية التي جاءت لتوها من طرف الرائد سي جابر والتي يطلعنا فيها عن وصول مرتقب لفصيلة مكونة من 110 جندي إلى منطقة العباد. لذلك وجب عقد اجتماع لتحضير المأكل والمأوى لهؤلاء الجنود حيث قام سي بومدين شيخ القرية بتنظيم عملية التكفل بالجنود من طرف سكان حي العباد وسيدي الطاهر ولم تكن هذه الأوامر سوى الجزء الأول من الرسالة وكانت دهشتي جد كبيرة عندما تلوت جزءها الثاني الذي يأمر فيه بالهجوم على مدينة تلمسان في ليلة 27 من رمضان التي يسميها المسلمون بليلة القدر إنّها عملية عسكرية جد حساسة لم يتم القيام بمثيلتها من قبل لعظم مرماها والهدف منها ودقة المبتغى المرجو منها وهذا مالم نراه بالتدقيق من قبل.

في 26 من شهر رمضان، وعلى الساعة الواحدة صباحا، وصل من صبرة 110 جندي من أحسن المدرَّبين مدججين بالأسلحة كما كان منتظرا. اهتممنا بتوزيعهم إلى مجموعات وفق الوسائل والإمكانات التي قامت بمنحها كل عائلة حيث بلغ عدد أفراد كل مجموعة من 07 إلى 08 جنود تتكفل بهم كل عائلة، وكان كل شيء محضرا تحضيرا جيدا : الفطور والسحور لأنّ الجنود وصلوا في وسط الليل كما تمّ إفطار جميع أعوان الاتصال وكذلك من أوكلت لهم الحراسة لتوفير الحماية لهاته الفصيلة العسكرية. وفي الغد على

الساعة الخامسة عم ضباب كثيف على الناحية بأكملها مانعا بذلك كل مجال للرؤية حيث تجمع الجنود داخل مسجد سيدي بومدين الحالي أين أُعطي الأمر بالهجوم فورا وفي وضح النهار مغتنمين فرصة تواجد الضباب الذي سهّل لنا المهمّة لأنّنا كنّا على استعداد كامل وقد عُيّنت في هذه المهمة ككشاف رقم واحد. وعند خروجنا من المسجد كان علينا أن نسرع في نزع ما تملكنا من أوهام لأنّ الضباب ارتفع بسرعة لتظهر الشمس من جديد هذا ما اضطرّنا إلى عدم الهجوم في وضح النهار لأنّ الهجوم في هذه الظروف قد يكلفنا الثمن باهظا ليس فقط بالنسبة لنا كمجاهدين، ولكن أيضا بالنسبة للمدنيين الذين آزرونا وساندونا. ولكن الله كان معنا في هذه الليلة المقدسة وهذا ما أوجب علينا العودة إلى مخطط الهجوم الأول حتى وإن كان الانطلاق على الساعة التاسعة ليلا قد غُيّر إذ باقتراح مني غيرنا مسلك الهجوم الذي ينطلق من الصفصاف إلى سيدي الحلوي إلى سيد عثمان إلى الرباط ثمّ إلى باب الجياد[1]. لقد انطلقت المجموعة على الساعة 9 ليلا وعلى رأسها سي صالح ومسيفي، والمرحوم عكاشة مرفوقين بـ 10 من المدنيين مسلحين بقارورات المولوطوف تتبعها بقية الجنود. وفي الصفصاف على بعد 05 كلم من مدينة تلمسان كان علينا تجنّب المرور بالقرب من المركز العسكري الفرنسي الهام والخطير على مسلكنا معتمدين في ذلك على قاعدة هامة للتراجع من خلال تعيين 05 رجال مسلحين برشاشات من نوع 30. وبعد تجاوزنا لمرحلة الصفصاف ووصولنا الى سيدي عثمان عبر طريق أكثر سرعة يمر بالحدائق والجنان المتواجدة في تلك المنطقة أذكر حينها أني كنت على رأس الصف حتى بلوغنا سيدي الحلوي ثم سيدي لحسن ثم الى حي الرباط وهو الحي الذي يوجد به بيتنا وبيت عائلة سلكة التي ستكون لي معها علاقة طويلة الأمد إلى يومنا هذا إذ سيكون لي شرف الاقتران بإحدى بناتها.

وعند وصولنا إلى هذه الأماكن أطلق الرائد عنتر قذيفة الروكيت من نوع "قارانث » «de Type garant» على بيت للدعارة كان يحتل شرفتها بعض الجنود الفرنسيين مستعملين

[1] تمّت قيادة هذه العملية من طرف المسؤولين الآتية أسماؤهم: زيتوني، عنتر، حاج بالي، سيد أحمد بن شقرة وعلي خديم.

إياها مركزا للمراقبة لأنّها فعلا واقعة في مكان حساس واستراتيجي. وبعدما ألقينا نحن أيضا بوابل رشاشاتنا على هذا المكان نتج عن هذا العمل موت الكثيرين، انطلقنا بسرعة نحو باب سيدي بومدين لنصل إلى السوق التاريخي وأخيرا إلى باب الجياد لنُطلق عبوتين ناسفتين على شاحنتين عسكريتين من نوع GMC استطعنا أن نتمكن من الأولى بينما لاذت الثانية بالفرار. وأذكر أنّني شخصيا لم أتمكن من إطلاق النار لأنّ رصاصة بقيت محشورة في ماسورة الرشاش الذي كنت أحمله من نوع "ستارن stern" ولم يبقى لديّ سوى المسدس، قمنا بعدها برمي العبوات المتبقية على عمارة باستوس BASTOS الواقعة بشارع بلعباس.

في الوقت نفسه هاجمت فرقة أخرى مسلحة بقارورات المولوتوف محطة القطار بحرق جميع العربات المتوقفة على الرصيف حيث عطل هذا الحريق حركة القطار لعدة أيام، لقد كبد المجاهدون الأشاوس خسائر فادحة لهذه المحطة وفي المجموع دامت مدة إطلاق النار نصف ساعة.

أما الرد الاستعماري وبالرغم من اعتماده على المدرعات والدبابات من نوع 12/7 فإنّها بقيت دون جدوى أو فعالية تذكر لأنّ مخطط الهروب الذي قمنا به سمح لنا بالعودة دون أن يتمكنوا من إلحاق الخسائر بنا حيث التحق الجنود مباشرة بقرية زلبون غرب مدينة تلمسان للعودة إلى صبرة التي خرجوا منها أوّل مرّة. واحد فقط لم نتمكن من استعادته إلاّ في الغد وإلحاقه بإخوانه بعد أسبوع من ذلك، أما بالنسبة لنا كجنود ملحقين بناحية تلمسان فقد كان الالتحاق بالمقر العام الواقع بسيدي الطاهر عبارة عن لعبة أطفال.

كانت العملية ناجحة نجاحا كليا لأنّنا أشعنا بأننا سنهاجم مدينة تلمسان لتكون أول مدينة جزائرية تتحرر من ربقة المستعمر وكان منتظرا أن يتم تنصيب الحكومة الجزائرية بها وهذا ما انخدع له الاستعمار الفرنسي لأنّ المنشورات الصحفية للمستعمر عظمت صدى هذه الإشاعة ممّا جعل المستعمر الفرنسي يتمركز بالمنطقة من خلال قوات عديدة في مدينة تلمسان نفسها.

ليلة القدر أفريل 1957

لقد حققنا هدفنا كاملا وتركنا الفرق الفرنسية داخل المدينة ممّا سهّل الحركة على فرق جيش التحرير الوطني المتمركزة حول مدينة تلمسان وبها تمت عملية قدوم الجنود حول العباد والمساهمة في الهجوم في ليلة القدر والعودة إلى القاعدة. لم يتمكن العدد الكبير للجنود الفرنسيين المسخرين للمدينة من القيام بعملية التمشيط ممّا سمح لجنودنا من أداء البلاء الحسن بسهولة قبل الهجوم وبعده.



محمد زيتوني

ليلة القدر أفريل 1957



من اليمين إلى اليسار:

ب بالي، عبد القادر وزيتوني

مطحنة ليفي
« LEVY »

في هذا اليوم، الثلاثين من شهر ماي 1957، كانت مجموعتنا متموقعة بغابة سيدي عبدالله متفرغة للقيام بأشغال وأعمال متنوعة في حين كان حمادوش والشيخ بومدين يتحدثان حول طاولة وضعت عليها أنواع متعددة من الفواكه، وكان سي بويعقوب فلاح صاحب تلك الحدائق والجنائن الغناء التي كنا نتواجد بها. في ذلك اليوم التحق سي بويعقوب بالرجلين يبلّغهما بفحوى إشاعة ذائعة في تلمسان مفادها أنّه بعد عملية تفتيش قامت بها الشرطة الفرنسية في ممتلكات "ليفي" (يهودي يمتلك أكبر مطحنة) اكتشف وجود مجموعة من السبائك الذهبية، كان "ليفي" قد حضّرها لإرسالها إلى إسرائيل وقد أمعنت في التصنت إلى ما يدور بينهم من حديث، خامرتني لتوها فكرة، وقلت لسي صالح.

."ما رأيكم لو فجرنا هذه المطحنة ؟"

أجاب سي صالح

-"إذا كنت قادرا فافعل ولكني أحذرك بأنّ الخطأ غير مسموح به أبدا".

اختر مجموعتك وضع مخططك وانطلق.

لقد كنت على يقين بأني قادر على تحقيق هذه العملية خاصة وأنه بقي لدينا 7 كلغ من البلستيك(TNT) بعد عملية القطار التي قمنا بها في الـ 29 من شهر جانفي 1957، أثناء إضراب الثمانية أيام، وبعد تدمير المركز الكهربائي لفدان السبع الذي لم أذكره في ما سبق، عندها عاد سي صالح ليستأنف الحديث حيث سألني قائلا:

. " حاج هل تعرف المكان ؟ " وأجبته:

. « طبعا بالتأكيد سيدي القائد لأنّ أبى كان مالكا للحديقة الواقعة بجواره ».

وبعد هذا الحديث استطعت أن أتحصل على الضوء الأخضر لكي تتم العملية في ذلك اليوم نفسه، وكان عليّ تحديد الاستراتيجية الواجب اتباعها، فقمت على الفور باختيار المجموعة التي سترافقني والمكونة من عبد السلام بندي جلول، سيد أحمد إينال المختص في المتفجرات هبري عبد المجيد وعبد الحميد زيان وهما شابان التحقا منذ وقت قصير وكذلك عكاشة لعريبي وسي صالح مسيفي وهذان الأخيران مدنيان من سكان حي العباد. عكف الجميع كل في ما يخصه، على العمل المطلوب منه حيث تكلّف "إينال" بتحضير المفجر وكل الأجهزة المتعلقة به، أما عبد السلام فقام بالتوجه للإتيان بقارورات المولوطوف (MOLOTOVE) وحاوية صغيرة بها مادة البنزين. وعلى الساعة السابعة والنصف كان كل شيء على ما يرام، كلّفت حينها عونان مدنيان بالتموقع غير بعيد من المطحنة للقيام بالمراقبة حتى حين وصولنا المخطَّط له على الساعة التاسعة ليلا. المراقبة في تلك المنطقة كانت حتمية تفاديا للوقوع في كمين إحدى الدوريات؛ إنّ لقاءا غير منتظر لا يمكن إلا أن يؤثر سلبا على مجريات العمليات المخطط لها. وعلى الساعة التاسعة ليلا وبعد المراقبة والتأكد الأخير، سلكنا طريقنا مرورا بسيدي الطاهر، بيروانة، وأخيرا القلعة العليا. وصلنا بعدها إلى المكان في الوقت المحدد، أبلغنا حينها أعوان المراقبة المتواجدين هناك منذ المساء بأنّ الأمور تسير بشكل عادي وطبيعي وبالإمكان الانطلاق في العملية بالرغم من وجود حارسين داخل المطحنة. وحينما حاول عكاشة فتح الباب سمع نباح كلب، تسلق إثره الجدار وطلب مني أن أعطيه الخنجر الذي كان بحوزتي ذو الصنع الإسباني، في ذلك الحين وثب الكلب عليه وقام بعضه من يده، تصنّع الهروب من ذلك الكلب ليعود بسرعة هائلة غارسا الخنجر فيه ليسقطه بعدها دون حراك، وهو الأمر الذي جعل الكلب الثاني يلوذ بالفرار عند رؤية ميتة الكلب الأول، عندها قام عكاشة بفتح لنا باب المطحنة لم نجد أثرا للحارسين، قمنا بضرب الباب بواسطة مؤخرة البنادق فانفتحت الأبواب الداخلية أمامنا بكل سهولة، رأينا عندها خارج المطحنة شاحنتين بمقطورتين متوقفتين.

وابتدأ العمل كما خططنا له، حيث قام إينال وعكاشة بوضع المادة المتفجرة تحت الآلات، وكانت مهمّة كلّ من عبد السلام وهبري قارورات المولوتوف، أما سيفي وزيان فكانا يمددان الخيط الكهربائي. بينما قمت أنا بالتسلق إلى الدور الأول، أين كان يوجد مخزون كبير من مادة "الفرينة" ومع الظلمة القائمة سقطت بشدة وتعرضت إثرها إلى جراح على مستوى فجوات الأنف، انتشرت فيها الدماء على وجهي.

وبالرغم من ذلك، أتممت قيادة العملية، بإفراغ مادة البنزين ورمي قارورات الملوتوف، حيث اندلعت النيران كلية في الأسفل، ونظرا للهلع الذي أصاب هبري ودهشته تغافل عن رمي قارورة المولوتوف التي كانت بحوزته، فشجعته مشيرا إليه برميها على الشاحنتين المتوقفتين خارج المطحنة لتلتهمهما النيران أيضا، وعلى بعد مائة متر من المطحنة كان إينال ينتظرنا مستعدا لتشغيل المفجر، وبعد التأكد من عودة الرجال كلهم، قام إينال بتشغيل المفجر. لقد علمنا بعدها أنّ المواطنين خطر لهم بأنّ زلزالا ضرب قرب المنطقة نتيجة قوة الانفجار وقد صحت بأعلى صوتي حينها إنّها والله حفلة 14 جويلية[1] لأنّ ألسنة اللهب ارتفعت عاليا حتى بلغت في العلو 100م ولحسن حظنا احتمينا وراء شجرة كبيرة، اتقينا بها من الشظايا المتناثرة من قرميد وآجر المطحنة. لقد اتقينا شرا كان محققا.

ولقد كانت عودتنا إلى قواعدنا سهلة، لأنّ ألسنة اللهب كانت تنير لنا الطريق معتمدين في ذلك على العودة السريعة جريا. بعد لحظات قليلة كنا قد وصلنا إلى بيروانة خارج مدينة تلمسان وفي تلك اللحظات قامت المدرعات والدبابات بمحاصرة المكان على مسافة شعاع مقدر بـ 3 كيلومترات، وقبل عودتنا إلى المخيم كان حمادوش في انتظارنا قلقا ولكنه عند رؤيتنا تغيّرت ملامحه وشعت نورا من فرحته بعودتنا قائلا لنا:

. " ألم يصب أحد منكم بأذى ؟ "

. " هل تمّ كلّ شيء على ما يرام ؟ " مضيفا في تساؤله.

. " نعم بالطبع " أجبته.

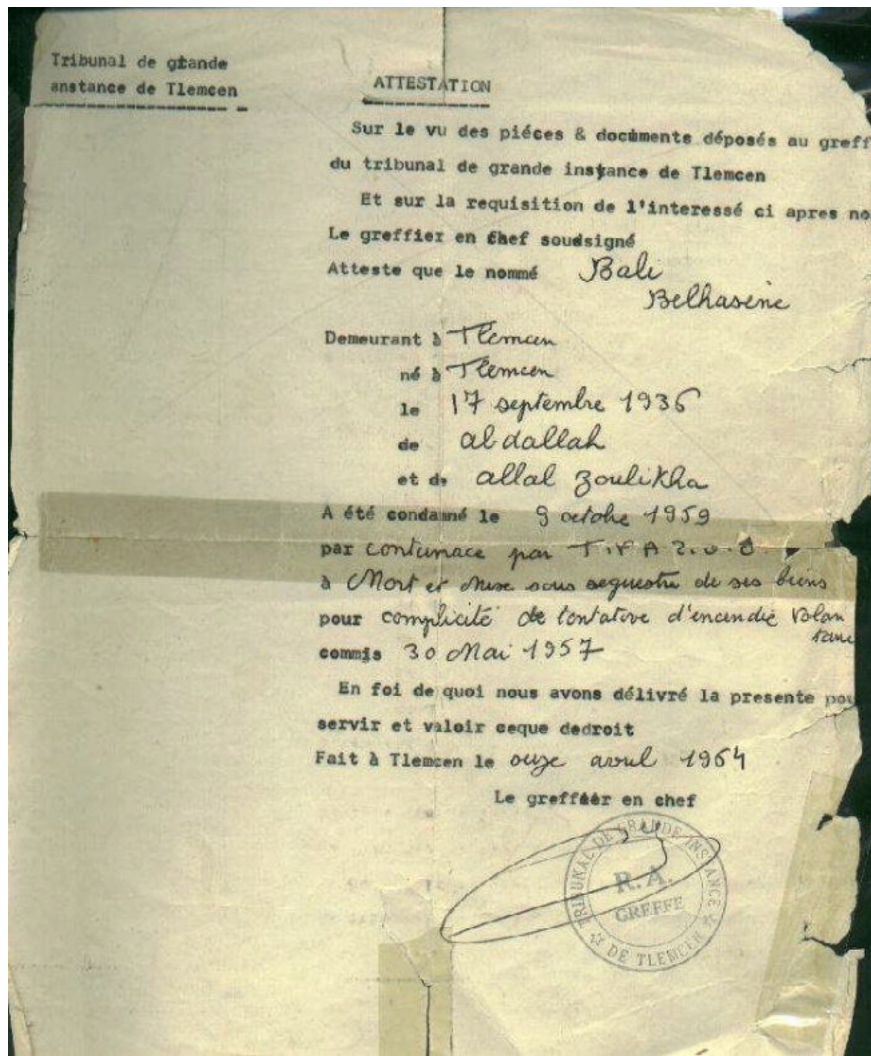
[1] كنت أعني العيد الوطني الفرنسي الذي كانت تقيمه السلطات الاستعمارية في الجزائر مستعملة فيه المتفجرات الضوئية وخصوصا كثيرا من الأضواء.

ونظرا لفرحته بالنجاح الذي لقيته هاته العملية تأسف سي صالح عن عدم مشاركته معنا لأنه فعلا كان جريحا منذ (3 أشهر)، وعلى الساعة الحادية عشر والنصف رافقنا سي بومدين ليطعمنا فالجوع بلغ منا مأخذا عظيما وقد علمت بعدها أنه حكم عليّ غيابيا من المحكمة الفرنسية بتلمسان بتاريخ 9 أكتوبر 59 بالإعدام بتهمة الحرق العمدي، وتم إثرها حجز ممتلكاتي.



سيد أحمد إينال: صانع المتفجّرات.
هذا المثقّف دوّخ المستعمر الذي قام بحرقه حيا

مطحنة ليفي



Tribunal de grande
anstance de Tlemcen

ATTESTATION

Sur le vu des piéces & documente déposés au greff
du tribunal de grande instance de Tlemcen
Et sur la requisition de l'interessé ci apres nom
Le greffier en chef soudsigné
Atteste que le nommé Bali Belhasene

Demeurant à Tlemcen
né à Tlemcen
le 17 septembre 1936
de Abdallah
et de Allal Zoulikha
A été condamné le 9 octobre 1959
par contumace par T.P.F.A Z.O.O.
à Mort et Mise sous sequestre de ses biens
pour complicité de tentative d'incendie Blan...
commis 30 Mai 1957

En foi de quoi nous avons délivré la presente pou
servir et valoir ceque dedroit
Fait à Tlemcen le onze avril 1964

Le greffier en chef

TRIBUNAL DE GRANDE INSTANCE
R.A.
GREFFE
DE TLEMCEN

عـــائلة بندي جلول

لا يمكنني بأيّ حال تجاهل أو تناسي ما قدمته العائلة الكريمة " بندي جلول " من إيثار وعطاء لا يمكن تقديره أثناء الأحداث الدامية والأليمة التي عصفت بمدينة تلمسان وضواحيها خلال المراحل العصيبة التي مرت بها أثناء ثورة التحرير.

لقد كان بيت هذه العائلة الواقع بسيدي الداودي على بعد 3 كلم من مركز مدينة تلمسان تحيط بهذا البيت حدائق غناء ومزارع من كل جانب. وفعلا كان المكان في عمومه مهيأ ليصبح مركزا لاستقطاب جموع المجاهدين.

كانت هذه العائلة الملقبة لدى سلطات الحالة المدنية الفرنسية باسم "غزلاوي"، حيث لم يبق من هاته العائلة سوى فرد واحد، أما الأخرون وهم محمد . مختار . جلول . سعيد . عبد السلام وجيلالي فقد لقوا الشهادة فداءا للوطن وحتى أمهم المدعوة " ماما" لم تسلم من الانتقام الوحشي بعد توقيفها من طرف القوات الاستعمارية، ولذا أُختير بيت هذه العائلة لاستقبال فصائل المجاهدين وقادتهم ابتداء من سنة 1956. كان من بين أول القادة الذين تم استقبالهم عقيد المستقبل لطفي، عبد العزيز بوتفليقة، بومدين وجدي، رضا بوشامة فتحي بن ثابت إلخ...

ومن بين العمليات الأولى التي انطلقت من هذا المركز، الهجوم الشهير على MTO الذي ورد ذكره في ما سبق، ذلك الهجوم الذي تمكنا بعده من غنيمة عدة أسلحة ومساعدة عدد من الجنود الجزائريين على الإفلات من مراقبة الجيش الفرنسي.

و في بداية 1956 وإثر عملية تحت قيادة العقيد لطفي انطلقت من بيت عائلة بندي، تم إعدام الخائن "فرفرة FERFERA " بالقرب من حي الرباط، بعدها تم رمي قنبلتين على "الجوهرة" وهو بيت للدعارة معروف استعمل الجنود الفرنسيون شرفته كمركز للمراقبة والترصد، كما تمت عملية هجوم على دورية فرنسية وكان في تلك الآونة العقيد لطفي يراقب

العملية عن بعد، وقد طرب لسماع صوت انفجار القنبلتين عندها رفع بكِلتا يديه (إلى السماء) الابن الأصغر لعائلة "غزلاوي" صائحا :

. " لقد نجحنا.. لقد انتصرنا... الحمد لله".

وأجبرت كثرة الذهاب والإياب نحو بيت عائلة بندي جلول على إقامة الحراسة من طرف الجنود، كل حسب الدور في عدة نقاط استراتيجية. ونظرا لكبر الملكية الواقع بها البيت، فإن المخابئ الأولى (Pajeros) التي يبلغ عددها 10 تقريبا تم بناؤها وإقامتها داخل هذه الملكية حيث كانت فصيلتان من 66 فردا تقيم وتتغذى بصفة دائمة داخل هذا البيت وكانت "ماما" الأم الراعية الحنون لا تكف عن الطبخ للمجاهدين ليلا نهارا، وهو الأمر الذي جعلها بعد ذلك تتعرض لصواعق المستعمر، فقد تم إيقافها وسجنها. كان لإيقاف عبد الفتاح بوحصيرة الملقب بالتونسي أثر بالغ بحيث تسبب في متاعب كبيرة لعائلة بندي جلول. فإثر التعذيب الوحشي الذي تعرض له، مع تكوينه الجسدي الضعيف لم يستطع مقاومة التكتم، انتهى بكشف كل ما لديه من أسرار للعسكريين الفرنسيين. وللأسف الشديد تمكنوا من معرفة أسرار بعض المخابئ نتيجة المعلومات التي تحصلوا عليها وتحديد مواقعها، حيث تم إحراق أحدها بواسطة قارورة "الملوتوف" وقتل المدعو زريوح في المكان عينه، وفي مكان آخر قتل زوجان من الجيران السيد بن حمزة وقرينته كانا متواجدين في مخبأ. وقد تم نقل عبد السلام بندي جلول الذي تعرض للحرق من طرف الفرنسيين للعلاج في " دار الجنرال [1] " لتتم بعد ذلك محاولة استنطاقه لعدة مرات، إلاّ أنّه لم يبح بسر بالرغم من تواصل التعذيب عليه حتى لفظ أنفاسه الأخيرة والتحقت روحه الطاهرة ببارئها. لقد فضّل الانتقال إلى العالم الأبدي والموت بدل البوح بأسرار وطنه وبني جلدته وأسرار إخوانه في الكفاح. ولقد كان عبد السلام قائد فصيلة للفدائيين برتبة عريف أول.

[1] دار الجنرال : تقع في وسط مدينة تلمسان بالقرب من المشور، وكانت مسكنا ومقرا للجنرال المسؤول، تحولت بعده إلى مركز لتعذيب المساجين والمدنيين والجنود المعتقلين من طرف قوات الاحتلال.

كما وقع في هذه السنة (1958) مخبأ بين أيدي قوات الاحتلال الفرنسية التي قامت بإحراقه، حيث فقد 22 جنديا حياتهم نتيجة الاختناق وكان من بينهم الإخوة بن سنان جمال وعبد الغني وكذلك عبد الحميد شريف ومحمد بن عاشور والحمّاس.

كان يعتبر بيت هذه العائلة المجاهدة أيضا مركز عبور المبالغ المالية والحلي والمجوهرات المتبرَّع بها من الشعب والتي كانت توجه بعدها نحو وجدة للمساهمة في تمويل حزب التحرير الوطني.

بعدما تيقّن سي عنتر من بقاء الجنود لمدة تتجاوز 3 أشهر عادة بممتلكات بندي جلول، قرّر حينها تخفيض

مدة إقامة المجاهدين بهذه الممتلكات، ليس تفاديا لاكتشاف القوات الاستعمارية لمكان إقامتهم وحسب ولكن أيضا للتخفيف من شدة المعاناة التي كانت تعيشها "ماما" جراء تكفلها بالطبخ والغسيل وقت إقامة المجاهدين ببيتها. إلاّ أنّ "ماما" الشجاعة تمّ إلقاء القبض عليها واعتقالها، أين فقدت عافيتها إلى غاية الاستقلال وبعده توفيت بعد مرض طويل.

عائلة تهدي 5 من أفرادها، ضحت بممتلكاتها، لأجل القضية العادلة، هذه ميزات عائلة بندي جلول. لما رجعنا إليهم أثناء تأليفنا لهذا الكتاب، وبعد مضي أكثر من 40 سنة مضت، شعرت مع أفراد هذه العائلة، بالهمة نفسها التي شعرت بها مع الشخصيات الثمينة التي عرفتها سنة 1956 زيادة على الاستقبال والصدر الرحب الذي ذكرني بالعديد من الأحداث. فقد كانوا ذوي فائدة عظيمة لي لما أهدوا لي من صور بعض الشهداء.

المجد لهذه العائلة، رحم الله أرواح شهدائهم المتوفين بالقتال والتعذيب وروح والدتهم الباسلة، ورحم الله كل شهدائنا الأبرار.

عائلة بندي جلول



بندي جلول ماما
لم أرها يوما جالسة دائما منشغلة بالطبخ أو غسل ثياب المجاهدين



بندي جلول عبد السلام

كوابيس شاب مكافــح

تحت هجير الشمس الحارقة يقع سوق المدينة بالحي العربي مثلما كان متداولا في ذلك العهد، يأمُّه أيام السوق الأسبوعي جمع غفير يفيض على جنابات شارع ابن خلدون الذي يتصف دائما بحيوية المارة وضجيجها.

كان في أحد المحلات التجارية شخصان يتبادلان أطراف الحديث قدور وهو شخصية معروفة بصفته عازف على آلة "القصبة" والثاني بن عيشة معلم للقرآن "طالب" يستقي عنده الأطفال أصول علم القرآن بمسجد جامع الشرفاء المطل على شارع ابن خلدون، والذي بقي أهل تلمسان يسمونه إلى حد الساعة بـ "السويقة". وهما على هذه الحالة توقفت سيارة أمام المحلّ نفسه ليغادرها رجل اسمه خلدون من مدينة وهران متوجها نحو المحل، وبعد تحية الرفيقين اقترح عليهما القيام بنزهة.

. ما رأيكما في نزهة ؟ يجب أن لا نفرط في يوم مثل هذا...

. " حقا، بكل سرور، ولكننا نخشى مصادفة هؤلاء الجنود الملاعين" مجيبا بن عيشة

. " لسنا غرباء ومع هذا نحن مصحوبين ببطاقات التعريف، إذن أين المشكل ؟ " مضيفا خلدون. راح الشخصان مصطحبين ضيفهما على متن السيارة، وفي حدود الساعة الثانية زوالا، فارقت السيارة شوارع المدينة لتتجه نحو الطريق المؤدي إلى الغابة. بعد قليل، غادرت السيارة الطريق المعبد لتنعرج نحو ممر قديم، ثم توقفت بطلب من سي قدور ليتأمل عن قرب جمال الطبيعة الخلاب والروائح المنعشة المنبعثة من أشجار الصنوبر التي تكسو جبال المدينة.

بينما كان الأشخاص الثلاثة يستحسنون ذلك المشهد الملفت للنظر، ظهر شخصان، كُنّا أنا ورفيق السلاح بونوار. عندها أمرنا بن عيشة وقدور الخروج من السيارة، إلاّ أنّ بن عيشة بعد برهة من التردد فرّ هاربا ولاحقته وأنا أضغط على زناد رشاشتي مطلقا، جهزت

رشاشتي ورميته بسلسلة من الطلقات، وبالرغم من أنني كنت على بعد 06 أمتار منه فإنّني لم أصبه حتى نفذت ذخيرتي، فأمسكت بخنجري وقمت راكضا وراء الفار المصاب بجروح والذي لم يجد سوى مسجد سيدي أبي مدين بالعباد ملجأً آمنًا يقيه ويحميه، فتردّدت في ملاحقته خوفا من انتهاك حرمة هذا المكان المقدس، خلدون صاحب السيارة السوداء والذي يعتبر في حقيقة الأمر عون اتصال بقي مع بونوار.

ألقي القبض على قدور العازف على آلة الناي، وفي حدود الساعة الثالثة زوالا نقل بعيدا عن الأنظار. خضع للتحقيق لكنّه رفض الاعتراف بالتهم الموجهة إليه والقاضية بتعاونه مع الفرنسيين، وإلى غاية الساعة السابعة مساءا لم يبُح بأي تصريح أو دليل، وصل حينها حمادوش المدعو " سي صالح " المقتنع بدلائل من بونوار الذي أوضح له هيئة ومواقف المتهم، وأمر سي صالح قائلا :

. "اعدموه"

مندهشا من هذا الحكم الشرس، بقيت عديم التأثر والإحساس، وقررت حينها عدم المشاركة في تنفيذ الحكم، لأنني قدّرت أنّ البراهين لم تكن كافية ومقنعة حتى يُنفَّذ من خلالها حكما كهذا، فطيلة الساعات التي دامت خلالها عملية البحث والتحقيق لم يرد من المتهم أي تصريح يبرهن ويدل على الاتهامات الموجهة إليه وأصر على نفيها، ورفضت من عمق كياني رفضا قاطعا هذا الحكم غير العادل.

لاحظ سي صالح انفعالي وتوجه إلي قائلا :

. "ما بك يا حاج ؟ "

. فأجبته " لا شيء "، وقد فهم بدون شك ردّ فعلي لهذه الوضعية، ولم يلح.

فقد التهمني الأرق تلك الليلة من كثرة التأثر وانشغال ضميري، فخرجت إلى الغابة لعلّ خضرة طبيعتها ونسيمها يهدئني.

وفي أحد الأيام، احتضنت قرية العباد اجتماعا ضم عددا من القادة القادمين من نواحي مختلفة، كانت الأزقة خالية، وإذا بصيحات تنبعث من الطريق المعبد المؤدي إلى

السكنات المتلاحمة الواحدة مع الأخرى في صورة فوضى ظاهرة، قدم شخص يتمايل، إنّه "حمليلي" أحد سكان الحي، كان سكرانا، وبدأ يغني حين لمح شخصان كان يحرسان البيت الذي ضم الاجتماع وراح يخاطبهما بصراخ قائلا :

. " لقد رأيتكم... أنتم المجاهدون... أحييكم... نصركم الله "

سقط على الأرض ، ثم استقام وسار وهو يغني " يا مجاهدين لقد رأيتكم إنكم معزّزُون ...".

وفي البيت محل اجتماع كان هناك شخصيات مدنية وعسكرية من بينهم قائدي سي صالح حمادوش يتحاورون حول عدة انشغالات ومشاكل، اقترح سي صالح على سي جابر وعنتر بالمناسبة خطة ترمي إلى الفك والتخفيف من شدة الجيش الفرنسي على المجاهدين قائلا :

. " يجب تنظيم عمليات في وسط المدينة كي يتمركز ثقل الجيش الفرنسي بوسطها"

في ذلك الحين، دخل عون اتصال ليبلغ سي جابر أنّ شخصا سكرانا كان يحوم حول البيت وأنّه قد تعرف على هويتهم، كان هذا النبأ كافيا كي يؤتى بحمليلي المسكين مقيد اليدين ويسجن في إحدى غرف المنزل، وإذ بصاحب البيت يصيح قائلا :

. "يا إلهي... سيكتشف الجيش الفرنسي أمرنا ويحطم بيتي، يجب عليكم أن تتخذوا قرارا... اقتلوه"

و بعد التصويت، سقط الحكم الصاعقة، حكم الإعدام، لم أحضر خلالها، ولكني تنبأت عند سماعي صراخ قريبي، فاقتربت إليه وهو يترجاني إنقاذه :

. " يا حاج... ابن عمي... تعالى وأنقذني " هكذا قال حمليلي الذي كان بائع سمك بسوق تلمسان

. " ألا تستحيي من نفسك... تسكر في سن كسنك... ألا ترى إلى أين ورطتك هذه العادة السيئة ليس بوسعي أن أعمل شيئا لصالحك... ليس لي أيّ قرار "

نقل بعدها حمليلي إلى غاية الحقل، وعند وصولهم، عطرت وجهه ورأسه بالعطر كي يستيقظ من سكره، كلفني حينها سي صالح بتنفيذ الحكم على حمليلي، عشرين دقيقة كانت كافية لحفر قبره، بينما كان حمليلي مقيدا بجذع شجرة ويصيح.

حين جاء دوري، طلبت من رفيقي بونوار تنفيذ الحكم بدلا منّي، وغادرت المكان فائض العينين، كنت جدّ قلق. ولسوء الحظ نبش ابن آوى قبره وظهرت جثته التي عثر عليها سكان القرية لتدفن ثانية.

في يوم جميل، من شهر فبراير 1957، وبعد نهاية العمل، بينما كنت أفكك الرشاشة لصيانتها وتنظيفها، متكئا على جذع شجرة، رأيت شعيب عون اتصال وهو قادم :

. " سي صالح موجود "

فأجبته : " نعم، إنّه يحرس "

ذهبت به إلى سي صالح، ولما وصلنا طلب مني سي صالح أن أتلو عليه محتوى الرسالة التي قدم بها شعيب، الرسالة كانت واردة من قائد الفدائيين لحي بودغن يأمر من خلالها قتل شخصين، عزيزو بن ديمراد "رياضي " وعزيزة موظفة عند محام بحي القلعة، فانفعلت بوحشية وقلت :

. " لكن يا رائد... عزيزة عضوة بالمنظمة، إنّها ضمن قائمة المناضلين لتلمسان، وأما عزيزو بن ديمراد فإنّه نسل عائلة شريفة من تلمسان، فلا يليق اتهامه هكذا !، هذا غير عادل ! ".

ركز سي صالح نظره نحوي وأمرني بتحرير رسالة إلى الرائد جابر :

" إلى الرائد جابر...

تلقيت بكل دهشة أمر إعدام الآنسة عزيزة عضوة نشيطة بمنظمتنا وكذلك السيد عزيزو بن ديمراد، بأمر من قائد الفدائيين لحي بودغن أحمد.

لذا أطلب منكم، سيدي الرائد، بأمر إجراء تحقيق

تقبلوا تحياتي العسكرية

إمضاء سي حمادوش"

وحررت الرسالة نفسها لسي عنتر، وقام سي صالح بتسليمها إلى عون الاتصال لإيصالهما لأصحابهما.

وبعد مضي 3 أشهر، سلمني سي صالح رسالة كي أقرأها عليه والتي مفادها أنّ اجتماعا سوف ينعقد في أحد أحياء تلمسان المسمى فدان السبع المتواجد بشمال المدينة، استدعي للحضور خلاله كل من سي جابر وعنتر المكلفين بالهيئة العسكرية لمقاومتنا، ومدني المكلف بالشؤون المدنية زيادة على 09 أفراد آخرين.

أخذنا أماكننا حول مائدة وتناولنا وجبة غذاء دافئة، حيث قدمت لنا في الحال، وطلب بعدها سي عنتر من أمينه "منصور بن اشنهو " إبلاغنا بجدول الأعمال فقام مباشرة عنتر قائلا بصوت مرتفع :

. " أحمد... مسؤول الفداء، قم "

. " مستعد يا رائد " مجيبا أحمد وهو يقوم من مكانه. وأمره حينها عنتر بإعادة السلاح إلى سي صالح، فسأله أحمد مندهشا :

. " لماذا أنزع سلاحي، يا رائد ؟ "

فذكره عنتر بالأحداث والظروف التي تم خلالها تنفيذ حكم الموت على عزيزة وعزيزو بن ديمراد، وبعد البحث والتحقيق في الأمر، ثبت أن أحمد قد تسرع في قتل الضحيتين التعيستين، لأنّ من سوء الحظ قام الجيش الفرنسي بتطويق حي بودغن في ذلك اليوم نفسه اعتقادا أنّها خيانة، أمر قائد الفدائيين لبودغن بتنفيذ حكم الإعدام على "عزيزة وعزيزو بن ديمراد" ظانا أنهما خائنان لاتصالهما بالفرنسيين.

وأثناء المشاورة، وبينما عزل أحمد في إحدى غرف البيت، تداولت الكلمة بين سي جابر، عنتر، مدني وسي صالح وبقية الحاضرين، وبعد مضي ساعتين كاملتين من التشاور، توصلنا خلالها إلى حكم، بالإجماع.

. " سي صالح، عيّن أحد يقوم بتنفيذ الحكم " قائلا سي عنتر.

ثبت سي صالح نظره نحوي قائلا :

. حاج... احفر القبر، سأخرج أحمد لتنفيذ الحكم بعد نصف ساعة "

احتججت خلالها من الحكم الذي كان يظهر لي مبالغا فيه واحتججت على تعييني لتنفيذ الحكم

. " أترجاك يا سي صالح، عين شخصا آخر عوضي لتنفيذ الحكم " وأضفت مقترحا عليه "إن أحمد صديقي، لِمَ لا تمنحه قنابل يدوية، ليهجم بها على مركز الشرطة، أليس بحكم أفضل "

. " مستحيل الأوامر هي الأوامر " أجابني سي صالح

و بالرغم من هذا، دام إلحاحي واحتجاجي على هذا القرار.

. " يا رائد أُعتبر الأصغر سنا بينكم، إذن عينوا أحدا غيري "

. " فات الآوان " مجيبا عنتر " نفذ الحكم أولا... ثم نتكلم بعدها "

انغلق كل مجال لإقناعهم، ولم يبقى لدي أي خيار سوى الانصياع للأمر وتنفيذ الحكم وإعدام أحمد أحد أصدقائي، وقمت بتسليم الرشاشة إلى أحد رفاقي منصور بن اشنهو وبدأت في حفر قبر رفيقي المحكوم عليه الذي سوف أعدمه بيديّ، بعد انتهائي من الحفر، رافقت المحكوم عليه الذي صاح بصراخ مرعب عند رؤيته للحفرة التي جهزت له خصيصا، قائلا :

. " آه... لا... هذا مستحيل، هل ستقتلني ؟ "

بقيت ساكنا، لم أتجرأ حتى للنظر إليه، ففهم حينها أنه القدر، وليس بإمكاني تغيير شيء وما عليّ إلا تنفيذ الأوامر، فنظر إلي نظرة يأس وقال :

. " حسنا، أؤدي صلاة الوداع " فاستجبت لآخر رغبة له، ولما أدى صلاته قلت له :

. "أسرع يا أحمد "

دار نحوي وقال لي :

. " عاهدني أنك ستعتني بعائلتي، ليس لهم من يلبي حاجتهم ويسد قوت عيشهم "

بسماع طلب المحكوم عليه، ومحاولة لتقويته عاهده سي صالح بتخصيص نفقة تدفع لعائلته.

منحني أحمد حينها رقبته، وبسرعة بضربة واحدة بالخنجر، قطعت رأسه ووضعت بذلك حدا لحياة أحد أبطال الثورة ومناضل حقيقي، بهذا انقضى العمل المأتمي، ورميت بالسلاح حينها وبدأت بالصراخ والبكاء إلى أن هدأني سي صالح ساكبا على جسدي دلوا مملوء بالماء، وقلت :

. " أقسم لك... من اليوم فصاعدا، لو كلفتني في المستقبل بقتل أحدا ما، لانتحرت "

و رجعنا بعدها، دون أن أكلم أحدا طيلة طريق العودة.

بهذا أكون قد رويت لكم في هذا الفصل الأحداث الثلاثة "حمليلي . عزيزة وعزيزو بن ديمراد . أحمد"، والتي أثرت علي كثيرا لمدة طويلة. كانت تجارب مهولة بالنسبة لي، في الحقيقة لا محل للشعور والأحاسيس في حرب حقود كهذه، ولا يمكن المزاح في مسائل الطاعة والانصياع للأوامر، لأنّ القساوة هي شعارنا، كان هذا مهول ولكنه من الواجب دفع ثمن الانتصار. من المحتمل أنّ القارئ سيحكم بوجه آخر على أحداث القصة، لا شك في ذلك، ولكن كان يجب عيش هذه الأحداث والحضور في الميدان، إذ من الصعب أن يتسنى فهم القرارات المتخذة في ذلك الوقت والتي تبدو في الواقع عشوائية. في الأخير، هناك بعض المواقف لا تدع الوقت للتفكير، ولا للكرم، بل للانصياع الأعمى الذي يسمح لنا بالمقاومة والضرب بشدة عدوا قويا وشرسا.

اقتنـــاص

الخونــة والوشـــاة

وقع خطوات، وصوت تهشم أغصان الأشجار تحت وطئها، لاح من بعيد على إثرها فريق من الرجال، كنت واحدا منهم قادما إلى المركز الواقع بسيدي عبد الله، وكان مصطفى بونوار المتقدم للفريق مثقلا وواقعا تحت وطأة التعب والإرهاق تتلاحق أنفاسه بصعوبة أما أنا فكنت أكابد إرهاقا يضاهيه أويتعداه لجأت إثره لأخلد الى الراحة لقليل من الوقت لأتنبّه بعدها بأمر من سي صالح داعيا إيّاي لتحرير تقرير إلى الرائد سي جابر توجه نسخة منه إلى عنتر. وعند نهاية ما طلب مني وضعني سي صالح تحت تصرف بونوار لإتمام تنفيذ ما قدم من تعليمات تعلمت خلالها تفكيك الرشاش "PM38" وإعادة تجهيزه ثمّ الرشاش من نوع "mat40" وكنت أجد صعوبة في ملء خزانات الرشاشات كل واحد منها بـ 32 رصاصة.

"ستتحسّن وغدا ستقوم بعمل أحسن من هذا بكثير" أردف قائلا لي بونوار.

بعد هذا التدريب المحكم ذهبت لألتمس قسطا من الراحة تحت شجرة الزيتون لأشاهد بعد برهة ومن بعيد هيئة ثلاثة رجال وبعد التأكد منهم عرفت "بلحاج" عون الاتصال لكتيبة برفقة شخصين كان أحدهما أخي محمد. كم كانت فرحتي كبيرة لأنني لم أصدق ما رأيت قفزت جريا نحوه معربا لا إراديا عن شوقي وشغفي لرؤيته حيث أفادني لتوه بأنّه هو ورفيقه متابعين ومحل بحث من طرف الشرطة كما أبلغني معلومات عن العائلة وعن كل شيء تمّ تكسيره وتدميره في بيتنا أثاث البيت الكتب . الأواني . بقصد التعنيف والترهيب ملصقين على بيت أبي مناشير بحث متعلقة بي شخصيا. في الوقت نفسه قدم نحونا عون الاتصال المدعو شايب حاملا برقية قرأت محتواها على مسامع سي حمادوش مفادها أنّ السيد زريوح يكون في المكان المعهود على الساعة السادسة مساءا وبدون انتظار سلكت الطريق برفقة أربعة محاربين أشداء وعند وصولنا إلى سفح سيدي الطاهر اختفينا وراء البيت الذي كان يأوينا في

العادة، شاهدنا أثناء تواجدنا رجلين قادمين نحونا وهما بن عاشور ملاكم سابق وزميله في المدرسة زريوح الذي تردد قليلا قبل الدخول، وبضربة قوية رماه عاشور أرضا، وهنا هرعنا إليه لإجباره على الدخول إلى فناء البيت حيث قام مصطفى بوضع القيود في يديه جارا إياه إلى داخل الغرفة، عندها بدأ الاستجواب معه سأله سي صالح قائلا :

. " لماذا تعمل مع الجيش الفرنسي ؟ "

يجيب زريوح قائلا :

. " من أجل ربح الدراهم " ويردف قائلا " إنني أتقاضى 80.000 فرنك فرنسي شهريا زيادة على العلاوات العائلية "

. " كان بإمكانك البحث عن عمل شريف " يجيبه سي صالح، بهدوء تام.

. " أقسم لك بأنني لم أبلغ عن أحد للشرطة " يجيب زريوح الذي همّ بالوقوف ليهوي عليه "مولاي" بأخمس البندقية فيعيده إلى مكانه.

. " إنك تسخر منا " يجيبه قائلا " قص علينا كل شيء وسنغفر لك كل أخطائك"

و بعد ساعة خلت من الاستنطاق انهار زريوح ليعلم المجموعة بكل أعماله السيئة الشريرة واتضح أنّه مبلغ خطير يتعامل بكثير من الفخر والتعنت.

عند ذلك طلب مني سي صالح ومن صديقي مولاي أحمد تتبعه إلى الخارج وطلب منا أن نحفر له قبره. وبعد 40 دقيقة كانوا قد قاموا بالعمل المطلوب وعلى الساعة الثامنة كانت قد رنّت ساعة انتهاء حياة خائن مبلغ (بياع)، لقد أمر سي صالح بإعدامه، حيث قمنا بإخراجه إلى الخارج، وعند رؤيته لقبره أصدر صرخة قوية وترجى أن نبقي عليه حياته قائلا :

. " أقسم لكم بأني لن أعود إلى ذلك ثانية " صارخا بأعلى صوته

. " قيّد له رجليه " أمرني مولاي الذي بجرة واحدة من سكين كان قد قطع عنقه، لقد رأيته ينتفض بشدة على الأرض بينما كانت دماءه تسيل من كل جانب، وفي تلك الليلة أصابني أرق شديد لتوارد فصل تنفيذ حكم الإعدام في مخيلتي، وكان قد لاحظ سي صالح ذلك من خلال شحوب وجهي وارتعاد فرائسي لما حدث، قائلا لي :

. " حاج... يجب أن لا نبقي هؤلاء الخونة يعملون، إنهم يتسببون لنا في كثير من المتاعب " أجبته" يا حضرة الرائد... لماذا لا تنفذون حكم الإعدام في هؤلاء الخونة بواسطة المسدس ؟" أجابني ببرودة :

. " هل تظن بأني سأتحمل خسارة رصاصة من أجل هذه الجرثومة ؟ وهل نسيت بأنّ صوت الرصاصة يمكن سماعه ؟ إذا فإنّ أحسن طريقة في التخلص منه تبقى في استعمال السلاح الأبيض معه".

نحن الآن متواجدون بوسط المدينة، بالقرب من سوق تلمسان و"آسيا" برفقة فدائي أشارت إلى رجل بصحبة شرطيين قائلة :

. " إنه هو حسان مفتش شرطة الاستعلامات العامة (PRG) "

في حين تخلت عن رفيقها لتلج السوق متوقفة بالقرب من تاجر البيض أين يتواجد المفتش سائلة :

. " بكم تبيعون البيض ؟"

. " 15 فرنك " يجيبها التاجر

. " إنه غالي جدا " مجيبة آسيا

عندها يتدخل المفتش الذي لاحظ المشهد قائلا :

. " اشتري لك دجاجة وديكا وبذلك يكون لك البيض بدون مقابل "

. " هذا صحيح، ولكنني لست موهوبة للتجارة " أجابته آسيا التي رأت في هذه الفرصة مجالا سانحا للتعرف على المفتش حسان الذي شاركها في الحوار قائلا :

. " سأساعدك بكل إمكانياتي، أنا بحاجة لك مثلما أنت بحاجة إلي " قال هذا وهو يراود بعينيه آسيا التي كانت تبدي بشكل طوعي جميع مآثر جمالها، عندها قدم لها نفسه من خلال هويته الحقيقية، ولم يخفي أبدا مهمته كمفتش.

وبعد يومين اتخذت آسيا لنفسها سببا بإعادة تجديد بطاقة تعريفها وذهبت لتلتقي بحسان بمقر الشرطة، لقد وقع هذا الأخير في شباك جمال آسيا وساعدها بتنفيذ ما كانت تطلبه وأبدى رغبته في لقائها.

. " إنه شيء سهل جدا " أجابته تلك الفتاة ولكن يجب أن يكون هذا خارج المدينة " أضافت آسيا. انتظرت آسيا يوم الإثنين حسان بالقرب من مقبرة سيدي السنوسي، حيث قدم بسيارته وركبت معه واتجها حسب رغبة الفتاة إلى الغابة، وعند وصولهما إلى سيدي الطاهر، اقترحت آسيا على حسان توقيف سيارته والتجول معا، وبعد عناقه للفتاة التي لم تبدي أي حركة عكسية توقفا بالقرب من تل أين كنت أختبئ ولاحظت أنّ حسان لم يخالجه أي شك عندها قفزت من مخبئي صائحا :

. " ارفع يديك "

انزعج المفتش ولكنه لم يبد أيّة مقاومة، لقد كان يبلغ من العمر قرابة 25 سنة وكان يحمل في إصبعه خاتما ذهبيا كبيرا، حيث تكفل به كل من سي صالح ومولاي أحمد في حين كلفت من طرف سي صالح بحمل برقية إلى علي خديم الملقب بالماجور الذي كان آنذاك متواجدا بالصفصاف. ذهبت لتويّ، وعند وصولي إلى مكان الموعد قدمت البرقية إلى الماجور، بعد ذلك دعاني إلى مشاركته غذائه فأطلعته على بعض الأحداث، آذن لي بعدها بالعودة، لألتقي بسي أحمد، صديق لي منذ سنوات بعيدة، تصافحنا بقوة، لنتبادل مبتهجين سرد ما علق بحياتنا من مستجدات. بعد ذلك سلكت طريق العودة متأسّفا لكون سيد أحمد لم يكن معي في الفصيلة نفسها، وعند وصولي إلى مركز القيادة المتواجد بسيدي الطاهر، قدمت عرض حال عن مهمتي إلى سي صالح وأثناء حديثي معه، رأيت بأصبع يده اليمنى ذلك الخاتم الكبير لحسان، فهمت بأنّ حسان تعرض للمصير نفسه الذي عرفه زريوح، وما كان لي أن أتكلم مع سي صالح، لم أكن سوى مجرد كاتب ليس بإمكانه وباستطاعته مناقشة الأوامر، وكنت أعلم أنّ حمادوش ليس بإمكانه تنفيذ أحكام القتل والإعدام، إلا بأمر صريح من القيادة، وأن أمرا أُعطي لنا بتنفيذ أحكام القتل في حق كل الخونة والمبلغين وكل

المتعاونين والمتعاملين مع العدو. كانت ترمي جبهة التحرير الوطني من وراء ذلك إلى هدف مضاعف، أولا تعبئة المواطنين للمساهمة دون تردّد، ومن جهة أخرى القضاء على شبكة الجواسيس والمبلغين الذين كانوا يتسببون لنا في أضرار كبيرة وكانوا بذلك يقدّمون خدمات مهمّة للعدو تورطوا بتبليغاتهم الواشية والكاذبة التي مست كثيرا من الأعوان الضحايا نتيجة تبليغهم للعدو.

وفي يوم على الطريق المؤدي إلى غابة الصنوبر، كانت ليلى وفاطمة فتاتين مناضلتين تتجولان ظهرت أمامهما برفقة بونوار، كان لنا موعدا معهما وقد أنبتهما للضجيج الذي أحدثتاه والذي كان بإمكانه إثارة انتباه الجنود الفرنسيين قائلا لهما بلهجة رادعة :

. " يجب أن تكونان أكثر يقظة "، بعدها توجهت بالكلام نحو إحداهن.

"كان بإمكان أي أحد أن يرى المسدس وهو ظاهر من وراء الفستان ! حذار لا يمكن أن نتلاعب بقواعد الانضباط " بعد ذلك، أفرغ بونوار حقيبة كانت تحتوي على ثلاث قنابل ومسدسا وعددا من الرصاصات، وقدّم جل ما أفرغه إلى الفتاتين لتقديمه بدورهما للفدائيين بخصوص العملية الفدائية المقبلة القاضية بالهجوم على حانة واقعة في وسط المدينة. اتجهت الفتاتان من أجل إتمام المهمة التي كُلفتا بها، حيث بقيت أنا مختبئا في ذلك المكان منتظرا قدوم فتاة ثالثة كان لي موعدا معها أيضا في المكان نفسه.

وبعد انتظار طويل، تراءت أمام عيني إمرأة ملتحفة مرفوقة برجل يرتدي بدلة رمادية، كانا يتقدمان نحو مقام سيدي الطاهر دون أن يرتابهم أي شك وكان الرجل هو مصطفى الخياط العامل بشارع معسكر، ويا لدهشته عندما ناديته وصحت فيه (ارفع يديك) حيث لم يبدي أية مقاومة مما جعلني أحمله معي بالقرب من المركز أين كان سي صالح مشغولا بتنظيف رشاشته وكان مصطفى مقيد اليدين يتحمل ويلات الاستجواب المرير في تلك الفترة، لقد كان متهما بالتعامل مع العدو بتبليغه عن المناضلين للشرطة الفرنسية، إنّه كان غير معروف في بداية الأمر لتنكره بارتداء لجلابة سوداء وكان تعامله مباشرة مع مفتش الشرطة

الفرنسي "ساليناس"، لقد كان السبب في أحكام بالإعدام نفذت في الكثير من أبطالنا ومناضلينا الأشاوس وكان إعدامه قد أصبح أمرا لا شك فيه.

لقد سمح لنا الاستجواب إذن بالتوصل إلى معرفة قائمة كاملة للمتعاونين مع العدو. أخذت بعدها سوطا لأهوي عليه بضربات حتى تخاذلت قواي لينوب بعدها سي صالح عني في ضربه لنخرجه بعد ذلك من الغرفة التي شهد فيها التعذيب لرميه في قبر قام بحفره مولاي أحمد وعند رؤيته للقبر صاح الخائن بكل قواه قائلا :

. " أقسم لكم بأنني لن أعود لذلك أبدا "

في هاته اللحظة بدأ بعض سكان القرية يقتربون منا ونحن نجر الخائن لنرميه داخل قبره ليدفن تحت وابل من الحجارة حيّا، لقد تأثرت لهذا المنظر تأثرا كبيرا لأني لم أرى ذلك قبل اليوم. وبعد عشرين دقيقة عادت كل الأوضاع إلى حالتها الطبيعية كأنّ شيئا لم يكن. وفي الغد استيقظت وبي تعب كبير لأنّ مشهد الأمس أثار حفيظتي التقيت بعدها بسي صالح وهو يحمل ملفا بيده. وبعد الإطلاع على البرقية تبيّن بأنّ الأمر كان يتعلق بامرأة اسمها بنت الحماس تتعاون مباشرة مع شرطة الاستعلامات العامة الفرنسية وتستقبل في بيتها عسكريين فرنسيين، وأصبح من الضروري مواجهة هذا الوضع وهذا ما دعى بعبد السلام بندي جلول إلى الالتحاق بي من أجل تنفيذ هذه المهمة. عندها ارتديت ملابسي المدنية بينما ارتدى صديقي جلابة ونحن في طريقنا اقترح علي عبد السلام التوقف عند بيتهم للاطمئنان على والديه الذين استقبلانا بحفاوة بالغة. وبعد تناول غذاء شهي والمكوث عندهم قليلا للراحة، حلّت ساعة الذهاب التي تزامنت مع بداية منع التجول. فيما كنت أدق على الباب، كان عبد السلام يقوم بالحراسة حيث أجابتنا امرأة عجوز قائلة :

. " ماذا تريد يا سيد ؟ "

. " أريد التكلم مع بنت الحماس" مجيبا إياها. لقد تفطنت أنّ شيئا غريبا سيحدث مانعة إياي من الدخول. وبضربة واحدة بأخمس البندقية رميتها أرضا، دفعت الباب لأرى مجموعة من النساء جالسات على الأرض فسألت:

. " من منكم بنت الحماس ؟ "

لم أتلقى أي جواب، فأومأت لي امرأة من النافذة المقابلة مشيرة إلى الخائنة بأصبعها، عندها أطلقت الرصاص على بنت الحماس مصيبا إياها في بطنها، وأردت أن أضيف رصاصة أخرى ولكن سلاحي تعطل، خرجت بعدها بصعوبة من ذلك البيت لأنّ كثيرا من النساء وقفن أمام المسلك الذي أردت الاتجاه فيه، أطلق بعدها عبد السلام وابل رشاشه لتغطية مهربي، حيث نقلت تلك المرأة إلى المستشفى وتم إنقاذها من الموت، بينما عدت أنا إلى المركز العام مخذولا ليرفع معنوياتي سي صالح قائلا لي :

. " المهم هو أننا أثنينا هذه الخائنة لكونها في الوقت الحالي واقعة تحت طائلة المرض ولا يمكنها أبدا أن تسبب لنا أي أذى ".

لكن الأمر لم ينتهي بعد ! مهمة أخرى من النوع نفسه كانت تنتظرني ومن أجل إتمام ذلك طلبت مساعدة المجاهدة آسيا التي طلبت منها أن تنتظرني تحت ظل زيتونة تقع في الطريق المؤدي إلى العبّاد.

وعلى الساعة الخامسة والنصف، بدت الفتاة، لقد حافظت على الموعد بدقة متناهية، حيث تبادلت معها أطراف الحديث.

. " أهلا آسيا... كيف حالك ؟ "

. " كل شيء على ما يرام... شكرا " أجابتني الفتاة

طرحت لتوي موضوع مقابلتنا

. " هل تعرفين فارس بائع الفحم ؟ ضابط سابق في الجيش الفرنسي أثناء الحرب الهند الصينية "

. " آه نعم إنّه يسكن بجوارنا... أين ألتقي به كل يوم "

. " حسنا بما أنك تعرفينه... إصحبيه إن استطعت إلى هنا لأنه من الخطورة علينا بمكان أن نلج المدينة من أجل القضاء عليه " أردفت قائلا

. " نعم بكل تأكيد سيكون بالنسبة لي أمرا يسيرا، لأني أعلم بأني لست نكرة بالنسبة إليه "

. " إذن أريده غدا... على الساعة الحادية عشر... هل فهمت ؟ " آمرا إياها بحدة لا تقبل الجدل.

وعندما ذهبت آسيا، التحقت بمركز القيادة، أين لم أجد سي صالح، ولكنني رأيت رجلين مسلحين قادمين نحوي، لقد كانا جنديين حديثي العهد بالجبل وهما مجيد وبوجنان، قدما لمقابلة سي صالح من أجل الدخول في التدريب. فجأة ظهر سي صالح من بين الأشجار وبعد التحية، طلب من الجنديين الجديدين إفراغ حمولة صندوق مليء بالأسلحة من على ظهر حمار، وبعد حسابها وعدّها ساعد سي صالح الجنديين في إخفائها داخل المخابئ (Pajeros). أمّا أنا فقد استلقيت على البساط المزكرش للأعشاب، لكن ذلك الوضع لم يدم طويلا لأستقيم بسرعة، لأني رأيت من بعيد المناضلة الشابة ليلى وبيدها قفة وتيقنت أنها تحمل فيها طعاما شهيا زيادة على كوني كنت شديد الجوع الذي أخذ مني كلّ مأخذ.

وفي الغد على الساعة العاشرة والنصف صباحا، ذهبت إلى مكان الموعد مع فارس وكان معي مجيد وبوجنان (جنديين جديدين). ومرّ نصف ساعة، بعدها ظهرت الفتاة آسيا برفقة فارس دون أي تأخر يذكر، ودون تسليح رشاشتي ذهبت لمقابلة بائع الفحم، حيث قفزت نحوه من أجل تجريده من سلاحه، واستحال الأمر معه لأنّه كان قوي البنية، ولكن بالرغم من ذلك تشبثت به لننجرّ معا على الأرض لمدة، أما رفيقيّ اندهشا لهول المنظر فرميا وابل رشاشتهم نحونا وهربا. بقيت بعدها لوحدي أمام هذا العملاق المتحجر الذي بدوره رفض ترك إمساكه بي ظانا أنّه تمكن مني، وبضربة قوية من مرفقي في وجهه تحررت من قبضته، قمت بعدها بالقضاء نهائيا عليه، بضربات متتالية من مؤخّرة البندقية. ولكونهم سمعوا صوت الرشاش ورأوا عودة رفيقيّ، سي صالح ومولاي أحمد هرعا لنجدتي، ظانين أني تعرضت للقتل، عندها أنّب سي صالح تأنيبا شديدا بوجنان ومجيد اللذين تخليا عني، وتم عقابهما لعدم مدّ يد المساعدة، لقد نجوت بأعجوبة لأخلد إلى التفكير في الخطأ الفادح الذي ارتكبته، بعدم تسليح رشاشتي قبل مقابلة العدو.

إنّ هذا الفصل لم يكن للأسف الأخير، فاقتناص الخونة والمتعاونين تواصل، ولكم القصة التالية التي عشتها والتي لم يسبق لها مثيل.

على الطريق المؤدي إلى سيدي الطاهر، طَرَقَ عسكريّ مسلم عضو في الجيش الفرنسي على باب بيته، حيث فتحت له الباب امرأة مستقبلة إياه بالقبلات، إنّها زوجته لقد كان مراد (العسكري) لم يرى زوجته لمدّة طويلة.

. " كيف حالك " سألته زوجته

. " على ما يرام، وعلى كل حال، لا يمكن أن نأمل في خير أكثر من هذا، الحمد لله إني أربح قوت يومي".

بعد الغداء التحق الزوجان بغرفة النوم وبعد الخلود للنوم، استيقظ مراد وأفرغ حقيبة نقوده، التي أعطاها لزوجته، ليعود بعدها إلى الفراش بينما كانت زوجته تتظاهر بتنظيف أواني المطبخ، وعند ملاحظتها للنوم العميق الذي استرسل فيه زوجها، خرجت من البيت مهرولة لتلتحق بمقر القيادة العامة للمجاهدين، لتبلغنا بأنّ زوجها مراد واشي ومتعاون مع الجيش الفرنسي، لقد كان خائنا للوطن. سدل الليل ستاره بعدما تركت المرأة مسبقا باب بيتها مفتوحا، تسللت إثرها إلى البيت ولم أجد أية صعوبة في تقييد مراد، حيث أخرجته أمام مرأى زوجته التي تصرّفت، ببرودة شديدة وعدم اكتراث بخصوص ما يجري أمام مرآها ممّا أثار عجبي و دهشتي. اصطحبت المحبوس معي إلى مقر القيادة العامة وبعد الاستجواب اتضح أنّه صيد ثمين، لأنّه كان سيعلمنا عن حركة الجيش الفرنسي في القطاع الوهراني. أمّا هو فوأسفاه له لأنّه تورط في قتل كثير من المجاهدين دون تردد، ودون تأنيب ضمير، حيث كلفني سي صالح بقتله وهو ما فعلته برميه برصاصة في العنق، وقبلها أفادني أنه ترك كثيرا من المال في بيته حيث لم أهتم بهاته القضية لأني لم أتكلم عنها لأحد ولكن، لم أستطع أن أتفهم التصرف الذي لا تفسير له والتي أبدته طواعية هاته المرأة، هل تصرفت عن إيمان بالوطنية أو بهدف الاستيلاء والحصول لوحدها على كل تلك المبالغ المالية؟ لم أحاول فهم أو معرفة حقيقة الوضع، لأتخلى بعدها نهائيا عن القضية.

وفي هذا الشهر من ماي 1957، أعلمنا المحافظ السياسي سي أحمد بن شقرة، المدعو سي خالد، عن تحركات بعض الأشخاص الذين أصبح من الضروري التكفل بهم. أوّل حالة قدمت تخص عائلة بن شعبان القاطنين بسيدي شاكر، والتي كان الأب يستقبل في بيته أعضاء من "C.R.S" (من جهاز المخابرات والأمن) فمركز قيادته موجود أمام بيته، وقد حامت حوله شكوك في أنّه يقدّم إحدى بناته للدعارة مع هؤلاء الأعوان.

أما الحالة الثانية التي عرضها علينا سي خالد، كانت متعلقة بالمدعو بوبلنزة القاطن أيضا بسيدي شاكر، هذا الرجل وبالرغم من التحذيرات التي قدّمتها له جبهة التحرير الوطني، تمادى في شراء الحوامض من المعمرين وكذلك رفض تقديم المساعدات المالية لفائدة المنظمة.

وأخيرا، الحالة الثالثة المعروضة كانت متعلقة بامرأة المدعوة ببنت الجدارمي (بنت الدركي) ذات أخلاق فاسدة كانت تتعاون مع شرطة الاستعلامات العامّة (P.R.G). وفي الغد على الساعة التاسعة ليلا وقت ابتداء حضر التجوّل، توجهنا نحو سكن بن شعبان، حيث طرق سي خالد الباب، أجاب صوت رجل من الداخل :

. " من هنا ؟ "

. " رجال الدرك" أجاب بهدوء سي خالد، فتح عندها بهدوء الباب حيث صاح الأب بصوت عال :

. " بن شقرة... غير معقول !"

لقد عرف قريبي الذي دفع الباب بقوة، بدأنا مباشرة بالبحث، خالد في غرفة ومولاي في غرفة ثانية، وأنا شخصيا في القاعة الكبرى، حيث لم نجد أي سلاح في القاعة الكبرى، أمر سي خالد إحدى بنتي بن شعبان لتتبعنا حيث ارتدت معطفا ولبست نعلا، في هذا الوقت استيقظت الأم لتصيح بصوت عال :

. "ابنتي... ابنتي "

صاح الزوج مندهشا هو أيضا :

. " آه يا رب رحماك !... أنتم رجال خير... بفضلكم زوجتي عادت لها قدرة استعمال رجليها بعد 15 سنة من الإعاقة الكاملة " مردفا " أنتم رجال خير... أنتم الأمل والبركة التي حلت على عائلتي "

لقد بقينا مندهشين، حيث تخلّينا عن الفتاة وقمنا بمساعدة تلك المرأة على المشي في فناء البيت لتتمرّن قليلا، لقد واصلت المشي وهي ترجونا أن نترك ابنتها.

أما الأب عندما رآنا هكذا، سمح لنا بأخذ ابنته قائلا :

. " لي ثقة كبيرة فيكم، أنتم رجال خير... إن الله معكم "

ابتعدت الفتاة من بونوار لتتعلق بي، أمرتها بأن تبقى معه لأنّ لنا مهام أخرى، كان من الواجب علينا القيام بها. بعدها قمنا بالتوجه إلى بيت بوبلنزة الواقع في الحي نفسه، وعند ندائنا لم نحصل على أي ردّ. تسلّق عبد السلام بندي جلول الجدار لينزل داخل البيت بعدها بقليل سمعنا صوت مدرّعة ذات عجلات مطاطية قادمة باتجاهنا، عندها عاد عبد السلام من طريقه، ولكونه كان جزعا فقد أضاع خزّان رصاص رشاشته من نوع تومسون (Thomson) بعدها بأمتار التصق به سلك شائك فجرحه في ركبته. علمنا بعد ذلك بأنّ أمام بيت بوبلنزة يوجد مسكن الدكتور رواق الذي كانت ابنته تراقب بصفة دائمة المارة ذهابا وإيابا من سكان الحي، وهي التي رأتنا لتهتف إلى الشرطة وهو التفسير الذي استنتجناه بالوصول السريع للشرطة، هذا الأمر غير المحتمل أجبرنا على العودة، وتغيير المسلك. لقد مررنا بالقلعة العليا ثم سيد علي بلحاج وأخيرا بودغن، حيث كان عونا في انتظارنا ليدلنا على بيت بنت الجادرمي، 03 دقائق بعدها كنا عندها، وعند ندائنا فتحت المرأة الباب دون أية صعوبة تذكر، لعلمها أنّها بالفعل رجال الجندرمية (الدرك)، وبعد تفتيش بيتها اكتشفنا رجلا عار (كالدودة) في سريرها، حيث علمنا بأنّ ذلك الرجل كان متزوجا وأبا لأربعة أطفال ولكون خالد كان متمسكا بمعتقداته الدينية لم يتردد ولو للحظة في الحكم عليه بالإعدام معتمدا على السورة القرآنية المانعة للزنا. قطع عبد السلام بندي جلول رقبة الملعونين وترك المرأة مع مجوهراتها موضوعة على جسدها؛ كنا هنا من أجل معاقبة الملعونين ولسنا من أجل سرقة

الناس ممتلكاتهم. بعد هاته العملية كانت مهمة أخرى في انتظارنا لأنّ سي خالد أعلمنا بأنّ زوجا من المبلغين، ألحقا بنا كثيرا من الضرر يعلمان دائما شرطة الاستعلامات العامة بتحرّكات الجنود المجاهدين. وعند وصولنا إلى المكان الواقع بين حي بودغن وقرية منصورة، حيث طرقنا الباب لكثير من الوقت ولم نحصل علي أي جواب، حينها قمت بتسلق شرفة البيت، ودون اهتمام أبقيت فوقي سلاحي من نوع (ستارن) وعند القفز حدثت معجزة لأني لمُ أقتل بعد انطلاق رصاصة من سلاحي التي جانبتني بأعجوبة. فتحت الباب، وأخرجنا المبلغين لنتجه بهما إلى منصورة أين كان ينتظرنا بونوار وابنة بن شعبان، وفي المكان سارعت بتنفيذ حكم الإعدام في الرجل ثم توجهت بعدها للمرأة من أجل إعدامها وقمت بتمزيق قطعة من فستانها لتزميم فمها، لقد تذكرت إحدى المغامرات الفاشلة لسي أحمد عند تنفيذه حكم الإعدام في امرأة حيث قامت بقضمه وعضته إلى درجة أنّ يده بقيت منتفخة مدة أسبوع.

وبعد إعدام الزوجين المبلغين، توجهت إلى الفتاة بن شعبان لتخويفها، وضعت الخنجر أمامها قائلا لها :

. " ماذا كنت تفعلين مع الجنود الفرنسيين ؟ كنت تدلّلينهم "

اصفرّ وجهها وأجابتني:

. "أقسم لكم بأنني لم أفعل شيئا مضرا، ولكن رجال الدرك يأتون لبعض الحين عندنا لشرب كؤوس الخمر مع أبي... أطلب منكم أن ترسلوني إلى أي طبيب تختارونه للتأكد من عذريتي"

لقد أرسلناها فعلا إلى طبيبنا المحلّف المتخصّص الدكتور طبال من أجل فحصها، وفي الغد عادت لتظهر لنا شهادة تثبت عذريتها، مقدمة من طرف طبيبنا، وكانت تريد بأي ثمن البقاء معي في الكفاح ولكني تحملت خطورة إعادتها إلى أهلها معافاة دون أي ضرر.

ومن أجل الإعلام، لقد حكمنا على الأب بن شعبان بغرامة مالية قدرها 50 ألف فرنك فرنسي في ذلك الوقت...



والحكم بالإعدام على الخونة والوشاة

المــرأة التلمســانية
أثناء حرب التحريـــر

في تلمسان – مدينة الفن والتاريخ وعاصمة الجزائر مدّة ثلاثة قرون كانت المرأة عبر كل العصور تلعب دورا اجتماعيا هاما نظرا لتماسك شخصيتها وطراوة ألفاظها ونقاوة جمالها وكذلك لجمال ما تقوم به فن وأعمال الطرز والنسيج وامتيازاتها المطبخية وصنع الحلويات المنزلية كلّ هذه الامتيازات جعلت من سمعتها ذات اعتبار كامرأة وربة بيت مثالية. لكن عند نداء الوطن لم تتردد في رمي كل التقاليد المتوارثة والأحكام المسبقة التي أثرت على دورها كربة بيت وتحدت كل أنواع الخطر لتقدم مساهمتها أمام نداء الحرب. لقد كانت مساهمتها كمثيلتها من بنات الوطن سواء في المدن أو الأرياف، مساهمة بالغة الأهمّية في تحقيق النصر.

إنّ المرأة التلمسانية أظهرت مبادرات نادرة وروح تضحية وطاعة للأوامر وبرودة معتبرة يفتقدها كثير من الرجال. وأنا شخصيا لا يمكنني سوى إسداء تهانيَّ وشكري لمن عملت معهن من فتيات كريمات ونساء محترمات لقد ذكرت البعض منهن في ما رويته من أحداث أثناء فترة 1956 –1958 والدور الطلائعي الذي لعبته كجنديات ومناضلات كلِّفن بحمل السلاح وتسريبها نحو المدن لتمكين الفدائيين من تنفيذ عملياتهم الفدائية. ولتخوفهن من تتبّعهنّ نصحتهن بتغيير مكان اللقاء في كل مرة ولم أكن أتّصل بهن مباشرة وإنما كنت أستعمل من أجل ذلك أعوان الاتصال. إذا كانت العملية تتم خارج المدينة أو في الضواحي فإنّ الأسلحة يتم تسريبها وتوجهيها يوما قبل العملية في المكان المعني والمحدد. بينما إذا كانت العملية تتمّ داخل المدينة فإنّنا نكلّف المرأة المناضلة بحمل الأسلحة الضرورية إلى المدينة. وبعد العملية يجب على المرأة المعنية إعادة السلاح الذي تمت بواسطته العملية الفدائية؛ وفي العموم تعيده إلى مراكز الجهاد. وهكذا كثير من الفتيات والنساء المتزوجات

تحمَّلن خطر النضال لأنّه من الخطورة أن يوقف الإنسان وهو يحمل سلاح حيث كانت لي مهمّة استقبال النساء اللائي تحملن مسؤولية القضية الوطنية.

كنت أستقبل أسبوعيا كثيرا من النساء اللاتي آثرن على أنفسهن المراهنة بحياتهن من أجل القضية الوطنية، وكنت في غالب الأحيان لا أخص بالاستقبال إلا القائدات اللاتي لهن مسؤولية أربعة نساء أخريات إذ لا تعرف كل منهن الأخرى لضمان عدم التبليغ عن بعضهن عند القبض عليهن أو إذا ما استسلمن تحت تعذيب الاستنطاق لعدم قدرتهن كعنصر نسوي على الصبر أمام ذلك. وقد نسيت الإشارة إلى أنّ المرأة التلمسانية في ذلك العهد كانت ترتدي الحائك ذا لون أبيض ناصع، الأمر الذي سهل عليها مهمة التستر على الأسلحة التي كانت تحملها[1].

وخلال الفترة التي قضيتها في الجبل شاهدت جحافل النساء تتواردن سواء متزوجات أو عازبات مثل مفيدة بن منصور، آسية زوجة جراح الأسنان فطيمة مشيش التي تزوجت بعد ذلك محمد خميستي[2] فريدة بن قلّة . ربيعة دالي يحيى . خديجة بهلولي . حورية مجاجي . شميشة مراح والشهيدة المأثورة والبطلة الفذة مليحة حميدو[3] التي اغتيلت وهي في سن السابعة عشرة من عمرها وكذلك أخريات كثيرات. وقد وجدنا في بعض الأحيان عائلات بجميع أفرادها منضمة إلى صفوف المكافحين مثل عائلة علي بن يوسف التي لم تقدم فقط الشهيدين سيد أحمد وسيدي محمد ولكن ابنتها تيجانية التي شاركت بنشاط معتبر مع الشعب في كفاحه المرير بعد أن كانت عون اتصال مكلفة بنقل السلاح لمدة. بعدها كانت محلّ بحث من طرف الشرطة الفرنسية فالتحقت بالجبل وكانت بين الحين والآخر تقوم بزيارة خاطفة للاطمئنان على عائلتها. وللأسف بينما كانت في زيارة لأهلها تعرضت للتوقيف أثناء حملة اعتقال جماعية وُضعت بعد ذلك في محتشد التعذيب المشؤوم بمنطقة أولاد الميمون وهنا

---

[1] أنظر الصورة الملحقة للنص للمرأة التلمسانية وهي مرتدية للحائك.

[2] وزير الشؤون الخارجية في الحكومة الجزائرية الأولى بعد الإستغلال (قتل بعد حادث إجرامي)

[3] إقرأ في آخر هذا الكتاب الفصل المخصص للشهيدة البطلة مليحة حميدو.

يعجز اللسان عن وصف بشاعة التعذيب التي تعرضت له والله وحده يعلم بذلك. وقد أيّدها الله بحول منه وقوة فهي الآن على قيد الحياة تعيش في نعيم مقيم مع زوجها وأولادها.

وقد يحدث أحيانا أن يتم التبليغ عن امرأة ومنه تعرض حياتها للخطر بحيث لا يبقى أمامها سوى الالتحاق بالجبل في انتظار نقلها وتحويلها الى مدينة وجدة (بالمغرب الشقيق) لأنه لا يمكن بأي حال من الأحوال الإبقاء على هؤلاء النساء المدنيات الحضريات المنحدرات من أصل حضري إذ لا تستطعن تحمّل الجو الخشن وشروط الحياة الذي يعرفها الجيش في الجبال وكذلك الخطر الدائم من جراء الحرب الضروس التي فرضها الاعتصام بهاته المناطق الصعبة التي لا ترحم والتي كانت في كثير من الأحيان مقصدا للكشف عن طرق القوات الاستعمارية، كما أنّ الطبيعة الصعبة كالتعرض للبرد الجليدي القارس والجوع والفاقة ونقص المؤونة يفرض علينا السير مرات لعشرات من الكيلومترات في اليوم الواحد. إنّ العيش في جبال تلمسان في فصل الشتاء الشديد البرودة لم يكن بالأمر الهين ويفرض علينا البقاء في المخابئ الأرضية لعدة أيام متتالية دون أن نرى النور وإن كان المواطنون يأووننا ويقدمون لنا ما نتناوله من طعام لكنّنا في الغالب نجد أنفسنا أثناء هجومات العدو بمنأى عن موارد مؤونتنا ومحرومين من كل شيء. ويبقى أن نلاحظ بأنّ الفتيات الأكثر حدة استطعن أن يبدين قدراتهن بكثير من الصّبر والتحمّل أثناء هذه الحرب وقد تحملن بصعوبة وصبر الحياة الصعبة في الجبل وكنّ في غالب الأحيان ممرضات معالجات للجنود وكذلك للمواطنين الذين يتعرضون هم أيضا لبشاعة الاستعمار.

وقد اهتمت القيادة العسكرية بتنظيم تدريبات تكوينية لفائدتهن وبتوجيههن نحو الوحدات المختلفة. ففي شهر ماي سنة 1957، فرض على ربيعة دالي يحي ومفيدة بن منصور الالتحاق بالجبل حيث استقبلناهما لمدة شهر ونصف، وكنا أثناءها نقوم كل يوم بتحويلهما من مكان إلى آخر لتفادي اطّلاع المستعمر على مكانهما، حيث كانتا تقضيان غالبا إقامتهما بالصفصاف لدى عائلتي بارودي ومجاجي المالكين لمنزلين في موقع حسن يحتوي على عدة مخارج آمنة.

وكان يحدث لهاتين الفتاتين التموه بإرتداء ألبسة تقليدية للتشبه بفلاحات المنطقة من أجل عدم جلب انتباه العسكريين الفرنسيين وبعدها بمدة إلتقيت بمفيدة بمدينة وجدة، حيث كانت لي نعم السند وبفضلها وجد إخوتي عبد الحق وعبد الحميد مأوى يقيهم غائلة الشر والعوز.

وعندما التحقت بمدينة وجدة اصطحبتني ربيعة إلى خالتها المتزوجة بموسيقي شهير المدعو الشيخ صالح، الذي نظم على شرفنا أنا وزملائي مأدبة عشاء، بقيت عالقة بمخيلتي إلى يومنا هذا. أما فاطمة بشيش فقد التقيت بها بمدينة وجدة سنة 1958، حيث كنّا الإثنان نلعبان دورا في "أوبريت" موضوعها عن الثورة الجزائرية، نشاهد فيها فاطيمة مقيدة بأغلال، قاسية وثقيلة وممتدة أرضا، ملتفة في علم الجزائر، وكانت فعلا تمثل الجزائر، وفي لحظة كنت أتعقب مشهدها، وأنا أعزف على آلة الناي مرسلا أنغاما حزينة، قامت صائحة لتنادي أبناءها، لليقظة والاستفاقة لإنقاذها من مخالب الاستعمار، من خلال الاسترسال صارخة بقصيدة شعرية مثيرة وبليغة. وأثناء العرض قدمت عدة مقطوعات موسيقية للفنان المصري الكبير الموسيقار محمد عبد الوهاب، وكانت قاعة العرض يغشاها كثير من المتفرجين؛ في الصف الأول هواري بومدين . لطفي . بوصوف والرائد الصادق، وكانوا جلهم يولون كل الإهتمام للعرض، وكان المتفرجون جزائريين ومغاربة يدرفون الدموع لرهافة الأحاسيس التي أثارها العرض فيهم وفي ضمائرهم حيث أعلنوا عن تعلقهم بأهداف ومرامي الثورة الجزائرية القاصدة تحرير الوطن وأبدوا تضامنهم مع الشعب الجزائري الذي كان يتحمل ويلات العذاب والقهر: التنكيل والتعذيب وقصف بالقنابل، وتعميم التعذيب على جميع أفراد الشعب، الإعتقال والسجن أو الحشد في مناطق لآلاف الرجال... إلخ

ولا يمكننا ختم هذا الفصل المتعلق بالمرأة دون تكريس بعض السطور لأهدي أبهر الوجوه التي عرفتها الثورة الجزائرية دعواتي لها بالفوز بالجنّة. إنّها المناضلة مليحة حميدو، التي كان اسمها الحقيقي جنات، ولكن في عائلتها كانوا ينادونها بمليحة (الجميلة) المولودة في 16 أبريل 1942 بتلمسان، حيث كانت البنت البكر لعائلة ذات 5 أطفال محمد . أنيسة .

عمار . إسماعيل. وكان الأب رجلا نبيلا ومحترما من سكان مدينة تلمسان، يشغل منصب أستاذ بالمدرسة، سميت بعد ذلك بالثانوية الفرنسية الإسلامية " Lycée Franco-Musulman de Tlemcen".

وفي عائلتها ينادونها مليحة أما اسمها الحربي رشيدة، حيث زاولت دراستها الإبتدائية والثانوية بتلك المؤسسة التي تحمل حاليا اسمها ما بين 1952-1954 متابعة دروسا بالعربية بدار الحديث التابعة لجمعية العلماء، وهنا تقابلت والتقت مع سيد أحمد بن شقرة، والذي كان له الأثر عليها في تسييس أفكارها بإلحاقها بجبهة التحرير الوطني سنة 1958، وأصبحت عضوا في المنظمة المدنية، حيث أصبحت عونة إتصال بتلمسان وكلفت بنقل الأسلحة المخفية والقنابل اليدوية. بعدها عينت ككاتبة محلية بسيدي شاكر في الناحية الجنوبية لمدينة تلمسان، ثم كلفت بتنظيم نشاطات فدائية بمراقبة تنقلات دوريات الجنود الفرنسيين وجمع المعلومات والأخبار.

وكان لها اليد الطولى على العائلة بعد وفاة والدها سنة 1952 أثناء سفره إلى البقاع المقدسة (الحج). لقد كان بيتها عبارة عن مأوى للعديد من المجاهدين، حيث أقام الشهيد بن حبيب لعدة أيام في هذا البيت وكذلك كثير من قادة الثورة العابرين والمارين بتلمسان في طريقهم إلى وجدة.

وفي 11 أفريل 1959، على الساعة الواحدة والنصف صباحا حاصر الجنود الفرنسيون حي سيدي شاكر معتمدين على دليل من المبلغين، كانوا قد ألبسوه طاقية لإخفائه (Cagoule). هجم الجنود الفرنسيون على مسكن مليحة حميدو، وكانت مليحة بداخله، حيث تعرف عليها المبلّغ، وعندما طلب منها الجنود تتبّعهم، طلبت منهم السماح بأخذ معطفها، حيث حملت في سيارة "Jeep" وكان المعطف مجرد مبرر لأنّ أخاها الذي حضر المشهد رآها أخذت ورقة ووضعتها في فمها وبلعتها وفي أثناء الطريق حاولت عبثا الفرار إلاّ أنّ ردّ فعل العسكريين لم يطل انتظاره فسقطت الشهيدة تحت رصاص العدو بالقرب من بن زقير بالعباد.

لقد كانت تبلغ في ذلك الحين 17 سنة فقط، ومن أجل المحافظة على الأسرار التي كانت مؤتمنة عليها، فضلت الموت دون خوف أو وجل بدل الوقوع بين أيدي هؤلاء الطغاة، وتحمّل بشاعة تعذيبهم. لقد اختارت طواعية التضحية بدل البوح وعدم التكتم عن أسرار أبناء وطنها من الأبطال المكافحين. من خلال تضحيتها الغالية هذه، أنقذت مليحة كثيرا من أرواح رفاقها من المكافحين والفدائيين.

وبذا يمكن الجزم بأنّ التزامها بخصوص غمار الحرب والكفاح داخل المدن أو في الجبال، وحتى داخل السجون والمحتشدات، فإنّ المرأة التلمسانية على غرار جميع النساء الجزائريات ساهمت بقسط وافر وبشجاعة لا يضاهيها مثال في مجالات عدة وعلى جبهات مختلفة ومتنوعة، ضاربة بذلك أروع الأمثلة في التضحية والفداء في كفاحها ضد العدو المغتصب. ولم ينتهي دورها ولا يمكن أبدا إيفاء المرأة حقها في سرد بطولاتها أثناء حرب التحرير، لأنها بدون منازع كانت (وبجدّ معتبر) في طليعة كل الأحداث التي عرفتها. لقد قدمت باستماتتها وتضحياتها الجسام درسا لأخواتها في جميع أنحاء العالم الثالث وخاصة الشعوب الإسلامية. لقد كانت المرأة الجزائرية في هذا الطور في طليعة تأسيس حركة النضال والكفاح، من أجل الانعتاق ونيل الحرية، وكانت بذلك المثل المحتذى ومحل عز وفخر.



مليحة حميدو: هذه الشابة لم تتردّد في التضحية بحياتها وهي في السابعة عشر من أجل الوطن.



مليحة حميدو (1942-1959)

مليحة حميدو

ولدت الشهيدة .. حميدو مليحة بحي سيدي شاكر بتلمسان (يوم 6 افريل 1942 ... وهو «حميدو ...»، ... رشيدة .. ... لا يتعدى 17 سنة وهي لازالت تتابع دراستها في السنة الأولى ثانوي بنفس الثانوية التي تحمل حاليا اسمها.

ألقي القبض عليها (يوم الأحد 11 افريل 1960 في حدود الساعة الواحدة والنصف ليلا ... بعد ثلاث سنوات من النضال الثوري والسري بجانب اخوانها ... والمجاهدين، واستشهدت بعد أن سلط عليها الجيش الفرنسي والشرطة السرية عذابا جسميا وروحيا

مثل في الشجاعة والصمود



الإخــوة

بن شقــرة

لقد كانت سنة 1954 في الجزائر، رمزا لثورة نوفمبر، وكانت أيضا سنة دامية وضارية وقاسية كل القساوة على الشعب الجزائري. لقد كانت لفحة القدر عنيفة ومؤلمة مع حدوث زلزال عنيف، مخلّفا نكسة رهيبة في مدينة (الشلف) المسماة (أورليان فيل) في ذلك العهد.

أحدث الزلزال ألما جسيما لدى الشعب عامة. ونحن في تلمسان في أسفل طريق سيدي بلعباس وبحي باب الجياد، اسم نقابله دائما في القصائد القديمة، مثل تلك التي كان يتلوها أكبر الشعراء في القرن السابع عشر المدعو أحمد بن تريكي.

داخل هذا الحي يوجد درب يحمل الاسم نفسه كان يسكن فيه شاب في الثانية والعشرين من عمره المدعو سيد أحمد، يمارس الرياضة، يتمتع بدرجة إيمان عالية ويهتم بتعليم القرآن بمدرسة دار الحديث. تأثّر واستاء لحدوث ذلك الزلزال العنيف والمدمر، فقرّر من تلقاء نفسه الذهاب بدراجته النارية إلى المكان الذي حدث فيه الزلزال لتقديم العون والمساعدة إلى إخوانه المتضررين الذين تملكهم الرعب والخوف والفزع جراء هذه الظاهرة الطبيعية المدمرة. وبموافقة والديه ومباركتهما سافر سيد أحمد ولكنه اضطر إلى العودة لأنّ الدراجة النارية لم تمكنه من ذلك.

– " كنت تريد أن لا أذهب " قائلا إلى أبيه

– " ولكن بالعكس يا بني، لأننا لا نستطيع شيئا أمام مشيئة الله "، أجابه والده. كان هذا الأخير رياضيا قام بممارسة الرياضة لمدة طويلة كحارس مرمى في فريق مسمى (الإتحاد الرياضي العربي الفرنسي بتلمسان USFAT)، وكان يتمتع بشهرة كبيرة بفضل حرفته كفنان أصيل، وموهبته في الطرز المعترف بها حتى في الخارج، لقد تم تتويجه سنة 1948 من طرف رئيس الجمهورية الفرنسية فانسان أوريول نفسه "Vincent Auréol". وكان سيد أحمد قد

استلهم حرفته من حرفة أبيه، إلاّ أنّ أخوه عبد الكريم كان خياطا، أما مصطفى الأخ الأصغر فما زال تلميذا بالثانوية عام 1954. وبصفته رياضيا مؤهلا، ومعلما للغة العربية وتعليم القرآن فإنّ سيد أحمد كان يأمل بشكل واسع خوض كثير من النشاطات، وكان يأمل أن يكون في مقدمة العاملين لفائدة وطنه، وكان له عدة أصدقاء يبادلونه الطموح نفسه، من بينهم سيدي محمد علي بن يوسف وأخوه سيد أحمد وأختهما تيجانية. لقد ساهم مع صديقه علي خديم في صنع قنابل ومتفجرات تقليدية وقاما بتجارب في منزل عائلة بن شقرة، حيث سببت لأحدهم أضرارا وانعكاسات خطيرة، ولكن لحسن الحظ لم تسبب العملية ضحايا. إنّ إصرارهم المستميت جعل من خديم وسيد أحمد يتماديان في طموحهما إلى أبعد الحدود وقررا الذهاب إلى عين فزة، قرية موجودة على بعد 11 كيلومتر شرق مدينة تلمسان، لإجراء تجارب أكثر أهمية، الأمر الذي تمكّنا من النجاح فيه. بقي سيد أحمد متشبثا بإيمانه وممارسة شعائره الدينية، وكان متطوعا دائما للآذان للصلاة بمسجد مدرسة الحديث، وقد حمله إيمانه العميق ليكون بطلا في صفوف الجهاد والكفاح ضد المستعمر الغاصب، حيث التحق بسرعة بالجبل راغبا في تحرير وطنه من المستعمر والانتقام لصديقه شقرون الذي وافته المنية وهو يتحمّل ويلات التعذيب. أصبح يدعى سي خالد، كان يقضّ مضجع العدو من كل جانب. وأذكر هنا سي خالد كان أحد أبناء العمومة حيث أمّه عمتي ولأجل ذلك فهو دائم الزيارة لنا، عندما كان يحس بأنّ خطرا ما يتهدده أو عندما يحس بتتبّع الشرطة والجنود الفرنسيين له. وكان يجتنب الذهاب إلى والديه، إذ يلقاهما في بيتنا كلّما سمحت له الفرصة لزيارة مدينة تلمسان.

إنّ إصرار سيد أحمد وشجاعته جعلا منه بطلا. فأثناء تحطيم مطحنة "ليفي" كان لا يعلم هو بالعملية التي اتخذ القرار بشأن تدميرها للتو: أي القيام بالعملية في أمسية ذلك اليوم، وهذا مثل ما عرفناه في الفصل المخصّص لمطحنة "ليفي". لقد كان غائبا عن المعسكر، كان ينام في منزل غير بعيد بمسافة 500 متر عن المطحنة وعند استفاقته على صوت انفجار القنبلة شعر وأحس، وفهم بأنّها عملية مهمة من صنع الفدائيين تم تحقيقها، وأصبح لزاما عليه الرحيل، فالمكان سيحاصر بسرعة كبيرة وسيتم التفتيش الدقيق لجميع الأماكن، مثلما هو

الحال بعد كل عملية فدائية، عندها خرج ماشيا على الأقدام حتى اقترب من بيروانة ليلا متجها إلى المقر العام المتواجد بسيدي الطاهر وسيدي عبد الله، وبعد ملاحظته الدقيقة للناحية التي كانت محاصرة من طرف الجيش الفرنسي، لم يتوانى عن الغوص في إحدى القنوات القديمة التي يعود عهدها إلى العصر الروماني والمسماة ساقية النصراني " ذات عمق 40 سم "حيث سار فيها زاحفا على يديه ورجليه لمدة تتجاوز الساعتين ليتمكن من الوصول إلى المقر العام بسيدي عبد الله غير بعيد من العبّاد. وعندما تم جرحي من طرف القوات الإستعمارية بعد الهجوم على القطار بالوريط، رأيته في إحدى المخابئ وهو الذي أخبرني بأنّ عائلتي تعرضت لعنف القوات الاستعمارية وأُجبرت على الرحيل من البيت، كما أفادني أنّ أخي محمد تم اعتقاله ورمي في غياهب السجن.

لقد ساهم معي ابن عمتي الفاضل في عدة عمليات مختلفة، من بينها كما رأينا بسيدي شاكر ضد المبلغين والخونة، وكان ابن عمتي قوي الإيمان لا يتورع في إصدار حكم الإعدام على رجل تورط في معصية أو وقع في خطا أو إثم بالإستناد إلى آيات القرآن الكريم المحرمة لذلك.

ساهم سيد أحمد المدعو سي خالد مع علي خديم الملقّب "بالماجور" في حساب الأموال المتبرع بها وعدّها، والاجتهاد في ضمان رعايتها لأنّ مساهمة المواطنين أمر مقدس لا يمكن التلاعب به.

وفي جوان 1957، كان سيد أحمد فرحا مسرورا، بعقد قرانه من إحدى الفتيات المسماة فتيحة، لقد كان شديد الغبطة والحبور لأنّ رفاقه كانوا أعطوا أيضا للعدو ضربات عنيفة وقاسية، ولكن للأسف وبعد 25 يوما بالتحديد من زواجه سقط شهيدا على مذبح الحرية والانعتاق أي بالتحديد في 15 جويلية 1957 بالمكان المسمى "زلاقة بالقرب من الصفصاف" الذي كان محاصرا من طرف الجيش الفرنسي. لقد كان لدى بطلنا الوقت الكافي لإخفاء اوثائق في مكان آمن، قبل أن يسقط شهيدا تحت وابل رشاشات العدو، بعد ما كان قد

تمكن من إحداث الهلع في أوساطهم وجرح عددا من جنود الجيش الفرنسي، ولم تعثر لحد الساعة على جثة الشهيد البطل.

أما الأخ الثاني عبد الكريم الملقب بالداودي، فقد دشن دخوله إلى عالم الفداء والجهاد بقتل بائع مجوهرات يهودي المدعو (صوفر Sofer) برميه برصاصة في العنق. تتم مثل هذه العمليات بوسط المدينة وترمي إلى إفزاع العدو الغاصب وإجباره على تشتيت قواته وفي الوقت نفسه تطمئن هذه العمليات سكان المدينة المسليون الذين ينتشون أمام أيّ عملية منفذة ببطولة من طرف المجاهدين. قبل ذلك هجم عبد الكريم على جندي فرنسي بالقرب من محطّة القطار وجرّده من سلاحه ولباسه. ومع انتهاء العملية الأخيرة فضل الداودي الالتحاق بصفوف المكافحين، ليصبح بعد ذلك مجاهدا فذا، وأذكر هنا بأنّ القاعدة العامة المتبعة قبل التحاق عضو جديد بجيش التحرير الوطني كانت تتمثّل في وجوب القيام بعمليات فدائية داخل المدينة وفي مركزها، للتأكد من شجاعته ودرجة التزامه واقتناعه بالانضمام إلى صفوف الثوار.

وفي الجبل، تعلم سي الداودي أصول حرب العصابات واستعمال مختلف الأسلحة. كان متعطشا للانغماس في معترك الحرب، وكان أيضا فرحا بلقاء تجانية التي كانت خطيبته. وقد رأيته ثانية، بعد ذلك بكثير، ببلاد المغرب، عندما كنا نتلقى تكوينا "ببركان" بمزرعة بلحاج، حيث كان سي صالح عرباوي الملقب بنهرو مدربا لنا وهنا تعلم عبد الكريم جميع مراحل نزع الألغام بعدها أصبح هو أيضا معلما ومدربا في المنطقة السابعة.

وفي سنة 1959 عاد إلى الجزائر ولعدم تحمله المكوث بتلمسان كونه كان محل بحث، التحق من جديد بالجبل، بالمكان المسمى ترني الواقع على بعد 10 كيلومتر في الجنوب الغربي لتلمسان، حيث تعرضت هذه المنطقة إلى قصف جوي مكثف استشهد فيه عبد الكريم وهو يقاتل ببسالة وبطولة وذلك يوم 25 نوفمبر 1959.

أما الأخ الأصغر بن شقرة مصطفى فقد ترجّاني لمساعدته في الالتحاق بالجبل بالرغم من صغر سنه وكنت كل مرّة أجيبه بضرورة بقائه لرعاية والديه لأنّ أخويه قد سبقاه

إلى الجبل. لم يؤثر كل هذا على تمسكه بفكرة الالتحاق بصفوف المجاهدين، لأنّه كان يلحّ كلّما يلقاني، حتى استسلمت لطلبه يوما بإعطائه مسدسا طالبا منه القيام بعملية فدائية داخل المدينة لإثبات قدراته على الكفاح والنضال والسماح له بالالتحاق بالجبل. وهذا ما قام به فعلا أثناء توقيفه بمنزل والديه يوم 14 أفريل 1957 الموافق في ذلك الحين 14 من شهر رمضان، حيث اضطرنا إلى الانتظار لأكثر من شهر لمعرفة سجنه من خلال معلومة أسراها إيانا بائع الحلويات في مقر الرماة الإفريقي الواقع بشارع باريس، والمسماة حاليا شارع دمارجي. نقل بعدها إلى غابة أحفير ثم إلى ثكنة زناتة في المكان الواقع به المطار حاليا، والبعيد عن تلمسان بحوالي 25 كيلومتر، وقد اغتنم فرصة لامبالاة الجنود في يوم 14 جويلية 1957 ليفر مع صديقه عبد الله بن ديمراد، وقد كابدا صعوبات كبيرة وآلاما معتبرة قبل الوصول إلى مشارف زاوية سيدي بن عمر الواقعة على الطريق المؤدي إلى مدينة ندرومة. لحسن حظه التقى بمجموعة من المجاهدين قاموا بعلاجه، وقد قام بعد ذلك بعدة مغامرات بطولية رفعته إلى مصاف الشهداء العظام ولكن مشيئة الله اصطفته للالتحاق بالرفيق الأعلى في يوم 23 أفريل 1958 بتوريرين بالقرب من مدينة صبرة، غير بعيد من غرب مدينة تلمسان بـ 20 كيلومتر، بعد مشادات عنيفة مع الجيش الفرنسي. وهكذا، فقدت عائلة بن شقرة ثلاثة أبناء، أما الإبن الرابع وهو أكبرهم سنا، فقد تعرض (وإلى الأبد) لإعاقة عقلية نتيجة التعذيب المكثف الذي مورس ضده بعد توقيفه وحبسه من طرف الشرطة الفرنسية، حيث قضى بقية حياته في مستشفى للأمراض العقلية. وقد شهدنا الإيمان نفسه والحدّة نفسها والتمسك نفسه بروح التضحية والفداء لدى جميع أفراد هذه العائلة المجاهدة الفخورة بما قدمته من خلال استشهاد أبنائها الذين وقفوا وقفة الأباة العظام وهم حاملون السلاح باذلون من خلال ذلك الثمن الغالي، أرواحهم الزكية الطاهرة عربون صدق أمام حكيم مقتدر، خالصة من أجل أن يسترجع الشعب الجزائري كرامته وعزته واستقلاله.

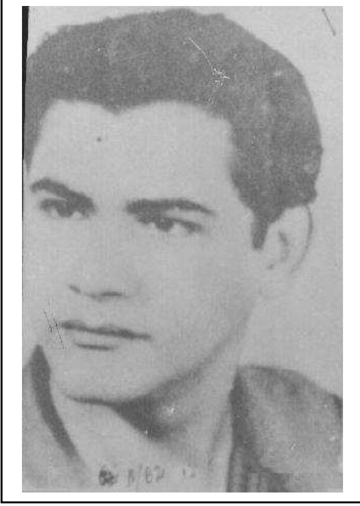
وفي خاتمة هذا الفصل، أبيت إلا أن أوحيّي ذكرى شاب وطني آخر يسكن جارا وصديقا للأخوة بن شقرة ولد معهم أيضا في باب الجياد، هذا الحيّ العظيم الذي قدم جموعا

من الشهداء الشباب الفدائيين والجنود إبان ثورة التحرير الوطني؛ وأعني بذلك، الشهيد محمد الصغير مراد المدعو فتحي المولود سنة 1931 والذي تم استدعاؤه للخدمة العسكرية سنة 1953 في قاعدة جوية للجيش الفرنسي ليوجه بعد ذلك إلى مدينة "Bordeaux" في جنوب غرب فرنسا، حيث تعلم بها فنون القتال في الدفاع ضد الطائرات (DCA). لقد وافق تسريحه من الخدمة العسكرية اندلاع الثورة التحريرية. ومثل الكثير من أترابه من شباب مدينة تلمسان فقد كان لجريمة قتل الدكتور بن زرجب الأثر البالغ في نفسه أيقظت في قلبه شعلة الالتحاق بصفوف الفداء، حيث وضع حيز التنفيذ خبرته وفعاليته مدعمة بشجاعة فائقة أمام كل الصعاب، فسجل اسمه بحروف من نور على رأس عدة عمليات فدائية في مدينة تلمسان. قتل وأعدم كثيرا من الخونة، واستعمل سلاح القنابل اليدوية برميها في أماكن شرب الخمر من بينها "الحانة الصينية" الواقعة في مركز المدينة، كما كانت له اليد الطولى في تنظيم عملية جمع التبرعات والأموال ضاغطا بذلك على أصحاب الأموال والممتلكات من أجل دفع ما عليهم من حقوق مادية تجاه ثورة التحرير، حيث استطاع خلال ثلاثة أشهر فقط من سنة 1956 من جمع ما مقداره 200 مليون فرنك فرنسي في ذلك العهد.

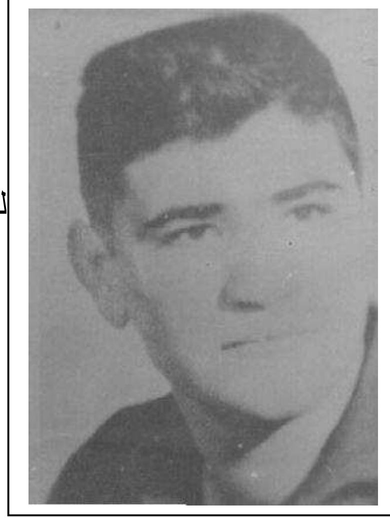
أما خلية الفداء التي كان يتزعمها فتحي فقد اشتهرت بإدخال عنصر جديد وهو شراء عدة دراجات لتمكين الفدائيين من الفرار بسرعة بعد التنفيذ السريع لكل عملية فدائية.

وهنا نسجل بأنّ جبهة التحرير الوطني كانت تقدم لعائلته الفقيرة وبصفة دائمة وشهريا مبلغ 15000 فرنك فرنسي. وقد كان لخبرته ومعرفته بالسلاح المضاد للطائرات أهمية بالغة، حيث أسقط عدة طائرات للعدو، وبالتحديد في معركة أولاد حمو بين تلمسان وصبرة، التي دارت أحداثها في شهر جانفي 1959. وغير بعيد أيضا عن هذه المدينة، وأثناء معركة كرين (Krean) في جبل بين صبرة وبني سنوس، التحق هذا الشهيد البطل بالرفيق الأعلى، مسجلا بطولة وبسالة في ميدان الشرف رافعا بذلك راية النصر والخلود. "فالسؤدد والرفعة لهذا الشهيد البطل !"

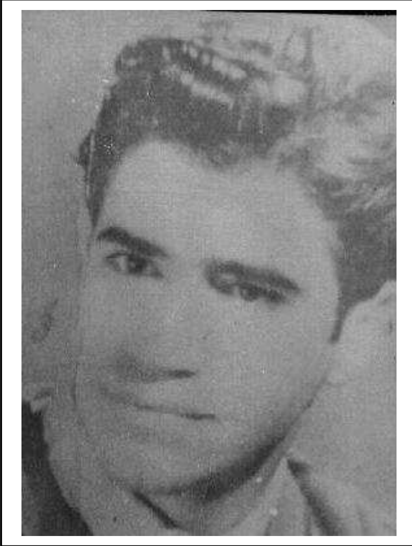
الإخوة بن شقرة



بن شقرة سيد أحمد: سقط في ميدان الشرف سنة 1957



لكريم: سقط في ميدان الشرف



بن شقرة مصطفى: سقط في ميدان الشرف سنة 1958



بن شقرة سيد أحمد

اليــوم الدامي:
04 جــوان 1957

كم من دمـاء ! كم من دموع !

كم من شهيد ! كم من جريح !

كم مـن آلام ! كم من حقـد !

لا يمكن لأي تلمساني عاش هذا اليوم، أن ينساه ولن ينساه. لقد كان يوما مفزعا ومرعبا، من أدمى وأخطر ما عرفته أيام حرب التحرير. في ربيع تلك السنة الثالثة من اندلاع الثورة، بقي المستعمر في حيرة من أمره لا يعرف أين يتوجه، لقد أصبح تعاقب الأحداث عليه عبارة عن حرب شارك فيها جل المواطنين والمجاهدين والمحاربين، فكانوا أكثر بلاءا وحدّة وأكثر فعالية ودقة في تنفيذ العمليات العسكرية، مما خوّل لهم ضرب العدو ضربا مبرحا، ملقنين إياه درسا سواء في معارك حقيقية أو في عمليات تدمير وتحطيم لمواقعه المختلفة، هذا جعل المد القوي للثورة يتخذ طابع المقاومة الشاملة. ولمواجهة الوضع كثف العدو من قوات العنف والبطش برفع التعداد المتعلق بالعسكريين والشرطتا خاصة داخل المدن لمنع العمليات الفدائية الكبرى داخل الأحياء الآهلة بالسكان الأوروبيين واليهود بغرض حمايتهم. وهذا الشيء الذي جعلها ثورة تتأجج وتزداد إشتعالا مقابل سياسة القمع المنتهجة من طرف الحكومة الفرنسية التي ساهمت بقدر كبير في تثبيت دوافع القمع ومباشرته من خلال وسائل كثيرة متعدّدة لمحاصرة الشوارع الرئيسية مثلما هو الحال بالنسبة لتلمسان، وشن الكثير من الهجومات على مواقع الثوار والمجاهدين في الجبال القريبة من المدينة. لقد سجلنا وجود أكثر من 20.000 عسكري في حملة تمشيط شاملة ما بين محور أوزيدان . صفصاف والوريط، وحتّى إلى مدينة صبرة، مرورا بالقلعة العليا سيدي الطاهر وترني، وهذا للقيام بعملية تمشيط

واسعة. ونتيجة لذلك تمّ التخفيف كلية من العمليات العسكرية لجبهة التحرير الوطني داخل المدن، كما أنّ الفدائيين (ونتيجة لهذا الحصار الخطير) تلقوا صعوبات ومراقبة كثيفة لكونهم من المواطنين المسلمين، ووجدوا عراقيل كبيرة في تحضير العمليات الفدائية في قلب مدينة تلمسان، لأنّ كل مواطن مسلم إمرأة كانت أو رجل كان يتعرض للتفتيش بطريقة لا جدال فيها. وأمام هذا التصعيد العدواني الاستعماري وجدت وحداتنا نفسها مضطرة إلى التخفيف والتقليل من أعمالها الفدائية والعسكرية وغالبا ما تجنح إلى العدول عنها نهائيا. وعند ملاحظتهم للنقص الكبير للعمليات الفدائية وعمليات التخريب وانعدام عمليات بالأهمية والخطورة التي كانت سائدة، فقد المواطنون بعضا من إرادتهم وفتر عزمهم، حيث لوحظ نقص معتبر في جمع التبرعات لتنخفض حصيلتها من 45 مليون في شهر أفريل من سنة 1957 إلى 22 مليون فرنك في ماي من السنة نفسها. وتأكد بأنّ الأموال المحصلة كانت تستغل في شراء الأسلحة والتجهيزات المختلفة والتموين ومساعدة عائلات الشهداء والفلاحين الذين ضاع منهم ما يملكون، لأنّ محاصيلهم الزراعية كانت تدمر وتحرق وأغنامهم ومواشيهم كانت تقتل من طرف الاستعمار الفرنسي، وكانت هذه هي الطريقة التي يعاقب بها الاستعمار كل من داخلهم شك في إطعام وتوفير الراحة للمجاهدين.

لقد أصبحت الوضعية إذا محل انشغال كبير للقيادة العسكرية لجيش التحرير الوطني. وفي يوم وصلت إلى سي صالح (رئيسي المباشر) رسالة من الرائد جابر سارعت لقراءتها عليه، إنها تحمل أمرا بوضع حد للركون والجمود، طالبا منا فيها تحضير عدة عمليات هجومية في الوقت نفسه بمدينة تلمسان لإدخال الرعب والخوف والهلع في صفوف المستعمر الغاصب من جهة ورفع معنويات الجماهير الشعبية للمدينة من جهة أخرى لضمان انخراطها في الكفاح والنضال لأنّه دون مشاركة المواطنين لا يمكن لحرب كالتي نخوضها أن تعرف النجاح إذا لم يحتضنها الشعب.

وبعد تفكير عميق وسديد، تم التخمين لإجراء 5 عمليات من طرف 5 فرق للفدائيين، وقد كلِّفت بوضع لمسات تنفيذها في الميدان، لأنني ابن المدينة ومطّلع على جميع خباياها

حيث ترك لي سي صالح مهمة تحضير فرق الفدائيين وقيادتها هؤلاء الفدائيون الذين قضيت معهم وقتا طويلا في شرح، التنظيم والتقنيات المعتمدة من أجل نجاح العمليات الموكلة لكل فرقة، وهذا حسب نوعية السلاح المستعمل. ولمعرفتي الدقيقة بجميع المسالك المؤدية إلى المدينة، كنت دائما أشير إليهم وأنعت لهم بدقة المواقع المعيّنة للعمليات المزمع القيام بها، بتحديدها على المخططات والمخططات البديلة في حالة تغيير العدو لمسالك توجه فرقه.

وفي يوم مشمس . 04 جوان 1957، على الساعة السابعة والنصف صباحا، انطلقت أول عملية مستهدفة سيارة جيب " Jeep " بالقرب من ضريح ربى " Tombeau du Rabb " بحي قباسة في الجنوب الشرقي للمدينة، حيث نتج عن القنبلة اليدوية التي رميت عليهم قتيل وجريحين من الجنود الفرنسيين. وبعد ساعتين، أي على الساعة العاشرة والنصف صباحا هوجم مقر الدرك " الجندرمية " الواقع برياض الحمّار حي يقع في شرق مدينة تلمسان، عن طريق رمي القنابل اليدوية، نتج عن ذلك موت دركيين وعدد كبير ومعتبر من الجرحى وقد أحدث هذا الانفجار تخريبا وتدميرا مهما على البناية نفسها، حيث كان الهدف المتوخى هو تسجيل هذه العملية تسجيلا راسخا كما يقال بالحديد المحمى لا تتلاشى ولا تمحى رسومه وآثاره ولإتمام ذلك، كان محتوما ترك الآثار ظاهرة للعيان.

وفي أسفل مدرسة الحديث (مؤسسة تعليمية ودينية بنيت من تبرعات المواطنين وتم تدشينها من طرف الشيخين بن باديس والبشير الإبراهيمي سنة 1936) كان هناك مأوى يأوي الجنود المرتزقة السينغاليين حيث استهدف هو أيضا عن طريق القنابل اليدوية مسجلة عددا من القتلى وكثيرا من الجرحى في صفوف هؤلاء الجنود.

وفي هذا اليوم من الرابع جوان 1957، وبالتحديد على الساعة السادسة مساءا و20 دقيقة، ضُرِب العدو في الصميم ضربة قاضية تجلت في خطاب ج.ف.كينيدي عضو مجلس الأمة الأمريكي في تلك الآونة، ورئيس للولايات المتحدة الأمريكية المرتقب، أعلن فيه أمام "الكونغرس" الأمريكي بأنّه آن الأوان أن تستعيد الجزائر استقلالها.[1]

([1]) أنظر على جريدة (Le Monde) عدد الأربعاء 5 جوان1957

اليوم الدامي: 04 جوان 1957

كان ردّ فعل الفرنسيين على هذه العمليات الفدائية عنيفا وفظيعا. فأُطلق العسكر على السكان المدنيين الذين قتل العشرات منهم. بالقرب من موقع الحدث، أغلق تاجر دباغة محلّه إنّه احمد بن ديمراد مرفوقا بولديه عبد الرزاق ومصطفى. بعد ذلك توجّهوا إلى محلّ التاجر بن شوك بشير معرّضين أنفسهم للخطر بدلا من التوجه إلى محلاّت التجار اليهود الذين اقترحوا عليهم الاحتماء داخل محلاّتهم. بقيت عائلة بن ديمراد والحاج أحمد الحصّار داخل محلّ بن شوك لأنهم لم يستطيعوا التقدّم أكثر فالأمن العسكري بساحة «المدرس» لم يكن يسمح بمرور أيّ أحد. نصف ساعة من بعد تقدّم ثلاثة سينغاليين معهم شرطي فرنسي نحو محلّ بن شوك «طلبوا منا الاستدارة إلى الحائط» هكذا أخبرنا بعد الرزاق بن ديمراد الذي نجا بعد ذلك[1].

بسماعهم لطقات نارية أطلق المزنزقة السينغاليون النّار على كلّ الأشخاص الموجودين في المحلّ. قُتل أحمد الحصّار على الفور بينما ابنه مصطفى ذو الست سنوات أُصيب بجراح بليغة مات بعدها بلحظات. بينما الحاج الحصّار فقد جرح ولم ينج من الموت إلاّ لأنّه تظاهر بالموت لمدّة ربع ساعة. فقدت هذه العائلة (بن ديمراد) الوالد والابن في يوم واحد، لقد قدّمت الرّوح والمال من أجل تحرير البلاد، ما أنّها كانت تسمح للفدائيين بإخفاء القنابل اليدوية داخل محلّها في قفف (جمع قفةّ) الحلفاء.

في هذا اليوم من جوان 1957 قتل الكثير من الأشخاص من بينهم عبد القادر سنوس، متقاعد كان يعمل بالبنك و«عدّو محمد» حارس سجن متقاعد، ودمباهري الأعمى. كلّ هؤلاء قتلوا ببرودة في الشارع.

كما أنّ الجنود المرتزقة رموا قنبلة يدوية على مقهى يقع في ما يعرف الآن بشارع العقيد لطفي ليس ببعيد عن المدرس (ساحة الشهداء حاليا). أحدث الانفجار ضحايا كُثر. بعدها دخل المرتزقة إلى المقهى وقتلوا كلّ الجرحى برصاص رشاشاتهم. النّاجي الوحيد من هذه المذبحة كان مختبئا وراء الطاولة الكبيرة التّي تفصل العاملين بالمقهى عن الزبائن. في

([1]) لقد دوّنت شهادة عبد الرزاق بن ديمراد الذي ما يزال يدير محلّ الوالد. لقد كان شاهدا على أحداث ذلك اليوم

الغد عند بداية التحقيق الذّي قاده ضابط سام فرنسي، كان هذا الذي نجا حاضرا. لقد اعتبر العقيد نحاته من المذبحة معجزة: فقال له: « إنّك مرابط» أي ولي من أولياء الله الصالحين.

وبعد تلك المعاينة، نسب المجزرة إلى الجنود السينغاليين، ولكن ذلك الذي نجى من الموت بأعجوبة واجهه قائلا: «لا يا سيدي. إنّهم جنود ذوي بشرة بيضاء من قتلوا الجرحى... لقد رأيت كل شيء بأم عيني، من خلال فجوة وراء الواجهة». أما الجنود السينغاليين فلم تشبع غريزة القتل لديهم، ولم يكفهم قتل الأبرياء، اشتدت بهم هستيريا القتل ليتوجهوا إلى المسجد الكبير وقت صلاة المغرب (مع غروب الشمس)؟ حيث ولج جنود الاحتلال داخل ذلك المكان المقدس ضاربين جل المصلين بمؤخرات رشاشتهم وكان من بين هؤلاء إمام المسجد جلول بن عصمان الذي كان يأمُّ المصلين والذي أخرج عنوة من وراء المنبرِ ليُؤخذ إلى خارج المسجد تحت ضربات البنادق ليتم تنفيذ القتل فيه بوحشية ضارية.

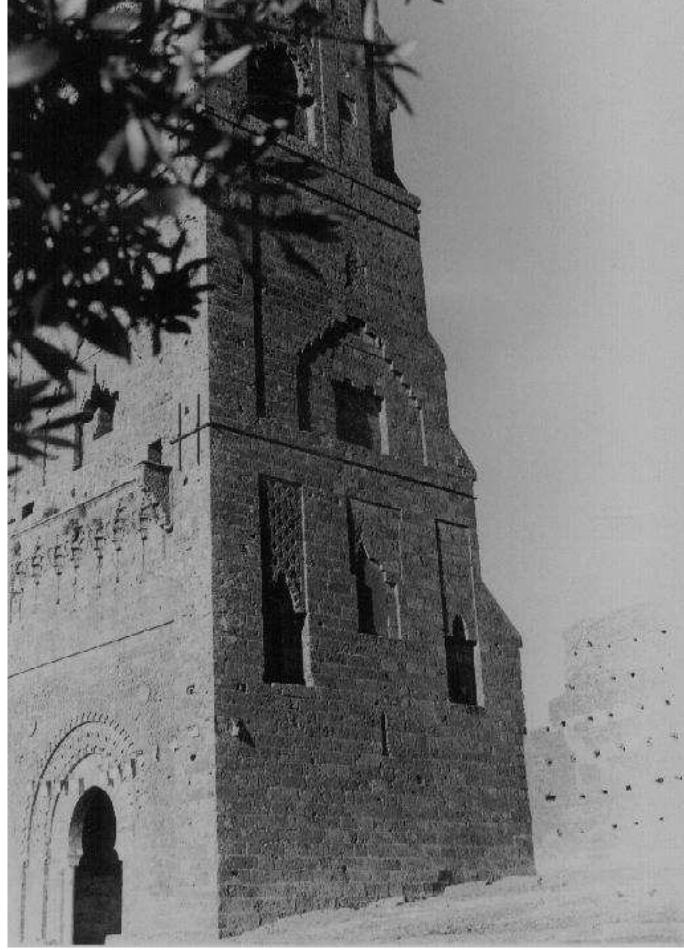
لم تر تلمسان أبدا مثل هذه الأهوال ولا ذلك الرعب الذي شنّه القراصنة السينغاليون والمرتزقة الذين دنّسوا مواقع الإسلام المقدسة، مستعملين سبل العنف والتخويف والترهيب وقتلهم لعشرات الأبرياء، أمام أنظار ومسامع الضباط الفرنسيين الذين كانوا يباركون ويزكون أعمالهم الشريرة والدنيئة. لقد قتل أربعون رجلا دون حساب الإمام جلول بن عصمان، كما لم يتورعوا عند هذا الحد بل تجاوزوه بأخذهم لبعض أرباب العائلات النبيلة في تلمسان، مثل عمر بن يلس ومنور اللّذين تم قتلهما بوحشية في أحد المقاهي. وهنا نجزم بأنّ جميع الأعمال الفدائية كانت قد أتت أكلها وحققت الأهداف المرجوة منها، لقد أرعبت العدو، وأدخلت الهلع في صفوفه، وأصبحت بذلك الإجراءات الأمنية التي سنها للاحتماء غير نافعة وغير فعالة. لقد كان النجاح الذي حالف العمليات الفدائية وصل إلى درجة أنّها حطّمت معنويات الجيش الفرنسي. كما أنّ العملية الخامسة قد ألغيت والمتعلقة بنقل السلاح نحو المدينة في اليوم الذي سبق العملية. لقد كان للعمليات الفدائية الأربعة القوة على إلزام العدو المكوث بتلمسان، والضغط عليه من كل ضواحي المدينة ممّا سمح للمقاومين بأخذ أنفاسهم لبعض الوقت.

اليوم الدامي: 04 جوان 1957

لقد تمّ تجاوز مأساة أخرى بفضل برودة أعصاب رجل سيدفع روحه الطاهرة ثمن شجاعته لقد التجأ حوالي ثلاثون رجلا إلى محلّ للأقمشة والخردوات يملكه رجل يدعى المعصوم. كان يقع هذا المحل في ساحة الشهداء وقد استطاع الفارّون الاختباء بأعلى المحلّ بينما لم يكن سوى شخص واحد واقفا بالمحل! عند ما دخل الجنود السينغاليون طلبوا منه إن كان هناك أحد غيره بالمحلّ. فأجابهم الرجل ببرودة أعصاب بالنفي نافيا.عندها أطلقوا النار وأردوه جثة هامدة ثمّ خرجوا بعد ذلك. لقد حضر الثلاثون هاربا هذا الاغتيال البشع دون أن يستطيعوا فعل شيء سوى التزام الصمت.

كانت ستكون النتائج ثقيلة في هذا اليوم (حسب شهادات من حضر في تلك الحادثة) لولا التصرّف الإنساني والمشرّف للعديد من الجنود الفرنسيين خصوصا المجنّدين منهم (Appelés). فبعد الخزي والعار الذي أصاب القادة العسكريين الفرنسيين جرّاء العمليّات الفدائية المتتالية والموجّهة، بالرّغم من التطويق والحصار والتفتيش في معظم أماكن مدينة تلمسان. هؤلاء القادة الفرنسيون أرادوا استغلال هذه الحادثة للانتقام من خلال قتل أكبر عدد ممكن من سكان المدينة. فجمعوا المئات من السكان بشارع (العقيد لطفي الآن) وهم يحضّرون نفسهم لقتلهم جميعا، لكنّ المجنّدون الفرنسيون علموا بهذا الإجراء المخزي فسمحوا للعديد من السكان بالابتعاد عن المكان والهروب بينما قام بعض هؤلاء المجنّدين بإخفاء السكان في المحلاّت والعمارات القريبة. إنّ شهود عيان يتكلّمون الآن عن العشرات من السكان نجوا هكذا بفضل هؤلاء المجنّدين الفرنسيين. كما أنّ شهودا آخرين ممّن كانوا في ذلك الشارع ينتظرون الموت حضروا مشادات كلامية عنيفة بين حاكم تلمسان (الوالي) الذي أسرع إلى المكان، وبين ضابط سام مشارك في المجزرة العقابية. فالحاكم المدني الذي كان ضدّ المجزرة والتقتيل، هدّد الضابط السامي بفضح هذه التجاوزات وقول كلّ الحقيقة وأنّه سينسب إليه هذه المجزرة الجديدة إذا ما حدثت. فكّر الضابط أوّلا وبلا ريب في أنّ هذه الجريمة المرتقبة ستمرّ بصمت أو أنّها قد تنسب للخارجين عن القانون (المجاهدون) مثل ما يحدث في أماكن أخرى. لكنّه انتهى في الأخير بأن استسلم للتهديد الصارم من الحاكم. أكّد

الشهود أنّ الموقوفون من السكان الذين بقوا واقفين لساعات، تمكنوا في الأخير من العودة إلى مساكنهم وأطلِق سراحهم بعد بداية حظر التجوّل.



اليوم الدامي: 04 جوان 1957

L'Écho d'Oran

Déclenchées par un attentat à la grenade contre un poste de l'armée

FUSILLADES DANS LES RUES DE TLEMCEN, HIER APRÈS-MIDI, PENDANT UNE HEURE

Au cours d'une situation, rendue particulièrement confuse par l'action « étalée » des terroristes, 3 personnes ont été tuées, une dizaine blessées

3 grenades sur un poste de garde

Coups de feu sur les militaires

FUSILLADES

Nouvelles rafales

Le bilan

Grenade sur un véhicule militaire au faubourg Pasteur

صدى وهران « L'Echo d'Oran » 5 جوان 1957

اليوم الدامي: 04 جوان 1957



بن عصمان محمد

تلاميـــذ الثانويـــات والفـــداء

لقد كانت الثورة الجزائرية بحاجة إلى جميع أبنائها وجميع قواها الحية من أجل إفشال جميع مخططات العدو القوي والوحشي الذي كان يستعمل كل إمكاناته العسكرية والاقتصادية لمواجهة العمليات البطولية المحضرة بدقة من طرف جنودنا المنضمين ومن طرف تلك المقاومة التي أبداها كل المواطنين، إذ لم يكن للثورة سن أو عمر يقاس به. ومن أجل ذلك كنت في اتصّال دائم مع تلاميذ الثانويات من بينهم مجموعة مكوّنة من "محمود أبي عياد"،"محمد مصلي"، "محمد مزيان" "كازي ثاني" و"مراد بن ديمراد"، وكنت أبيّن لهم كلما طلبوا مني، الكيفية والسيرة التي يجب اتباعها بعد كلّ عملية، كما كنت أيضا أطلعهم على المبادئ النبيلة السامية لقضيتنا العادلة، وكانوا شديدي الاستماع لكل أقوالي، وكانت رغبتهم في الاطلاع على أوضاعنا لا حدّ لها، كما أنّه كانت تحذوهم العزيمة الصادقة وراء كل ما كانوا يطلبونه من معلومات وأخبار.

وفي يوم من أيام شهر جوان 1957، قرر فيه هؤلاء الثانويون المرور إلى ميدان النشاط، طالبين مني المساعدة. كان في نيتهم مهاجمة حفل رسمي بثانوية سلان "Slane" (إكمالية ابن خلدون حاليا). عندها قدّمت لهم قنبلة يدوية ذات المربعات من صنع إنجليزي، ونصحتهم بإدخال القنبلة يوما قبل الحفل، وهذا ما قاموا به فعلا، حيث كلِّف مصلي بإخفائها في صنابير المياه داخل مراحيض الثانوية التي سيتم توزيع الجوائز بها. وفي يوم الحفل تعرض الجميع للتفتيش الكلي، عند دخول التلاميذ إلى الثانوية التي كان سيلقي حاكم المدينة بها خطابا.

وعندما بدأ الحفل، حيث كانت الفرقة الموسيقية تعزف مقطوعات ترفيهية مريحة، قام مدير المؤسسة بإلقاء كلمة عندها رمى " محمد مصلي" القنبلة باتّجاه الحاكم، ولكن للأسف لم تصل إلى الهدف المنشود، وبما أنّ الحاكم مدرب على مثل هذه الأوضاع تمكن من القفز والارتماء أرضا وهنا حدث الفزع والهلع بموت شخص واحد وعشرة جرحى، خرج إثرها الفدائي حيا وحرا.

وعند عودة الهدوء ألقى الحاكم كلمة تطرق فيها لموضوع الحرب والعمليات الفدائية، ومن بين ما قاله " يجب القضاء نهائيا على الذين يخططون لهذه العمليات، وليس على هؤلاء الشباب المنفذ والمسيّر من بعيد " كما أضاف قائلا " إنّ هؤلاء الفلاقة كالأفعى يجب حتما قطع رأسها كي لا تنفث سمها في كلّ جانب ".

إنّ هذه العملية الفدائية وإن كانت لم تأتِ بالنتائج المرجوة ومع ذلك فقد اتخذت نتائجها في الحسبان، وهذا للجرأة الكبيرة والإيمان الصادق الذي تحلى به هؤلاء الثانويون الذين تتبعوا دون أيّ نقص آثار من سبقهم في الكفاح وكان همهم الوحيد الاقتداء بمن سبقوهم من أبطال المدينة خاصة، والوطن عامة. وهنا يحضرني الموت الذي لحق بـ "محمد مزيان" الذي سقط في الميدان الشرف بعد تلك الحادثة بقليل من الزمن، وهذا يدل دلالة واضحة على الإيمان الصادق الذي أبدته هذه الشريحة من أبناء الشعب تجاه القضية الوطنية من إحتضان وأحترام.



طلبة ثانويون: مصلي محمد، بالي بلحسن، أبي عياد محمود ومزيان مصطفى



المسيرة الجنائزيـــة
نحو مدينـــة وجدة

في يوم شديد الحرارة من شهر جويلية 1957، وقع تجمع في مقرنا العام الواقع بسيدي عبد الله بالقرب من العباد. وكان الهدف من هذا الاجتماع الكبير دراسة (الإستراتيجية) التنظيم العسكري الجديد لمجابهة العدو، الذي أصبح أكثر تهديدا نظرا لنقص الأسلحة المضادة للطائرات التي لم تسمح لنا بالدفاع ضد الجولات الجوية العسكرية للعدو. فطبيعة التضاريس في بعض الأحيان لا تُمكّننا من العودة أو التراجع للتمكن من الاختفاء أو الاحتماء من هول ما تنفثه الطائرات، حيث إنّ العديد من المجاهدين وقعوا تحت طائلة الموت الزؤام أثناء هذه الغارات الجوية التي كان يشنها.

وأثناء التجمع، طرح علينا الرائد السؤال التالي:

. " من منكم يقرأ اللغتين العربية والفرنسية؟ "

. " أنا... " مجيبا إياه، ثم أردف:

. " أنت منقول إلى المغرب، نحن بحاجة إليك هناك " وحيّانا بعدها الرائد وذهب.

استيقظت على الساعة الرابعة صباحا، لألتحق ببيت قريب ونمت وعندما استيقظت، علمت أنّ الذهاب إلى المغرب قد حلّ وكنا آنذاك 109 رجلا كوّنا بذلك قافلة أو موكبا يسير نحو وجدة.

لم تكن أبدا جولة استجمامية، وكان علينا أن نسير كلّ هذه المسافة دون سلاح، لأنّه كان محرّما وممنوعا إخراج الأسلحة خارج الوطن.

كان من المكونين للموكب سوى خمسة يحملون السلاح، وكنّا نحن الخمسة نحمل فقط أسلحة خفيفة، وكان دورنا محددا في مرافقة هذه القافلة الطويلة وحمايتها في بلد تدق به طبول الحرب في كل ناحية ضد عدو له عدّة كبيرة وأسلحة أعظم مما نتصوره.

وفي يوم رحيلنا تخلى سي صالح عن هيئته المعهودة، لقد كان عطوفا وحنونا، لقد ودعني وهو لا يتمالك عواطفه، مقدما لي رشاشا وقنبلة يدوية ومسدسا،
." سنلتقي إنشاء الله يوم الاستقلال" مجيبا إياه. إنّها المرة الأخيرة التي أراه فيها لأنه سقط بعد ذلك بشهر ونصف شهيدا في ميدان الشرف والكرامة.

لم نكن ننتظر سوى عودة بوجنان للانطلاق، إنّه مناضل ذهب لتوديع زوجته وأبنائه، وقد تأخر في القدوم، وضاق الجميع درعا تأخره، لكنّنا لم نر أبدا ذلك الفدائي الذي بِيع للفرنسيين من طرف الخونة ومن طرف صهره حارس غابات ببودغن الذي رابط الصلة بالسلطات الفرنسية، الذين أوهموه بأنّهم سيبقون على حياته إذا سلّم نفسه إلى السلطات الفرنسية. وعند عودته لرؤية والديه لم يشك بوجنان في الفخ الذي كان قد نُصِبَ من طرف العدو الفرنسي، حيث حاصروا البيت وأُخِذ بوجنان لتعذيبه بالرغم من الوعود التي قدمها المستعمرون لصهره، هناك فقد حياته تحت وحشية التعذيب الذي تعرض له، ونذكر أن صهره هو أيضا لقى القدر المحتوم نفسه.

وأثناء انتظارنا الطويل، كان سي صالح مرحا معنا حيث التقطنا صورا معا للذكرى، بعد ذلك أعطي الأمر بانطلاق القافلة، حيث تحركت القافلة من 109 رجلا وامرأة وسرنا ملتزمين بجميع قواعد الأمن المعهودة.

وكان أعوان الاتصال يتعاقبون علينا الواحد تلو الآخر لتوجيهنا ودلّنا على الطريق الذي يجب سلوكه، ولكن لِلأسف فبالرغم من الاحتياطات المتخذة استطاع العدو أن يلاحظنا ويحدد موقعنا، وعند وصولنا بالغرب من قرية أولاد حمو بين زلبون وصبرة، لم تنتظر الرشاشات طويلا لتتلقفنا من كل جانب، وكان محمد بوكلي الذي تعرض لجرح في السابق راكبا على حمار، كان أول من سقط برشاشات (الطائرات). أُجبرنا إلى التسلل نحو مخبأ لضمان عدم هلاكنا تحت وابل الهجومات الجوية وفي الغد كنا قد حسبنا موتانا الذين بلغ عددهم 11 شهيدا من بينهم ثلاث نساء.

وفي قرية أولاد حمو كانت الحرارة شديدة وجنودنا يعانون الجوع لأنهم لم يطعموا شيئا منذ يومين، فقدّم سكان البادية خبزا وبصلا وقهوة محلاة بالفلفل الأسود وكان هذا خير من لا شيء. وفي داخل بيت قمنا بمعالجة الجرحى، وقام الضابط عمار بالإسراع في إرسال من يتفقد الطريق إذا كان فعلا آمنا، فتسلق إلى قمة جبل ولاحظ من بعيد دبابات للعدو، عندها سارع في النزول من المرتفع سريعا نحونا، طالبا الاختفاء. اقترب الجنود الفرنسيون من مواقع مخابئنا، وكانوا مرفوقين بعدد كبير من الكلاب، وعند وصولهم بالقرب منا بدأت الكلاب في خبش الأرض بأظافرهما، حيث أحد المخابئ، وأجبر كثير من الرجال على تسليم أنفسهم. وكنت أنا في مخبأ آخر، وكانت معي المناضلة الشابة ليلى، ولم يكن هناك شيئا يساوي شجاعتها وبسالتها. لقد طال انتظارنا أكثر من ثماني ساعات ليأتي بعدها فلاح ليقوم بفتح مخبئنا ويعلمنا بذهاب العدو. خرجنا إثرها من المخبأ للالتحاق بالمجاهدين الآخرين، أعلمنا إثرها أنّ عدد قتلانا بلغ 23 ضحية منذ خروجنا من العباد، وانطلقت مسيرتنا من جديد تحت أمطار خفيفة لنصل إلى مدينة صبرة. وفي هذا المكان كان العدو بانتظارنا لأنّه في الحقيقة لم يكن ليضيع تتبع آثار مسيرتنا، قامت إثرها معركة ضارية، وهنا أيضا تراجعنا تاركين وراءنا 12 شهيدا على أرض المعركة، فالضربات التي كنّا قد تلقيناها أبعد بكثير عن إمكانيات دفاعنا. وعلى الساعة الخامسة وصلنا قرية بجبل فلاوسن ومن بعيد رأينا حريقا مهولا شب في الغابة المحاذية له، وعند دخولنا إلى الأدغال وجدنا فلاحا مرتديا جلابة وجه شاحب أفادنا بخطورة الوضع.

." ماذا يجري هنا ؟ " سأله عمار

–" إنهم الجنود الفرنسيون الذين أشعلوا الغابة وأحرقوها " أجاب ذلك الفلاح مضيفا:

." إنهم يبحثون عنكم منذ زمن طويل، ظانين أنّكم داخل الغابة فقاموا بحرقها "، عندها عاد عمار نحو الملازم دريس طالبا منه إذا كان من الواجب مواصلة مسيرتنا أو تأمين أنفسنا بالبقاء في هذا المكان.

قررنا الانتظار لمعرفة ردّ فعل العدو، حيث قام الدليل بالتسلق إلى مرتفع لمعرفة مواقع المستعمر الفرنسي، بعدها تقدم دريس نحونا وهو رجل قصير القامة مقطب الحاجبين مرتديا زيا مزركشا لرجال الصاعقة واضعا على رأسه مظلة من السعف. تقدم نحونا قائلا بصوت عال :

." إنّ هذا اليوم هو المرحلة الحاسمة للوصول إلى وجدة لأنه لم يبق لنا ما نأكله"

بعدها تسلقت مرتفعا لأملأ قربتي بماء مشكوك فيه ولشربها اضطررت إلى لتصفيتها بخرقة من القماش، وتيقنت (بعد التصفية وبقاء الفضلات) بأنّ الماء كان غير صالح للشرب، لأنها كانت تحمل العديد من العلق، ولكن لم نكن نملك الخيار، تحت ضرورة البقاء على قيد الحياة، كان هذا أو الموت عطشا. وبعد ذلك بقليل، تمدد أبطالنا على الأرض، وفجأة سُمع صوت الطائرة تحلق في الفضاء وأصبح من الضروري الانطلاق من جديد، لأنّنا اكتُشفنا من جديد من طرف العدو الذي لم يبقى لنا أيّ مهرب وهنا تزايد استياؤنا فالدليل رضوان لم يتمكن من العودة، حينها رأينا فلاحا راكبا على ظهر فرس ومتجها نحونا ليقترب منا ويقول :

." يجب الذهاب بسرعة لأنّ الجنود الفرنسيون سيعاقبونكم لقد قتلوا واحدا منكم "

فهمنا بسرعة أن رضوان سقط شهيدا في ميدان الشرف.

وتتواصل المسيرة الجنائزية نحو الحدود أكثر حدة وعنفا وبسرعة استطعنا أن نتحقق من أنّنا محاصرون حصارا شديد. كانت طائرة تتبعنا أينما حللنا وبدا كل مهرب وكأنّه موصد وتهاطل وابل الرشاشات علينا من كل حدب وصوب ونظرا لعدد المسلحين الهيّن لم نستطع القيام برد الفعل لقد وقعنا فعلا في مصيدة أتت على عدد كبير من المجاهدين بينما أصاب الذعر البعض الآخر لعدم معرفتهم لأي ملجأ أو مخبأ وكذلك عند رؤيتهم لرفاقهم وهم يقعون تحت الرصاص الواحد تلو الأخر! عندها فقدوا وعيهم وانتابهم الفزع.

لم تنته المعركة مع سدول الظلام حيث تضاعف الهلع والفزع من جديد عندما رأوا أعوان الاتصال والأدلاّء على الطريق في نزاع بينهم لعدم تمكنهم من معرفة الطريق فقد كان لكل واحد فكرة عن طريق الخلاص والوجهة التي يجب أخذها. لقد أعلمني بعض الجنود بعد

ذلك على أنّ فكرة الانتحار كانت واردة لديهم لأنّهم يعرفون جيدا ما كان ينتظرهم لو وقعوا بين يدي العدو. وبقليل من الحزم والتروي استطعنا أن نتحكم في الوضع وتهدئة جميع أعضاء القافلة الباقين، طالبين منهم التحلّي ببرودة الأعصاب، والتحلي بالشجاعة التي لا يمكننا بدونهما الخروج من هذه الوضعية، حيث نجحنا بعدها في التسلل بين خطوط العدو. والحقيقة أننا لم نكن سوى 15 من 109 عند الانطلاق، وكان قد أخذ منّا الجوع كل مأخذ وهنا كان ابن عمتي "بن شقرة" يمزح بالرغم من المآسي الأليمة التي كابدناها والوضعية الحرجة التي نحن فيها ، حيث تقدم نحوي وهو يحمل في فمه عشبا قائلا لي:

." ابن عمي... باع... باع " مُحاكِِ صوت الأغنام، وكان يأكل العشب وحاولت مثله بما أمكن أكل العشب وقمت بتنظيف عشيبات ثمّ التهمتها كما تفعل البقر، لم يكن لدينا أي شيء يؤكل.

وبعدما كابدناه في اليوم المنصرم، لم نكن نحس بتقدم المسيرة التي مرت دون صعوبة تذكر. وعند الصباح وصلنا إلى قرية كبيرة استقبلنا فيها فلاحون بكل فرح وسرور وأياديهم مفتوحة لنا، حيث قاموا بتوزيعنا على عدة عائلات حيث وجدت نفسي مع دريس ومحمد بن يحي وجابر في بيت واحد، وكانت امرأة تقوم على ضيافتنا وكانت رجلاي تؤلماني كثيرا فقد كنت غير قادر بتاتا على الحركة.

لقد بقينا داخل ذلك البيت إلى الغد، وفي النهار تجولت مع ليلى عبر الحقول حيث كانت رجلاي أقل ثقلا، وبدأ تعب الأمس يتلاشى وفي لحظة خاطبتني ليلى قائلة :

." هل يمكننا المرور عبر الحدود دون أية صعوبات ؟ "

هدأت من روعها قائلا :

." نعم بالطبع سنمر ليلا دون أن يرانا العدو"

وعند حلول الليل كنا قد بدأنا المرور عبر الحدود وكنا نسير على طريقة الطابور الهندي، لتجنب الطرق والسبل الملغمة من طرف الاستعمار الفرنسي، وكان جابر على رأس الجماعة وهو الذي كانت تسير خلفه المجموعة. كان يحاول بواسطة خنجر كبير تحديد مواقع

المتفجرات، وكان بذلك ذا فائدة كبيرة لنا، وقد نجح فعلا في اجتثاث عدة متفجرات وبعد ساعة وصلنا إلى خيمة على بعد كيلومترين من "تويسيت" قرية في بلاد المغرب بالقرب من مدينة وجدة، وهنا طرح مشكل المسافة الفاصلة عن القرية، كانت منطقة عارية ليس بها أشجار ولا تلال وكان علينا المرور عبر هذه المسافة، وبإمكان العدو رؤيتنا التطلع إلينا بسهولة، تفطنا إلى طريقة محبوكة بشكل جيد، لقد قطعنا هذه المسافة (إثنين إثنين) لابسين لجلابتين إستلفناهما من راعيين للأغنام حيث كلفتنا هاته الحيلة كثيرا من الوقت لأنّ الإثنين اللذين يصلان إلى المكان يعيدان للراعي الجلابتين لارتدائهما من طرف إثنين آخرين، وهكذا توالت فصول تنقلنا حتى وصولنا جميعا إلى قرية "تويسيت" في التراب المغربي الشقيق، حيث تم توزيعنا على عدة عائلات فوجدت نفسي مع محمد مزيان ومحمد بن يحي وسي أحمد من سيدي العبدلي لقد تم إيواءنا من طرف عائلة جزائرية أصلها من البيض كانوا حديثي العهد بالزواج وأنتهت بذلك مأساتنا ونظرا لكثرة التعب والمشاق خلدت إلى النوم وفي الغد تم إيقاظي فاندهشت لرؤية رجلي ملفوفتين في خرق من القماش، لقد كان لمضيفتنا فكرة وضع الحناء بالشب على رجلي عندما كنت نائما للتخفيف من الآلام التي كنت أشعر بها، ولم أنتبه لشيء من ذلك. بعد استراحة كنت فعلا في حاجة إليها، توجهنا إلى مدينة وجدة أين كان ينتظرنا مسؤولون مدنيون وعسكريون لتوجيه كل واحد منا إلى قاعدة، حيث تم توجيهي إلى بركان، أين توجد مزرعة ملك لجزائري المدعو بلحاج.

إنّ الرحلة التي قمنا بها كانت شاقة وقاتلة لأنّ مجموعتنا كانت بدون سلاح وكان جل أفرادها عزّل، وكان الاستعمار قد استخبر عن تنقلنا وتابعنا دون هوادة وهو السبب الذي جعلنا نتكبد أثقل الخسائر وبدل يومين أو ثلاثة أيام على أكثر تقدير من السير العادي من تلمسان إلى وجدة، اضطرنا إلى قطعها في 7 أيام للوصول إلى التراب المغربي من خلال سلوكنا لعدة سبل خاصة في جبل فلاوسن للهروب وتجنب الوحدات العسكرية الفرنسية، باذلين قصارى جهودنا لتفادي أبراج المراقبة التي نصبها العدو على الحدود الغربية. وقد كنا نُجبر أنفسنا على عدم استهلاك الماء والغداء، والسير تحت وابل رصاص العدو الذي لم

يدّخر جهدا في تتبع مسالكنا. ولم ينجح من هذه المسيرة الجنائزية سوى 11 شخصا من مجموع 109 رجلا وامرأة، ومن بين الناجين، كانت الفتاة ليلى التي أبدت شجاعة فائقة أمام كل الأحداث منذ انطلاقنا من مدينة تلمسان.



بوكلي حسن محمد الملقب بـ رشيد

الاعــتداء على الرائد سليمان وقضية أولاد جرير

بعد مغامرات عدّة للوصول إلى مركز التدريب، تلقيت رفقة بعض الجنود تربصا مستعجلا ببركان، مدينة واقعة على بعد حوالي 50 كيلومتر شمال وجدة. كانت حصص التدريب تجري داخل مزرعة بلحاج. كان هذا التكوين متعلق بعمليات التفخيخ ونزع القنابل المضادة للأشخاص، حيث كنا نتلقى الدروس من عدة مدرسين من بينهم سي عبد الله نهرو[1] الذي أدهشتني موهبته البيداغوجية وأسلوبه التوجيهي، حيث كان يجيد طريقة رفع معنويات الجنود. لقد قضيت وقتا طويلا بمعسكر بركان لأنّ القيادة كانت تود إرسالي لمصر قصد تكويني في ميدان الملاحة الجوية. إلاّ أنّ أملنا ضاع وانتظارنا كان دون جدوى لأنّ جوازات السفر لم تصل أبدا، ولكن وجهت رفقة 8 أصدقاء مختصين في وضع القنابل ونزعها إلى المنطقة الثامنة والضبط مدينة فقيق الواقعة بالجنوب والتي زرتها لأول مرة بعد سفر طويل وشاق على متن حافلة دام السير بها خمس عشرة ساعة.

وعند وصولنا إلى المعسكر رفقة الجنود الآخرين كان في استقبالنا الرائد سليمان [2] والقائد العقبي[3]، حيث وجهوا بقية رفقائي نحو قطاعات بداخل البلاد، وبقيت الوحيد في اختصاصي بمعسكر فقيق. كانت مهمتي الإشراف على تكوين متربصين في اختصاص وضع القنابل ونزعها وطريقة قطع الأسلاك الشائكة. وللعلم أن كانت فقيق تقع على بعد 5 كيلومترات من المدينة الجزائرية بني ونيف القريبة من بشار وكلفت أيضا بمهمة عبور المسؤولين والجنود الشريط الحدودي، كنت بمعنى أصح " الناقل Passeur "، مما كان يسمح لي بوضع حيز التنفيذ ما كنت أدرِّسه للمتربصين.

([1]) إنّه العرباوي، الذي بعدها نصب وزيرا للري في عهد هواري بومدين.

([2]) اسمه الحقيقي قايد أحمد نصب وزيرا بعد الاستقلال ومسؤولا بحزب جبهة التحرير الوطني لمدة طويلة في عهد الرئيس الراحل هواري بومدين.

([3]) وزير التجارة عهد حكومة الرئيس شاذلي بن جديد

وتفاديا لعبور، أسلحة ومتطوعين جزائريين قادمين من أوروبا إلى الجزائر وخاصة فرنسا والجالية الجزائرية المقيمة بالمغرب التي دفعت الثمن الغالي لتحرير الوطن، قامت فرنسا بإنجاز سدّ مدعّم متكوّن من خطّين من الأسلاك الشائكة المكهربة، وحقول ملغمة، وبين الخطّين طريق يسمح لعبور المصفحات والسيارات العسكرية. إنّ عددا كبيرا من جنودنا لقوا حتفهم جراء تجاوزهم السد المدعم. ولكن، بعد كل فتح ثلمة، اكتشفنا أنّ الجيش الفرنسي كان يحاول خداعنا بقنابل قافزة مما كان يجبرنا على الحذر أكثر. كل شيء سار على ما يرام في البداية ولم أتلقى أي مشكل.

في أواخر سنة 1957، قام الزعيم المغربي علال الفاسي رئيس حزب الاستقلال بزيارة قادته إلى فقيق، حيث أدهش المسؤولين الجزائريين بخطابه الذي ألقاه، مشيرا إلى أنّ مدينتي بشار وتلمسان تابعتين للمغرب، وبعد هذا الخطاب اللامسؤول والمثير، احتار عدد من الجنود وعمّ نوع من التوتّر في أوساط أغلبية المقاومين. ومنذ ذلك اليوم، فرضت علينا السلطات المغربية طلب ترخيص لعبور الحدود. احترمنا قرارهم أوّل الأمر، ولكننا كدنا نسقط في أنياب العدو الذي كان ينتظرنا لا محالة، كأنّه كان على علم بتحرّكاتنا. من الذي كان يبلغ العدوّ؟.

ومن ثمّ، وبسبب تجاهلنا لهذا القرار وقعنا في اشتباك ضدّ إحدى الوحدات المغربية، ولكننا تجاوزنا الحدود بقوة. اشتباك ثان حدث مرة أخرى، ضد الجيش المغربي الذي اعتقل اثنان من جنودنا. ولم تنتهي انشغالاتنا عند هذا الحدّ إذ أثناء عبورنا كان الجيش الفرنسي في انتظارنا، فتراجعنا تفاديا للحصار. لم يكن هناك شكّ في تحالف المغاربة مع الفرنسيين.

بعد ذلك، تراجعت شدّة توتّر العلاقات مع السلطات المغربية، بحيث أنّها بدأت تتحسن تدريجيا ثمّ أصبحت عادية. حتى بدأت أنقل مرتين يوميا عبر الحدود أشخاصا، ومن بين الأشخاص الذين نقلتهم، كان هناك مسؤولون كسي عبد الوهاب وسي الغوتي، رئيسي منطقة بوسط البلاد. كنت عادة أجتنب الليالي المضيئة بنور القمر تفاديا لتفطن العدو الذي كانت بحوزته أجهزة جد متوطرة والقادر على عرقلة نشاطاتنا ومنعنا من تجاوز المنطقة

الجزائرية. ولاجتناب ألغام القنابل القافزة، كنت آخذ معي شخصين يتكفلان بعزل الخيوط، بينما أقوم بقطع الأسلاك الشائكة المكهربة بمقص المعدن.

كان الرائد سليمان (قايد أحمد) قليل الزيارة للمعسكر وخاصة بعد الاعتداء عليه. لقد نجى بأعجوبة، لأنّ القناص، عضو بقبيلة أولاد جرير أخطأه بقليل. إنّ خطاب علال الفاسي قد وصل إلى هدفه، فقد عكّر أرواح عدد من جنودنا، وتمكن من تقسيم صفوفنا لمدة، كما سنراه فيما بعد. كاد التعكّر الذي نتج عن تصرّفات علال الفاسي وحزب الاستقلال تجاه عدد من أعضائنا، أن يُسبب نتائج وخيمة. وفي أحد الأيام استدعيت من طرف قايد أحمد والنقيب عقبي اللذين كلفاني بمهمة نقل عشرة أشخاص عبر الحدود. وبعد تعييني لمستخلف يقوم بأشغالي اليومية المتمثلة في نزع الألغام والتي تتيح لنا فرصة عبور شريط السلك الشائك، بعثت فريقا آخر إلى الحدود، لجلب انتباه قوات العدو والسماح لنا بالعبور وتفادي الاشتباك مع أفراده. انطلقنا في حدود الساعة الحادية عشر، رافقنا خلالها عون اتصال، وعند وصولنا إلى الشريط الحدودي، بدأنا في عملية نزع الألغام، ثم شق جدار الأسلاك الشائكة، أربعين دقيقة كانت كافية لنحط الرحال على تراب الوطن. كان كل شيء على ما يرام إلى حد الآن، سرنا إلى غاية الساعة الثانية صباحا، وإذا بالأمور تغيرت، طلب مني جنودٌ التوقف، كنت متوقعا منهم التماس الراحة، فتوقفت بدوري. فتقدم ثلاث جنود نحوي :

. " إلى أين نحن ذاهبون هكذا ؟ "

. " لا أدري " مجيبا إياهم، ناديت عون الاتصال الذي أفادني أنّ نقطة توقفنا هي مدينة أفلو. إجابة العون زادت من هستيريا الجنود الذين رفضوا الاستمرار في السير، فقلت :

. " سكوت " وأردفت قائلا :

. " كل من يرفض الذهاب... فليصطف على يميني، والمتطوعون على يساري"، فتطوع حوالي 40 فردا، بينما الأغلبية أبت الذهاب. عند هذا الأمر أمرت الجنود بالعودة حيث لم يكن بودي المجازفة والمخاطرة. وفي حدود الساعة الخامسة صباحا، وصلنا إلى فقيق، أيقظت قايد أحمد المدعو الرائد سليمان الذي اندهش لما أبلغته بالوضعية، واعترف حينها

بحكمة قراري، كان يلزم الكثير من التفكير، تخيلوا مجموعة من الجنود المسلحين وبدون راع أو قائد، ستكون كارثة لا محالة.

يومين بعدها، تمكن قايد أحمد وبدون عنف من تجريد الجنود المتمرّدين من أسلحتهم وتسريحهم. هؤلاء الجنود المجندون من منطقة بشار وبالضبط من قبيلة أولاد جرير. فمن خلال المقصد الإجرامي لعلال الفاسي، بدأ المجندون يشكّون في أسس المقاومة، فلماذا يستمرّون في تحمّل رعب هذه الحرب، بما أنهم كانوا أحرارا؟. هذه الحلقة السوداء التي عشتها خلال عبوري إلى المنطقة الثامنة، أظهرت بوجه أصح مدى قيمة برودة الدم وحكمة قايد أحمد لمّا جرد المجندين من أسلحتهم وتسريحهم والإفراج عنهم بعد ذلك، لقد تجنبنا أزمة ذات عواقب غير مرتقبة. بعدها علمت من خلال بعض الجنود الذين كانوا رفقتي ليلة مؤامرة أولاد جرير، بأنّ المجندين المعنيين كانوا يخططون لتقييدي والإلقاء بي عند مدخل معسكر فقيق، ثم تسليم أنفسهم بأسلحتهم وأمتعتهم إلى السلطات المغربية. ولكن حسن العلاقات التي كانت تربطني بهم ولطفي نحوهم، أنقذاني وأرغمهم على التخلي عن هذه الفكرة الوحشية.

بعدها، سارت الأمور كما كانت من قبل. واستأنفت الدروس مع المتربصين الذين تعاقبوا عليّ دون انقطاع. كنت ألقن دروسا نظرية وتطبيقية في نزع الألغام ووضعها لأفواج من الجنود. غالبا ما كانت تتعاقب بعض الفروع تتكون من 33 جنديا حيث كنت أوضح لهم الفرق الكامن بين القنابل القافزة والقنابل المضغوطة وكذا القنابل المضادة للأشخاص. كان المتربصون يتابعون الدروس بكلّ انتباه، ولم أسجل أبدا مشاكل تأديبية معهم خاصة وأنّه كان هناك البعض منهم أكثر موهبة من الآخرين[1].

صورة ص 246: المنطقة الثامنة: المدرّب بالي ومعاوناه

صورة ص 247: نعطيكم الآن قائمة المتربّصين الذين تلقوا تكوينا مكثّفا كي يتمكّنوا من اجتياز ممرّ الأسلاك الشائكة.

صورة ص 248 (أ): درس حول زرع الألغام ونزعها

[1] أنظر قائمة المتربصين الذين تعاقبوا بين أيدي. احتفظت بها إلى يومنا هذا.

(المنطقة الثامنة – جويلية 1958)

(ب): فوق الميدان، يقوم المدرّب رضا (ب– بالي) بنزع شعلة لغم ضدّ الأشخاص



الرائد سليمان الملقب بـ "قايد أحمد"

عــمليــات المنطقــة الثامنة
و النهاية المأساوية لبن عصمان

في سنة 1958، لم تمنع برودة إقليم الجنوب المغربي، المتربصين بالعشرات من التداول لمتابعة الحصص التدريبية، تبعا للبرنامج الذي أعددته بطلب من المسؤولين المدنيين والعسكريين. خلال هذه الحصص التربصية، التقيت بعدد من الشباب الذين لقنتهم أسرار وضع الألغام ونزعها. وكانت هذه الدروس تقتضي حصصا نظرية وأخرى تطبيقية والتي من خلالها، كنت أرافق المتربصين في الميدان، أين كنت أخترع حيل حربية، مثلا... كنت أضلّل المتربصين بتفخيخ أوراق نقدية... أثناء هذه التمارين، لم أكن أستعمل سوى المفجر. كنت أدرس المتربصين مختلف المواد المستعملة، ومختلف الطرق الوظائفية للمتفجرات. كما كنت أحث الشباب المجندين على التحلي باليقظة والحذر.

وفي شهر سبتمبر من سنة 1958، قامت مجموعة من جنودنا بعملية تخريب أين فجر عن طريق الديناميت خط قنوات الغاز الرابط بين حاسي رمل وأرزيو. وبعد مضي خمسة عشر يوما، رجع هؤلاء الجنود البسلاء إلى فقيق، وبعد استراحة مستحقة جراء عناء السير راجلين من وسط الوطن إلى غاية الحدود المغربية، كلّفت بنقلهم نحو جبل معيز جنوب فقيق، مقترحا عليهم أيام استجمام هناك، إلاّ أنّ اللوازم كانت محدودة لدي، فجربت اللعب ثمّ اصطياد الغزال، نظرا لتواجد هذه الفصيلة من الحيوانات بكثرة في تلك المنطقة. وبما أنّ اختصاصي كان نزع الألغام ووضعها، شرعت في تلقينهم التقنيات التي سبق لي وأن درستها إلى ذلك الوقت، لأنّ المتربصين في أول الأمر أبدوا نوعا من الحذر تجاهي، فهم لم يتقبلوا فكرة وجود شاب في سني على رأس مجموعتهم الخبيرة والممرَّنة في فن الحرب. لم أهتمّ لذلك. لكن ومن خلال علاقتي معهم كليا، تمكنت من اكتساب ثقتهم إذ أنّ علال، مسؤول

المجموعة، شهد لي بالتقدير والاحترام، بحيث أنّه أعفاني من الحراسة والسخرات " Corvée " قائلا لي :

. " إنّك رئيس... " .

أود هنا وصف السخرة "Corvée"، المتمثلة في تحضير خبز خاص جدا، ألا وهو "الملّة ". كان تحضيره يتطلب الكثير من الوقت، كان يلزم عجن الفرينة بالماء والملح، ولم تكن لدينا خميرة. ثم نقوم بجمع أحجار سميكة ورطبة على شكل دائري ونغطيها بخصلات من العشب اليابس، ثمّ نشعل الخصلات لتسخين الحجر. وبعد تقريص العجينة ووضعها على الأحجار المغلفة بقليل من الخصلة الجافة حتى يمكن خلال طبخها من خلق قشرة خارجية للخبز. وفي الأخير تكون العجينة معكرة بالرمل لتواجدها على الحجر. كان يجب انتظار ساعتين حتى يستوي هذا الخبز الفريد من نوعه وهذا راجع إلى حالة الحرب التي كنا نعيشها، مجردين من كل اللوازم والتي كانت تجبرنا على استخدام شتى الوسائل والحيل التي تمكننا من العيش في البلاد أو في وسط الجبل وسط هذه الطبيعة القاسية بجنوب المغرب. فقد حصل لي وأن نمت ليلة تحت صخرة بالجبل الذي يأوينا، وفي الغد عند ما استيقظت، وجدت نفسي مغطًى كلية بالثلج، ولم أتمكن من التخلص منه إلاّ بعد جهد كبير.

وفي أحد الأيام، أخبرنا الرائد سليمان من خلال رسالة وصلته عن زيارة العقيد لطفي إلى معسكرنا، فقمنا حينها بتحضير أنفسنا لاستقبال بصفة لائقة زائرنا الشهير. وفي الغد وصل إلينا مستخبرا عن وضعيتنا. كان كل الجنود مسرورين برؤيته، كان الهدف من زيارته في حقيقة الأمر الرفع من معنوياتنا.

من هذه المنطقة، سأحتفظ بذكريات خالدة عن حسن استقبالنا من طرف سكانها الذين كانوا يقسّمون إلى أربع، لاستقبال المجاهدين. ذات مرة، كنا جد متعبين جراء السير الطويل فقدمت لنا قبيلة من البدو الرحل "كسكسا" شهيا، لم يسبق لي وأن أكلت طبقا أشهى منه.

وكنت غالبا ما أخترع ألعابا قصد تسلية الجنود، ففي أحد الأيام، بينما كنت ألعب لعبة الأوراق مع أحد الشبان لمحت في يده شيئا كان قد سبق لي وأن رأيته، عرفته مباشرة،

إنّه سكين إسباني منقوش، قطعة فريدة كانت ملك لي سنتين من قبل، والتي أهديتها إلى رفيقي جمال بن عصمان. فاندهشت وسألت الجندي من أين له بهذا السكين، وبأيّة طريقة تحصل عليه، فأبلغني بقصته التي أفزعتني، بقيت حينها أصمّا ومندهشا.

أثناء معركة عنيفة بالصفصاف بالقرب من تلمسان والتي شارك فيها رفيقي جمال بن عصمان فعند تراجعه نسي سلاحه من نوع رشاش 30، وعند وصوله إلى المعسكر، سألوه عمّا فعله بسلاحه، فانزعج، واعترف أنّه تركه بسبب نفاذ ذخيرته، فاجتمعت القيادة، وأمرت بقطع رأسه، وربما باستخدام ذلك السكين الإسباني. لأنّ إضاعة السلاح في هذه الحرب خاصة وأنّ وسائلنا كانت محدودة، يُعتبر خطأً غير مغفور والذي يودي بحياة صاحبه. ولكن ضياع هذا الرفيق خاصة في أحوال مثل هذه، أحزنتني كثيرا.

بني ونيف: آخر مهمّة لي

بني ونّيف: آخر مهمّة لي

لقد أبصرني النقيب عقبي (المدعو عمّار) في فناء أحد المراكز الموجودة بفقيق أين كنت أقدّم درسا حول كيفية تخريب جسر. كنت منشغلا بالشرح للجنود، النقاط الضعيفة في صرح فني (الجسر) والكيفية التي يمكن بها تدميره بأقلّ قدر من المتفجّرات. لم يرد سي عمار قطع الدرس فهمس في أذني يعلمني بأنّ فرقتين من الجنود ستصلان مساءا في حوالي الحادية عشر ليلا وستمرّان بين مركزين فرنسيين ببني ونيف. لقد كان فيهما ثلاثة عشر جريحا من بينهم ستّة مصابون بجراح بليغة. كنت أنزف كثيرا من أنفي في ذلك اليوم، ومع ذلك أصررت على قيادة العملية بنفسي.

بعد ذلك بوقت قصير طلبت من مساعديّ أن يكونا جاهزين لعملية سرّية تتمثّل في القيام بنقل الجرحى الذين جاؤوا من وسط الجزائر على ظهور البغال وتمريرهم عبر الخط المدعّم للحدود. ومن أجل نجاح العملية كان يجب علينا أن نزيل الخطين للأسلاك الشائكة بعرض حوالي متر و عشرين سنتيمترا. لكن الفرنسيين كانوا قد غيّروا خطتهم من خلال وضعهم للألغام المضادة للأشخاص بعرض أربعة أمتار أمام الخط الأوّل من الأسلاك الشائكة ممّا اضطرّنا، نتيجة ذلك، إلى نزع الألغام من ذلك الموقع أوّلا. ساعتين من العمل ومهّد اثنان من المختّصين في المتفجرّات ممرّا عريضا إلى الحد الذي يحمينا من أيّة إصابة. وعلى الساعة الثامنة مساءا طلب منّا عون اتّصال أخذ فرسين حتّى نكون متقدّمين على الساعة المحدّدة. كان علينا اجتياز خمسة كيلومترات وهي المسافة التي تفصل فقيق بالمغرب عن بني ونيف بالجزائر. وعند الكيلومتر من موقع العبور كان تنتظرنا مجموعة من الجنود. وعلى خلاف جنودنا المسلّحين، كنت قد تركت بندقيتي البلجيكية بفقيق. لم يكن معي سوى مسدّسا 43/11 كي أدافع عن نفسي. وعلى بعد مئتي متر من مكان العبورأعلمنا عونا

اتّصال بمرور مدرّعة فرنسية. كان تمرّ في العادة، على التاسعة ولكن في هذا اليوم تأخّرت بعشر دقائق. جنودنا المختبئون جيّدا كانوا ينتظرونني.

اتّجهنا بعد ذلك نحو شبكة الأسلاك الشائكة التي تقع غير بعيد عن خط سكة الحديد (وهران – بشار). كنّا مجهّزين بمقصّات الحديد وكلاليب عازلة، ثمّ بدأنا بنزع الألغام على بعد أربعة أمتار من خط الأسلاك الشائكة أين كانت الأرض مفخّخة بألغام مضادة للأشخاص تسمى «ألغام ذات المحبرة» «Mine à encrier». إنّها ألغام بلاسكتيكية تزن حوالي 120غراما تحتوي على البارود وشظايا حديدية. كانت مغطّاة بسنتيمتر من التراب فقط. لكي نخرجها كان علينا حفر التراب بالخنجر. تضع رجلك فقط عليها لتصبح فتاتا، فالإنفجار يكون فوريا. مئات من الجنود استشهدوا أو تركوا أطرافهم، فالمشهد لم يكن أبدا جيّدا للمشاهدة. خمس وثلاثون دقيقة كفتنا لنخلّص المكان الأوّل للعبور من الألغام.

لم يكن لدينا الوقت، في ذلك اليوم، كي ننزع كلّ الألغام التي تقع في مسلكنا، لقد اكتفينا بإحكام الوِصلة بقطعة من سلك حديدي محضّرة من قبل. عند المرور الأوّل جمعنا 23 لغما ذات المحبرة «Mine à encrier». ومن كثرة التّعود، استطعت فهم نظام الألغام بنسبة 95% (أي بمعنى أنّ هناك حالات استثنائية نادرة)، وهذا ما كان يسمح لي بسرعة. وقبل بداية نزع ألغام الخط الثاني من الأسلاك الشائكة أعطانا عون اتصلنا كان موجودا بالجانب الجزائري من الخط، كلمة السرّ التي كانت في ذلك الوقت: "واد النيل"، كما أخبرنا بأنّ الجنود الذين يرافقون الجرحى موجودون على بعد خمسمئة متر منّا ولا ينتظرون الضوء الأخضر. تواصلت عملية نزع الألغام بدون مشاكل، لكن الأسوء حدث حينما كنت أقطع الصفّ الأخير من الأسلاك، تكهرب مساعدي ميلود وانقذف بمترين عنّي لأنّه ترك سريعا السلك الذي قطعهُ، بينما كان يجب عليه أن يتصرّف ببطءٍ شديد. وعند سقوطه انفجر لغم. لحسن حظي كنت بعيدا فانبطحت أرضا لكن ثلاث شظايا أصابتني في قدمي وما زاد الطين بلّة أنّ الانفجار أشعل نور مصباحين قريبين من موقع عسكري فرنسي. لقد أكتشف مكاننا

نتيجة لذلك، من طرف جنود العدوّ الذين تركوا الخطوط مكهربة. لقد مات ميلود مكهربا وجرحت جراحا بليغة، وانكشفنا.

لم يضيّع الجنود الفرنسيون الوقت طويلا للّحاق بنا. لم يكن لدينا الوقت الكافي، فكنت أوّل من تمّ إجلاءه ونقله على ظهر بغل (لقد قمت بالضغط على رجلي وشدّها بواسطة عمامتي حتّى لا أضيّع كثيرا من الدّم.

بعد أكثر من 50 عملية عبور من خلال الأسلاك الشائكة، تعدّ هذه، المرّة الأولى التي أكون فيها في وضع سيّءٍ وحرج جدّا. بعد ذهابي بقليل بدأت القنابل تتساقط على الجنود، ولكن حمدا لله، لم تكن الخسائر كبيرة، لقد عددنا شهيدا واحدا وأربعة جرحى. هرع رئيس الوحدة إلى مكاني للإطمئنان على حالتي الصحيّة وهنّأني بنجاح العملية. لقد كان جرحي بليغا ممّا اضطرّني إلى الإستشفاء بمستشفى وجدة مدّة ثلاثة أشهر.

وعند خروجي من المستشفى سرِّحتُ ! كنّا في سنة 1959. فتوجّهت إلى مدينة مكناس أين يوجد أخويّ عبد الحميد البالغ من العمر في ذلك الوقت ست سنوات وعبد الله ذو 13 سنة. استطعت منذ ذلك الوقت الاهتمام بهما. كما أشير بأنّ الرّائد سي صادق مسؤول القاعدة الرابعة وسي البشير، كانا يعوداني كثيرا، كان يعطياني في كلّ زيارة، مبلغا من المال لمساعدتي علما بأنّ الخمسة دراهم التي استمرّ جيش التحريرالوطني في إعطائها لي مرّة كلّ أسبوع، لم تكن كافية، كما أنّه كان في كفالتي أخواي. هذه المساعدة الثمينة من سي صادق استمرّت إلى غاية شفائي. بعد ذلك بحثت عن عمل.



كومندوس المنطقة الثامنة؛ بالي بلحسن ورفقاؤه



المدرب بالي يعطي درسا حول الألغام



المنطقة الثامنة:

المدرب بالي وأعوانه

محمد بـــالي

ألف وتسعمائة وأربعون، بعد مضي سنة من نشوب الحرب العالمية الثانية، لايزال الشعب الجزائري تحت عبودية المعمر، يعيش في بؤس وظلم وذل، بالرغم من أنّ العديد من أبنائه إنظموا إلى صفوف الجيش الفرنسي لمحاربة " الهيتلارية أو النازية " والفاشية. الوالد بالي، الذي كان قد ساهم كجندي في الحرب العالمية الأولى (1914-1918)، كان ينتظر حادثا سارا ومبهجا سيجلب له السرور إلى بيته، ألا وهو ميلاد ابن.محمد.

أنا البكر، لم يعد لي الحق في حنان العائلة لوحدي للأسف، فانتباه العائلة سيكون لا محالة نحو المولود الجديد. سيكبر الصبي وسيكون له الحق في الالتحاق بمقاعد الدراسة، ففي ذلك الوقت كانت تتاح فرصة الدراسة والتعلم بمعدل طفل واحد على عشرة، و خلال سنوات قليلة من التعلّم لم يبق لمحمد أيّ سر في استخدام اللغة الفرنسية، وزيادة على المدرسة الفرنسية، كان يتابع بـ "مدرسة دار الحديث" دروسا في اللغة العربية والعلوم الإسلامية، بحيث أنّ هذا المجمع البيداغوجي كان تحت رعاية جمعية العلماء الإصلاحيين، كما لم يجد أعضاء من جبهة التحرير الوطني أيّة صعوبة في تجنيد التلاميذ داخل خلايا الفداء بالرغم من صغر سنهم. كما كان الحال بالنسبة لأخي محمد وصديقه بومدين بونوارة اللذين اتصل بهما مناضلو جبهة التحرير الوطني. كانت مراسيم التجنيد بحقل واقع بقرية سيدي الحلوي بالجنوب الغربي لتلمسان، أين كانت هناك لجنة تتكون من ثلاثة من قدماء الحركة الوطنية يترأسون اللجنة، وبالمناسبة، أدى محمد الشاب اليمين واضعا يده اليمنى على مجموع مكوّن من مصحف قرآني وعلَم وسيف ومسدس.

إذن في سنة 1956، أين بلغ محمد السادسة عشر من عمره، ترك البيت العائلي لينضمّ إلى صفوف المجاهدين "بالجبل"، كما ذكرته سالفا[1]، ولم يرجع إلى مركز الشرطة لاسترجاع بطاقة تعريفه، إنّما التحق بي بجبل العباد. إثر عملية تفتيش، كان غائبا وقتها عن البيت، جاءت قوات الشرطة لإلقاء القبض عليه بالمنزل، بالقرب من مدخل سيدي بومدين، شارع المذبح بحي الرباط، أُبلغ حينها والتحق بي بالجبل تفاديا من اعتقاله.

أصبح حينها عضوا بجيش التحرير الوطني، في سن أين المراهق مثله، لا يفكّر إلاّ في التسلي.

في سن 16 كان يدفع نفسه تطوعا في المغامرة التي كادت أكثر من مرة أن تودي بحياته. لقد عُيّن في البداية كأمين لرئيس فرع العباد، ثم أربعة أشهر بعدها ولمهارته حوّل لفرع القتال وفي جانفي 1957 جرح وسجن بعد تصادم مع العدو بأولاد حمو، ناحية صبرة قرب تلمسان. وبعد استجواب دام عدة أيام من طرف الشرطة القضائية، ومن طرف المكتب الثاني كذلك، سجن بسجن تلمسان.

في مارس 1958 حوّل إلى مركز إيواء بنواحي تيزي وزو، وبالضبط بمعسكر الماريشال "Camp de Maréchal" أين التقى بمراهقين أغلبية أصلهم من القبائل الكبرى سجنوا بالتهمة نفسها بما في ذلك " التعامل مع جبهة التحرير الوطني". حيث كان محمد السجين الوحيد المنتمي إلى جيش التحرير الوطني والبقية كانوا من المدنيين. وكان هذا المعسكر عبارة عن مركز متكون من عدة أكواخ تم إنجازها مؤخرا وكان السجناء موزّعين في هذه الأكواخ حسب مستواهم التعليمي، أخي مثلا كان يأوي في قاعة لقبها السجناء بقاعة المثقفين وكان كل كوخ يأوي حوالي 50 سجينا وفي أعلى باب كل كوخ مكبر صوت يصدر باستمرار موسيقى، وفي بعض الأحيان موسيقى عربية وقبائلية. وكانت السلطات العسكرية تخصص لكل قاعة ضابط عسكري لكي يقوم بدور النفساني، كانت مهمته الرئيسية البقاء بجانب

[1] أنظر إلى الفصل (الفداء : النشاطات الأولى)

المساجين وتلقينهم قيما جديدة بما في ذلك محاسن العالم الغربي مهينا النظام الاشتراكي الذي كان يعتبره العالم الغربي خارجا عن القانون. وكان الضابط مكلّفا بحشد المساجين يوميا على الساعة السادسة صباحا لتأدية النشيد الفرنسي لامارسياز "la Marseillaise" بعد ذلك كان السجناء مجبرين (بمرور كل ضابط) على الاستعداد له وعلى الصراخ بعبارة: "الجزائر فرنسية" "وتحيا فرنسا". بداخل القاعة لم تكن سهلة علاقات محمد بباقي السجناء حيث إنّهم قادمون من الجبال المجاورة لم يحسنوا التكلم بالعربية إنّما كانوا بربريين.

وفي الشهر الثاني من الاعتقال بالرغم من علوّ سور المعسكر ووجود برج المراقبة تمكّن 20 سجينا من الفرار ولم يلاحظ اختفائهم إلا عند النداء، لهذا شُدّد نظام الأمن بإعداد سلك شائك مكهرب وضع على قمة الحائط المحيط بالمعسكر. وأياما بعدها، قرر المعتقلون المتجمعون بقاعة المثقفين قطع العلاقات وعدم الإصغاء لأوامر الضابط النفساني وبناءا على ذلك عدم تأدية النشيد الفرنسي وعدم لفظ عبارة "الجزائر فرنسية" و"تحيا فرنسا". وكإجراء تأديبي قام الضابط ذو رتبة "عقيد" بمنع السجناء من الأكل طيلة مدة التمرد وخلال أيام معدودة أجبر السجناء على الخضوع والاستسلام، ورجعوا من جديد إلى طاعة النظام المفروض من طرف قائد المعسكر.

خلال سنة 1958، وبمناسبة الخطاب الذي ألقاه الجنرال ديغول، رئيس الحكومة الفرنسية آنذاك، بُلّغ أمر للسجناء بالبقاء داخل قاعاتهم قصد الاستماع بكلّ انتباه إلى خطاب الجنرال وتقديم عرض حال عنه للضابط النفساني. يوما بعد ذلك، وقد كان الجنرال قد تلفظ في خطابه بالجملة الشهيرة "من دانكارك إلى تمنراست، صنف وحيد من السكان، فرنسيون كاملون" وفي آخر الخطاب قال محمد بصوت مرتفع "من بغداد إلى مراكش صنف وحيد من السكان، مسلمون كاملون". كان المساجين ومن بينهم أخي يجهلون أنّ مكبري الأصوات كانت تذيع وتلتقط الأصوات وفي تلك الليلة ومع حوالي الساعة الثانية صباحا، ذهب بأخي جنود يرتدون بذلة المظليين إلى مركز الشرطة بتيزي وزو، أين خضع لأهوال التعذيب حتى أغمي عليه. وحالا بعد هذا الحادث تم تحويله باتجاه أولاد الميمون هذه المدينة الصغيرة

الواقعة بشرق تلمسان أين كانت تأوي محتشدا مليئا بذكريات سوداء، كان موجها من طرف "الأقدام السوداء pied Noir"[1] والذين اختصوا في ممارسة التعذيب. سيعرف أخي الصغير أسوء لحظات مغامرته نظرا لتعرضه إلى شتى أنواع التعذيب الذي دام شهرين داخل هذا المحتشد. وكعربون ترحاب قام رجال الدرك بإجباره على جرّ عربة لمسافة عدة كيلومترات.

وعند خروجه، وُجِّه إلى صبرة أين مكث بمركز التحويل وبدأت أحواله تتحسن عند تحويله بمطبخ المركز، كغاسل للأواني، حيث كان الطباخ فرنسيا يعامله بكل عطف ولطافة إلاّ أنّ هذه الوضعية لم تدم طويلا فقد حُوّل ثانية إلى " رأس العصفور " بمعسكر الهندسة العسكرية يقع غير بعيد عن الحدود الجزائرية المغربية، والذي يؤدي شباب فرنسيون واجبهم العسكري، لم يروا في حياتهم عن قرب "الفلاقة"[2] ويرتعدون خوفا من المساجين الجزائريين بالرغم من تقييدهم بأسلاك حديدية خوفا منهم. وبعد وقت قليل تمّ إعادة تحويل جميع المساجين إلى معسكر هندسة آخر "سيدي زاهر" غرب مدينة مغنية بأقصى الحدود، وهناك فوجئوا عند وصولهم بوجود مئات المساجين مكدّسين داخل خيم. كان المعسكر يضمّ أربعين خيمة كل واحدة تأوي عشرة سجناء، حيث أنّ الجيش الفرنسي كان يشغل المساجين كَيَدِ عاملة لتشييد شبكة الأسلاك الشائكة عبر الشريط الحدودي بينما كان الجنود الفرنسيون يضعون القنابل المضادة للأشخاص، القنابل القافزة وقنابل المحبرة.

أُختير محمد لشغل منصب مترجم، إلاّ أنّه رفض هذا التكليف مجيبا الضابط :

. " بإمكان هذه الوظيفة أن تسبب لي مشاكل مع باقي المساجين". كلف الرفض أخي عقابا عسيرا متمثلا في إنجاز أشغال شاقة جد مرهقة لشاب في سنه، حيث لاحظ أحد الضباط سوء استعماله المعول فبدأ في توبيخه، ثم فوجئ هذا الأخير بِحسن استعماله للغة الفرنسية، فعرض عليه العمل بمطعم الضباط كغاسل للأواني، حيث كان هذا المطعم يسيّره مجندين "Appelés" واحد من باريس المكلف بالحانـة، والآخر من ناحية الألزاس، المكلف بالمطبخ.

---

[1] الأقدام السوداء: اسم أطلقه الفرنسيون على سكان الجزائر ذوي الأصل الأوروبي والذين ولدوا بها.

[2] فلاقة: قطاع الطرق. اسم أطلقه الفرنسيون على الأشخاص الذين حملوا السلاح للتصدي للعدو وقت الإستعمار بدءا من تونس ثم الجزائر

هذان المجنّدان لم يخفيا حسن معاملتهما له حتى أصبحوا أصدقاء فقضى أمتع لحظاته رفقة هاذين الشابين الفرنسيين.

السجن ومشاق الحياة، والجهل بما يأتي به المستقبل، لم تكن هذه العوامل الوحيدة التي تجعل حياة المساجين غير مطاقة. في إحدى الليالي، حدود الساعة العاشرة ليلا، أصيب أحد المعتقلين بأزمة داء النقطة على ما يظهر، وتوجه نحو الأسلاك الشائكة. وخوفا من الأسوء قام محمد بإبلاغ الحراس قائلا لهم أنّ المسجون ليس على ما يرام وأنّه بالإمكان أن يكون مسكونا بالأرواح، لأنّه كانت أوّل مرّة في حياته يرى خلالها أزمة مثل هاته. تقدم ضابط "Aspirant" المكلف بالمساجين، وأبلغ حينها طبيبا من مركز صحي بمغنية. شيء لا يصدّق، فقد حضر الطبيب مجتازا كل الأخطار في بلد تلتهب فيه نيران الحرب، ساعة بعدها كان حاضرا. إنّ الموقف الإنساني والشجاع لهذا الطبيب، الذي تنقل في ظلمة الليل مجازفا بحياته في سبيل إنقاذ حياة سجين بقيت منحوتة في ذاكرة محمد. إليكم قصة صغيرة، لما علم أخي بالداء الذي أصيب به السجين وما كان يدعيه حسب علمه أنه كان "مسكون"، ضحك الطبيب لهذا، وقام بحقن المريض، لكن للأسف الشديد لم تجدي الحقنة، ولحسن الحظ، كان من بين المساجين طالب " مدرس القرآن " حيث إنّه بمجرد حركات غريبة وتلاوة بعض الأدعية تمكّن من تهدئة المريض.

في أفريل 1959، تنقل شخصيا العقيد الذي كان يحكم المعسكر الهندسي للمنطقة إلى معسكر سيدي زاهر. حيث في خطابه لهم حث المساجين الشباب على النضمام إلى صفوف الجيش الفرنسي وبالمقابل يعفى عنهم بعد انتهائهم من التدريب، ويوجّهون بعدها نحو معسكرات الهندسة العسكرية وليس إلى محتشد "الحركة"[1]. كان هذا الخطاب لمحمد كنور بين الظلمات، فقد ظهرت لديه فرصة للخروج من وضعية السجين، وزيادة إلى هذا وجود ضابط

[1] الحركة : وحدات متكونة من جزائريين (الحركة)، أجبروا أو تطوعوا لمقاومة جيش التحرير الوطني إلى جانب الجيش الفرنسي.

بجيش التحرير الوطني كان متسللا ضمن المساجين أوحى إلى محمد وإلى أربعة مساجين آخرين قبول عروض هذا العقيد وانتظار الفرصة السانحة لتنظيم خطة فرار.

حين طرح العرض استجاب المعنيون، حيث قام أخي رفقة أربعة من رفقائه بتقديم طلباتهم، وفي اليوم نفسه نقلوا إلى مزرعة بالقرب من أرزيو أين تكلف بهم ضابط نفساني محاولا ترسيخ فكرة أنّ جبهة التحرير الوطني منظمة اشتراكية، وأنّها لم تستطع أن تكون مرشد شعب مسلم، لأنّ الاشتراكية نظام ذو روح ملحدة. وفي ذلك الوقت بينما كان الضابط يقوم بعملية غسيل الأدمغة، كان أخي يقوم بدور المترجم يترجم أقوال رفاقه حسب لياقته وذلك قصد إعجاب الضابط وربح ثقته.

وبعد انتهاء مدة التربص، وجد الشباب الخمسة أنفسهم بمزرعة حُوّلوا إليها بالقليعة بالقرب من الجزائر العاصمة، حيث كانوا يستغلون أيام عطلتهم لقضائها بالتجول بالقليعة، وقد التحق بالمزرعة شباب من شرق البلاد، كانوا محلّ تكوين عسكري عاجل في اختصاص "كومندوس Commandos". أثناء التربص، تمّ تكوين الشباب على أسس استعمال شتى أنواع المتفجرات وطرق وضع القنابل، وتمارين في الرمي بالرشاشات والرمي بالقاذفات كآخر فصل لهذا التربص، حيث إنّ هذا الكومندوس متخصّص في عمليات التخريب. كما تعلّم الشباب كيفية استعمال الخرائط الطبوغرافية العسكرية ومتابعة أسس تقنيات الملاحة البحرية، وكذا القتال بمؤخّرات البنادق "Cross-Combat".

نقل هذا الكومندوس مباشرة بعد نهاية التربص على متن طائرة إلى بشار في الجنوب الغربي، وحين وصولهم وجهوا نحو القنادسة على متن شاحنات عسكرية وكان الجنود حديثو العهد مُعفَون من ممارسة رياضة ركوب الخيل. وبعد أيام قاموا بتدريبات في الميدان، وكذا استكشافات بداخل التراب الوطني، كان الهدف الحقيقي اكتشاف معسكرات جزائرية متموقعة على التراب المغربي، وكان كل واحد منهم مزوّد برشاشة وحصة من الغذاء.

مفترقين عن باقي المجندين القادمين من شرق البلاد، نقل محمد رفقة رفاقه الأربعة يوما باتجاه أرض فلاحية الواقعة بـ"سان مور Saint Maure " بالقرب من أربال "عين الأربعاء

حاليا"، بقرية واقعة على بعد 10 كيلومتر عن حمام بوحجر ولاية عين تموشنت حاليا. هذه المزرعة كانت تأوي الفيلق الثالث "3ème C.C.A" كومندو المظليين، أين قام الرفقاء الخمسة بتدريبات على أسس القفز بالمظلة، جرى التربص النظري بهذا المركز، أما التطبيقي جرى بمطار السانيا الواقع على بعد 60 كيلومتر من عين الأربعاء. منذ بداية التدريبات، لم يكن يدري أحد من المجندين إلى ماذا تهدف كل هاته التدريبات العاجلة، حيث كانوا يسيرون في المجهول، كان عليهم الصبر قليلا قبل محاولة أي خطة، ثم شيئا فشيئا، فهم محمد أن الملكية الفلاحية تعتبر معسكرًا مخفيًا ومشغولاً من طرف "3ème C.C.A"، الوحدة العسكرية المتكونة من أعضاء الكومندوس فرنسيين ومنهم جزائريون انضمّوا إلى صفوف الجيش الفرنسي، وكان منهم من كان متزوجا حيث منحت لهم بيوت وسط المعسكر حتى يتسنى لهم العيش رفقة أسرهم. أما محمد ورفقاؤه فقد علموا بأنّهم انخدعوا وذلك لوجودهم بمعسكر "الحركة" عكس ما وعدهم به الضابط الفرنسي "العقيد" المسؤول الأول عن مجموع الوحدات المكلّفة بأشغال الاتصال وتقوية وتنظيم الميدان لمدينة مغنية. بالنسبة لأخي، فقد أصبح من المستعجل الفرار من هذا المقلب فقد جنح بمعسكر الخونة حيث الحياة بوسط هذا المعسكر تتلخص في التمرن والتدريب على عمليات التخريب، أمّا التعليم فكان يتكفل به ملازم أول، أحد قدماء الحرب الهند الصينية وخبير في التخريب.

وبعد مضيّ شهور، استفاد محمد من عطلة للذهاب إلى وهران. وصولا إلى هذه المدينة اتصل أخي محمد بخالي أين أبلغه بمكان تواجد أبي الذي كان مختبئا هناك، هذا الأخير كان يعيش في محل إسكافي، حيث لم يتمكن من تجاوز الشريط الحدودي للجوء بالمغرب عكس إخواني الإثنين اللذين تمكنا من الفرار والعيش هناك بمساعدة عابر جزائري. توجه محمد نحو المحل الذي كان يقيم به أبي بكل حذر، خوفا من أن يكون متبوعا، لأنّ أبي كان مهدّدا بالقتل من طرف اليد الحمراء التي كانت تعدم أولياء كل الشباب الذين يلتحقون بجيش التحرير الوطني، وبعدما التقيا لمدة قصيرة، توجه محمد نحو المدينة للتجول أين تعرف بفتاة إسمها "فاطمة"، صورة تذكارية خلدت هذا اللقاء.

وعند رجوعه إلى معسكر أربال، قام بإظهار صورته بمعية الفتاة "فاطمة"، كأنّه يريد إظهار حب بريء، إنّما بتصرفه هذا، أبدى تطوعه الكامل في الجيش الفرنسي، وأنّ انشغالاته كانت كانشغالات الجندي الفرنسي، بواجباته، دون التخلي عن محاسن الحياة، حيث أنّ علاقاته مع الجنود الفرنسيين كانت حسنة وذات طابع حضري واجتماعي، لم يسبق وأن وجد صعوبات في اندماجه بهم هكذا حاول إيامهم.

وبعد حين، قام الملازم الأول بحشد الجنود الخمسة معلنا لهم عن مهمة في انتظار القيام بها، وأنّ مكان العملية سيكون "طنادرة" مدينة مغربية واقعة بجنوب وجدة، بطريق "فقيق". تتعلق هذه المهمة بالقفز بالمظلة ليلا في نواحي مكان العملية، قصد تدمير معسكر جيش التحرير الوطني، وبعد نهايتها يُجمع الجنود وينقلون على متن مروحيات تكون في انتظارهم بمكان معين ومضبوط، إلاّ أنّ العملية أجلت.

يومان بعدها، كُلّف أخي ورفقاؤه الأربعة بمهمة تخريب معسكر تابع لجيش التحرير الوطني الواقع بمنطقة مغربية وبالضبط بالجنوب الغربي لوجدة، حيث عُيّن من خلاله العريف عواد رئيسا على رأس المجموعة. كان العريف عواد جزائري منضم في صفوف الجيش الفرنسي. قام ضابط بتدريس الموقع "للمخربين" بمساعدة صور ملتقطة من الجو ومصغرات للمعسكر الهدف والمنطقة المجاورة له.

كانت هذه التحضيرات تجري في قاعة تدعى "قاعة العمليات"... وكان الجنود المكلّفون بالمهمة يرتدون بدلة جيش التحرير الوطني، ولصحة التفاصيل قدم لكل جندي علبة سجائر من صنع مغربي "كازا سبور"، سجائر كان يشربها الجنود الجزائريين المتوقفون بالمغرب. وعند الانطلاق، قام الفرنسيون بتفتيش المخربين، خوفا من أن ينقلوا صحبتهم أشياءا تكشف هويتهم فامتطوا بمعية جنود فرنسيين شاحنة من نوع "GMC" إلى غاية مزرعة واقعة بـ"No man’s Land" منطقة ممنوعة ومراقبة من طرف الجيش الفرنسي. كان المخرّبون الخمسة في حماية من الأماكن المفخخة بالقنابل المضادة للأشخاص ذلك لكون الجنود الفرنسيين الذين رافقوهم يعلمون المواقع التي توجد فيها الألغام والمواقع التي لا توجد.

كان محمد ورفقاؤه قد خططوا لفرارهم، مباشرة بعد قطع الحدود. وبعد تناول وجبة الفطور، يقوم محمد بجذب انتباه الجنود الفرنسيين السبعة أو الثمانية راويا لهم نكتا وهو متكئ على الأرض تفاديا لإصابته جراء القنابل اليدوية التي سيلقي بها رفقاؤه على الجنود الفرسيين. ثمّ يقوم بوحجر (أحدهم) بإطلاق وابل الرصاص عليهم برشاشة من نوع "FMMG42" وقت هروب محمد، بينما يقوم الآخرون بالاستيلاء على أسلحة الفرنسيين.

حينما أتى وقت تطبيق الخطة، قام محمد بشغل انتباه الجنود الفرنسيين، عوض أن يرمي غزالي قنبلة يدوية تردد، بوحجر والآخر المدعو بومدين فرّا بأسلحتهما. ومن هنا فشلت خطتهم، ولم يجد محمد ما يفعله وبدأ غزالي من شدة الفتنة واليأس في الصراخ، ومحمد وحاول محمد تهدئته. حضر حينها الجنود الفرنسيون ملتمسون من محمد توضيحات عمّا جرى، حيث أنّ الملازم الأول كان قد لاحظ محمد يخاطب غزالي بالعربية حينما كان يحاول تهدئته، فأمر بإلقاء القبض عليه. قُيِّد حينها وأُخذ على متن شاحنة متوجهين به إلى سيدي بلعباس بثكنة عسكرية هناك، وألقي به في زنزانة جدّ ضيقة لا تتسع حتى للتحرك بوسطها، متهما بالمؤامرة. في الليل قام أعضاء من المكتب الثاني باستجوابه بطريقة جدّ عنيفة ولمدة دامت عدّة أيام، ولكن أخي حفظ السرّ ولم يفشي بشيء يتعلق بخطة فرارهم الفاشلة.

وفي صبيحة اليوم الخامس عشر، قام الجنود بنقله وألبسوه طاقية إخفاء على وجهه، وألقي به في سيارة عسكرية، أظنّ سيارة رباعية الدفع 4x4. فقد أخي كلّ الأمل، ظانا أنها آخر ساعاته وأنّ موعده مع الموت قد حان. بعد ساعة من السير، وصلت بهم السيارة إلى وهران متوجهين نحو ثكنة بشارع "El Eckmuhl". هناك وجد محمد نفسه في مكتب وجها لوجه مع العريف عواد وقائد فرنسي. كان عواد حاضرا للدفاع عن أخي محمد، وإعطاء البرهان على براءته. بعد ذلك بدأ القائد بدأ في طمأنة محمد، مبيّنا له أنّ الاتهامات الموجهة إليه كانت سوى خطأ تقدير، وأنّ الجيش الفرنسي يثق به ويتّكل عليه، وطلب منه أن يتحلى بالحذر وأن يفشي كل أسرار الخطط التي يمكن أن تؤذي مصالح المركز الذي يتواجد به

والذي يأوي كومندوس المتخصصين في عمليات التخريب. بعد الحوار الذي أجراه مع القائد استفاد محمد من عطلة، منتهزا الفرصة لزيارة أبي الذي قال له:

." سأذهب قريبا إلى المغرب... أين سألتحق بإخواني هناك ". غير متجاهل فرار أخي محمد من أظافر الجيش الفرنسي، وهروبه إلى المغرب، اقتنع أبي وهزّ رأسه. بعدها التحق أخي بالثكنة أين كان ينتظره الجديد.

كان هدف المهمة الجديدة يكمن في تحطيم قاعدة تابعة لجيش التحرير الوطني متواجدة بـ"أنقاد" بالقرب من مطار وجدة الحالي. حيث تم كشف (بقاعة العمليات) عن عتاد متطور كان تحت تصرف المخربين الذين جهزوا بصينية توضع عليها قاذفات تسيّر عن بعد. وكل صينية بإمكانها احتواء 03 قاذفات مسماة ذات ثقل حافر. حيث يجب وضع الصينيتين على بعد مئة متر من الهدف. وحين إطلاق النار تقذف القاذفات وتنفجر داخل المبنى الذي يأوي المجاهدين. تّمت دراسة الميدان بقاعة العمليات بأنقاد بمساعدة صور جوية ومصغرات عن القاعدة. لم يترك أي دليل، واتفق كذلك على كلمة السر المعروفة بين أفراد المهمة السرية، في حالة التقائهم بجماعات جيش التحرير الوطني.

لاحظ محمد قائد الفيلق ثلاث مرات وهو يرافق جزائري ذي سن متقدم بعض الشيء. أين كانا يغلق عليهما بمكتب ملازم الوحدة. ومن خلال بعض الإشاعات التي كانت تتداول داخل الثكنة، مفادها أنّ ضابطا بجيش التحرير الوطني عميل ومخبر لفائدة الجيش الفرنسي. قصد تنظيم لقاءات بين الضابط فيلون (Felon) والجيش الفرنسي، كنا بحاجة إلى مشاركة ضابط مغربي من وحدة القوى العسكرية الملكية، المتمركزة بالحدود. كان يسهل عملية العبور لضابط جيش التحرير الوطني الذي كان يُنقل على متن حوامة من الحدود إلى معسكر عين الأربعاء.

وفي فجر اليوم الموعود، انطلق نحو الحدود المغربية محمد رفقة عواد الرئيس وجنديين مجندين كانت أوّل مرّة يلتقي بهما محمد إضافة إلى عشر جنود فرنسيين، حيث كان الجنود العشر مكلفين بحماية المخربين وتغطيتهم بعد أداء المهمة. وعند وصولهم إلى

الحدود، اتجهت المجموعة نحو ثكنة تأوي جنودا فرنسيين وسينغاليين، وفي حدود الساعة السادسة مساءا قامت المجموعة رفقة جنود فرنسيين بشن عملية تشميط عادية لتجنب وحدات الجيش المغربي التي بإمكانها أن تمنع لجوء فرقة المخربين إلى المغرب. ولما حان الوقت، تسلل أعضاء المجموعة داخل التراب المغربي عبر واد في انتظار سواد الليل.

لمّا أسدل الليل ستاره الأسود وفي ظلمته الحالكة، انطلقت العملية نقل محمد وعواد القاذفات بينما نقل الجنود الصينيات المخصصة لوضع هذه القاذفات. كانت المجموعة متكونة من 4 أفراد من بينهم أخي، تقدموا قصد تثبيت القاذفات وتجهيزها بينما كان الجنود الفرنسيون يراقبون من الوراء حماية لهم من أي طارئ، عدا ذلك، أشعلت منارات كبيرة بهدف تبيين مكان العودة بعد تنفيذ العملية. ثم طلب عواد من أخي التقدم قليلا قصد معاينة المكان، وهنا خطرت ببال أخي انتهاز الفرصة التي طويلا ما انتظرها للفرار، فجهز سلاحه وتقدم رفقة عواد، ولمّا بلغا من السير 100 متر، جهز سلاحه بكاتم الصوت ثمّ أطلق النار على عواد وخلع الجهاز بعدها بسرعة راميا وابلا من الطلقات في السماء لمغالطة أفراد المجموعة بأنّه ردّ فعل المجاهدين. و(دون انتظار) فرّ أخي محمد آخذا سلاح عواد، نحو وجدة التي قادته إليها أنوارها.

وفي حدود الساعة الثالثة صباحا، ولج بطلنا أحياء المدينة واستقر عند مغربي صاحب مقهى الذي دلّه بدوره على مكان قاعدة العربي بن مهيدي، حيث أنّه سلمه جلابة يرتديها قائلا "بإمكان الجنود المغاربة تسليمك إلى الجيش الفرنسي إذا اكتشفوا حقيقة من تكون". ولما وصل أخي إلى قاعدة العربي بن مهيدي في حدود الساعة الرابعة صباحا، شرح لضابط المداومة مغامرته الغريبة. وبعد ساعة، تنقل الرائد رشيد مسؤول القاعدة، مستمعا بانتباه لأحداث قصة أخي محمد، حيث وبدون إطالة تنقل أربعة أفراد رفقة أخي، الذي دلهم على المكان، لينزع جثة عواد التي كانت مقيدة بالجهاز الناري.

وبعدها، تكلف رائد القاعدة بأخي الذي بلّغه بكلّ أنظمة تلغيم المناطق الحدودية التي قامت بها القوات الفرنسية ومدى خطورتها والأضرار التي يمكن أن تلحقها بجنودنا. كما بلّغ

محمد مسؤولي جيش التحرير الوطني من خلال هذا، بالخطر الذي تتواجد فيه ثكناتهم المتموقعة على الشريط الحدودي، كانت كلها هدفا مرجوا للجيش الفرنسي، وبإمكانه أن يشن أو يقوم بهجوم واسع النطاق على مجمل هذه الثكنات.

فمن خلال أحداث هذه المغامرة العجيبة التي تظهر أنّه لا يمكن في أيّ حال من الأحوال أن تكون إرادة رجل قابلة للخضوع، سواء عن طريق التعذيب أو بعمليات "غسل الدماغ"، إذ لم يتمكن العدو من القضاء على الروح الوطنية التي تميّز بها محمد. فقد عرف هذا الأخير أحداث أخرى لا يمكن لنا أن نرويها من خلال نص واحد، بل يجب قصها في رواية خاصة به، وتعريفها للشباب المتعطش إلى اكتشاف الأحداث البطولية التي قام بها إخوانهم الذين حرّروا الوطن من بطش المستعمر وطغيانه.



بالي محمد على اليسار وصديقه



بالي محمد وسط رفقائه

الحيـــاة في الجبــل

لما التحقت بالثورة، علمت أنّه سيطرأ على حياتي تغير جذري، ولن تكون كما كانت من قبل، وسط عائلة هادئة ومجتمع ذي عادات وتقاليد جد محافظة، وكان علي حينها، أن أعيش حياة المجاهدين القاسية في جبل بالقرب من قرية العباد بشرق مدينة تلمسان أين مكثت.

استخدمنا خربة كملجأ للسكن فيه بجانب غار محايد ليس ببعيد من ضريح الولي الصالح سيدي الطاهر، وكانت هذه الغرفة القديمة ذات مساحة 20 مترا مربعا تأوينا في الليل، حيث كنّا ننام على الحصيرة الملطخة بالتربة مستخدمين حقائب الظهر (Sacs à dos) كوسادة، وكان من الواجب التداول على الحراسة واحدا تلو الآخر حسب برنامج يعده الرائد، وبهذا كان بإمكان كل واحد منا النوم لمدة 4 ساعات في الليلة، أما الوجبات فقد كان يقدمها لنا شخصان ساكنان بالعباد.

بعدها، علمت أنّ سي صالح حمادوش[1]، كان يدفع مبلغا ماليا كل مرة إلى سيدة من القرية لتحضر لنا الطعام.

كانت تتوفر لدينا المياه بكثرة، وذلك لتموقع ملجأنا بالقرب من حوض للمياه، كنا نستخدمه للغسيل والشرب، وكانت أحيانا بعض العائلات من العباد تدعونا إلى تناول وجبات الأكل، حيث لا أنسى الأوقات التي أمضيناها عند مولاي بومدين، محمد وتيجيني بويعقوب وكذا مجاجي الذي حطم الجيش الفرنسي بيته سنة 1958، حيث عُذّب الوالد بحجة أنّه آوى في داره مجاهدين.

[1] أنظر الفصل المعنون (صالح حمادوش)

حول مدينة تلمسان، كانت ممتلكات المناضلين تستقبل قادة آخرين مثل الحكيم (طبيب)، الماجور خديم[1] وفصائل كاملة من الجنود. وسبق وأن ذكرنا ممتلكات بندي جلول[2] بالقرب من الصفصاف كانت عائلة حاج عمارة تأوي دائما عددا كبيرا من الجنود وتساعدهم على إنجاز مهامهم النبيلة. وبفدان السبع آوت عائلات بن عصمان عددا كبيرا من أبطالنا، وقد دفعت الثمن الغالي في سبيل تحرير الوطن، فعبد الرحمان المدعو دحمان وثلاثة من أبنائه وأبن أخيه قتلوا من طرف الجيش الفرنسي رميا بالرصاص، انتقاما منهم، وهذا بعد مُشادات عنيفة وقعت بين جيش التحرير الوطني والجنود الفرنسيين في الجنوب الغربي للمدينة ببني بوبلان بالقرب من منصورة.

وقد اشتهرت عائلة بن يلس بمشاركتها النشيطة في مجال إيواء الجنود، حيث وضعت حقولها المتواجدة بأعالي ملكيتها تحت تصرف جيش التحرير الوطني، وهناك بعض الأماكن الأخرى المتواجدة بعين الحوت وأوزيدان استعملت كملاجئ لإيواء المكافحين.

زيادة إلى المشاركة الهامة جدا للعائلة التلمسانية في الكفاح، خاصة تلك التي كانت تملك أراضي فلاحية، فإنّ هذه العائلات الباسلة قدمت إلى المكافحين المأوى والطعام وإمكانية التدريب والتمرن على أراضيها، وكذا اللجوء فيها والاختباء أثناء الحملات التمشيطية التي كان يشنها الجيش الفرنسي، كما كانت تنجز على هذه الأراضي مخابئ "Pajeros" بهدف الاختباء كما ذكرناه سالفا.

وبالرغم من المساعدة الثمينة المقدمة من طرف العائلات التي ضحت بأبنائها، ونسائها وممتلكاتها في سبيل تحرير الوطن العزيز، إلاّ أنّ حياة الجنود في الجبل لم تكن باليسيرة، بل كانوا غالبا ما ينامون مرتديين ألبستهم، كما لا يخلعون أحذيتهم لعدة أشهر خاصة إذا كانوا مزمعين الرحيل والانتقال دون استقرار أو توقف.

[1] أنظر الفصل المعنون (الماجـور)

[2] أنظر الفصل المعنون (عائلة بندي جلول)

يجب التذكير أنّ طبيعة الحرب المعلنة ضد الفرق الفرنسية . حرب مناضلين . كانت تجبرهم على تغيير أماكن إقامتهم وعدم الاستقرار في المكان نفسه وذلك تفاديا لتفطن العدو لمواقعهم.

لقد ذكرنا أنّ عنتر قد منع جنودنا من الإقامة بممتلكات بن دي جلول حتى لا يكتشف أمرهم ويعرف العدو مأوانا[1]، فقد كانت العائلات تخاطر بمصيرها فالعديد من أصحاب الممتلكات وأفراد عائلاتهم سجنوا ومنهم من عذبوا ومنهم من قتلوا، وغالبا ما كان الجيش الفرنسي يلجأ إلى تحطيم بيوتهم وحرق غلتهم والاستيلاء على ماشيتهم، بسبب اكتشاف أمر هذه العائلات بأنّها تأوي مجاهدين.

هذا ما كان يفرض علينا عدم الاستقرار في المكان نفسه، كما ذكرنا أيضا النتائج الوخيمة المترتبة عن القبض على "تونسي" الذي أفشى أسرارا تحت الضغط والتعذيب لمصالح السلطات الفرنسية معلنا لهم مواقع الباجيروس المنجزة على ممتلكات بن دي جلول، الشيء الذي أدى إلى مفاجأة عدد من المجاهدين داخل ملاجئهم وقتلهم من طرف قوات الاستعمار، وكذا تعرض العائلات التلمسانية وممتلكاتها للخطر بسبب تطوعها ومساعدتها للمقاومة.

وفي الأخير، لم يكن هناك شيء يسير وسهل، إذ كان هناك مجاهد مريض أو مجروح، فالطبيب والأدوية لم تكن دوما متوفرة. فحينما جرحت أثناء هجومنا على القطار بالوريط، كان لي الحق في حقنة واحدة من "البينيسلين"، وبعدها عالجت جرحي باليود لوحده، لم يكن لي أي خيار بالرغم من خطورة وضعي الصحي بسبب رصاصة اخترقت جسمي. وأشير خلال هذه القصة الصغيرة، أنّه حينما كنت داخل الباجروس أعالج جرحي، قام قريبي بن شقرة بحك جسده لقد رأيت على جسده وشعره باعوضا ضخما، قال لي وهو يحمل إحداها على أصبعه:

. " آه... هذا لا يزال صغيرا... سأتكفل به حتّى يكبر" وأرجع الباعوضة إلى قميصه، هذا مثلٌ على المعاناة التي كان يعانيها الجندي.

[1] أنظر (مسيرة جنائزية نحو وجدة)

ومع ذلك فقد عشت لحظات أصعب بكثير أثناء مسيرتنا إلى وجدة[1]، كنا ملاحقين باستمرار من طرف الجيش الفرنسي منذ انطلاقنا، لم نأكل مدة 03 أيام، تخيلوا هذا!... شخص يمشي سيرا على الأقدام مسافة 40 كلم يوميا دون أن يأكل شيئا مدة 72 ساعة، لا أنسى أبدا ما عشته، كما ذكرته سالفا، سبق لي أنني تغذيت على العشب الأخضر رفقة قريبي عبد الكريم بن شقرة، فالمعاناة الجسدية أضيفت في هذا السير إلى المعاناة التي سببها افتقادنا لعدد من الرفقاء.

المعاناة التي عشناها في المنطقة الثامنة، في جنوب المغرب، كانت ذات طبيعة مغايرة، لم أستطيع تحمل حرارة طقس المنطقة وجفافها، خاصة لما تعصف الرياح المصحوبة بالرمال. كانت الحياة في هذه المنطقة الصحراوية صعبة، لا بيوت هناك، وسكانها كانوا من الرحّل، وكنا نُغيّر دوما أماكننا وكنا مجبرين على نقل غذائنا، أو ما كان يستعمل لغرض الأكل. سبق لي وأن تكلمت عن الخبز المسمى "الملّة " الذي كنا نحضّره بأنفسنا[2]، وفي الليل نتغذى من العدس واللوبيا أو عجائن مغلاة بالماء فقط، ومرّة في الأسبوع، كان لنا الحق أن نتقاسم علبة الطون بسعة 5 كيلوغرام على مجموع 12 جنديا، هذا ما كان يقوم بإعادة التوازن الغذائي إلى أجسامنا. ومن أجل غسل آواني الأكل، كنا نستعمل التراب الجاف أو الفحم المسحوق عوضا عن مسحوق الغسيل "Omo". وإذا أردنا غسل ألبستنا، كنا نستعمل عوض الصابون مادة طبيعية تقطف من الأشجار، وهي كويرات صغيرة تستخدم قشرتها فقط عن طريق تغليتها، يستخلص منها سائل دابق، بعدها علمت أنّ اسم الشجرة هذه "الشربين Sapindus".

كان الجو بالصحراء لا يطاق، فصبيحة دافئة جدا، أما الليل فكان باردا جدا، كان هذا الاختلاف في الحرارة يسبب لي متاعب صحية، خاصة وأنني لم أكن معتادا على طقس كهذا، حيث كان البرد الشديد يسبب لنا تورمات في أقدامنا وآلاما حادة، ولم نكن بأمان من لسعات العقارب التي كانت تحوم في المنطقة كلها، إنّها حيوانات خطيرة، حيث يمكن للسعة

---

[1] أنظر نص (مسيرة جنائزية نحو وجدة)

[2] أنظر نص (عمليات المنطقة الثامنة)

واحدة أن تقتل الضحية، خاصة أنّه لم يكن يتوفر لدينا مصل مضاد لسمومها. كان علينا التحلي بالحذر واليقظة في كل مكان وزمان، إلاّ أنّ في حالة ما إذا لسع أحد فيجب حالا شدّ عقدة بالقرب من موضع اللسعة لتجنب جريان السم عبر الأوعية، ثم خلق نزيف عن طريق فتحة، هذه الطريقة لم تكن فعالة ونافعة ولكنها تَحُدُّ من الخطر.

لم يكن الأمر سهلا في أيّ مكان، فالجهاد كان يمثل تلك الاختلافات المتمثلة في الطقس وانخراط الشعب والمساعدة التي كان يقدمها إلى المقاومين. في تلمسان مثلا، كل السكان القاطنين بالقرب من ملاجئنا سهلوا لنا المهمة، ولكن في الجنوب المغربي أين حُوّلت، الكل كان مغايرا بسبب العزلة وقساوة الطبيعة، وهذا بالرغم من دعم الشعب المغربي لمقاومتنا، إلاّ أنّ هذين العاملين صعّبا من مهمتنا.

لا يسعني أن أتكلم عن كل مظاهر الحياة بالجبل، وأتمنى أنّ الأمثلة التي أتيت بها قد يكون لها صدى حتى يعلم الجميع بالمعاناة التي لقيها المجاهد، والتضحيات التي رضيت بها العائلات التي ضحت بأبنائها وممتلكاتها في سبيل خدمة الوطن. الأكيد أنّ الجبال الأخرى المتواجدة في باقي البلاد كانت تتميز بمعاناة وآلام أبشع، ولكن هذا يؤكد أنّ ثوارنا سواء من استشهد منهم أو من بقي على قيد الحياة فإنّهم لم يعيشوا عيشة طيبة مريحة، وأنّ تضحيتهم وتضحية كل المجاهدين الذين دُعّموا تدعيما فعالا من قبل الشعب، مكّنتنا من انتزاع الحرية، وطرد المستعمر الغاشم من أرض الأجداد والأسلاف. فالحرية لا تقدّر بثمن.



من اليمين إلى اليسار:
بوجنان، بالي بلحسن وبندي جلول عبد السلام



من اليمين إلى اليسار
هبري مجيد، بالي بلحسن وصابي محمد


منطقة محرمة
ZONE INTERDITE



بالي بلحسن

ولد بتلمسان يوم 17-09-1936 وشارك في حرب التحرير الجزائرية بصفته فدائي أوّلا (1955) ثمّ كمجاهد (مناضل) في صفوف جيش التحرير الوطني حتى سنة 1958.

وقد جُرح برصاصة في صدره سنة 1956 ثمّ بانفجار لغم قافز بين 1957 و 1958. سُرّح من الجيش سنة 1959 لخطورة إصابته.
لقد حُوكم ثلاث مرّات من طرف الجيش الفرنسي:

- بـ 10 سنوات سجن (1956)
- بـ 20 سنة سجن (1959)
- بالإعدام (1959).

وبعد استقلال الجزائر سنة 1962 أصبح على رأس شبكة وكالات البنك الوطني الجزائري بالغرب الجزائري.
حاليا هو متقاعد

فهرس